الاتجاهات المعاصرة

في دراسة السنة النبوية

في مصر وبلاد الشام

تأليف

الدكتور محمد عبد الرزاق أسود

تقديم

الأستاذ الدكتور محمد عجاج الخطيب

دار الكلم الطيب

خامساً: غلبت النزعة الدفاعية على كثير من أصحاب هذا الاتجاه، لاسيما رواده الأوائل كالشيخ جمال الدين الأفغاني والشيخ محمد عبده، مما حدا بهم إلى تخصيص جانب كبير من جهدهم ومؤلفاتهم للرد على من هاجم الإسلام من المستشرقين وغيرهم، كما شغلوا بمحاولة تقديم الإسلام للغربيين في صورته المثلى، وإزالة الأفكار الخاطئة التي علقت بأذهان أكثر أبناء الغرب عن الإسلام وأحكامه، لكن كما هي العادة في ردود الأفعال فإن السير وراء تلك النزعة قد تجاوز الحد أحياناً، وأدى إلى ظهور الكثير من التأويلات والآراء الخطيرة[١].

سادساً: من أهم مبادئ الاتجاه العقلي في تفسير القرآن الكريم هو التركيز على الوحدة الموضوعية في السورة القرآنية، والوحدة الموضوعية في القرآن الكريم، وتحكيم العقل والنظر في التفسير، وأن الآيات القرآنية شاملة لكل الناس في كل زمان ومكان، وأن القرآن هو المصدر الأول في التشريع، وترك الإطناب فيما ورد مبهماً في القرآن الكريم، والتحذير من التفسير بالإسرائيليات، والتقليل من شأن التفسير بالمأثور، والتركيز على الإصلاح الاجتماعي عند تفسير القرآن الكريم[٢].

المطلب الثاني: مبادئ الاتجاه العقلي الخاصة بالسنة النبوية:

لم يكن تعامل الكثيرين من أصحاب هذا الاتجاه مع السنة النبوية وأحاديثها على الوجه الذي ينبغي، ولم يعرف عنهم التخصص في دراسة السنة، والتمييز بين صحيحها من ضعيفها، وهذا أدى بهم إلى أمرين اثنين هما:

---

(١) مناهج الاستدلال على مسائل العقيدة الإسلامية بمصر في العصر الحديث: أحمد قوشتي عبد الرحيم: ٨١- ٨٣، مدارس الفكر العربي الإسلامي المعاصر تأملات في المنطلق والمصب: د.عبد الرزاق قسوم: ٨١- ٩٠، في حوار هادئ مع محمد الغزالي: الشيخ سلمان ابن فهد العودة: ١٠.

(٢) انظر للتوسع: منهج المدرسة العقلية الحديثة في التفسير: د.فهد بن عبد الرحمن الرومي: ١/ ٢٢٢- ٣٨٣، اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر: د.فهد بن عبد الرحمن بن سليمان الرومي: ٢/ ٧١٨- ٧٩٨، منهج الإمام محمد عبده في تفسير القرآن الكريم: د.عبد الله محمود شحاته: ٤٠- ١٩١.

أولاً: تبنى أكثرهم القول بظنية أخبار الآحاد، وعدم جواز الاعتماد عليها في إثبات مسائل العقيدة الإسلامية، أو الأحكام الفقهية، والأعجب من ذلك حكايتهم الإجماع والاتفاق على هذا القول، وسوف أفصّل القول في ذلك في الفصل الثاني الآتي إن شاء الله تعالى.

ثانياً: على المستوى العملي وُجد لدى بعضهم نوع من الجرأة غير المقبولة بحال في تضعيف الأحاديث أو تأويلها، حتى لو كانت مما رواه الإمام البخاري ومسلم، واتفق المحدثون على صحتها، فصحة السند عندهم غير كافية للحكم بثبوت الحديث؛ بل لابد من عرض متنه على آيات القرآن الكريم وموازين العقل البشري، فلذلك ردوا وأنكروا كثيراً من الأحاديث الصحيحة، والأمثلة على ذلك كما يلي:

١- الأحاديث المتصلة بالعقيدة الإسلامية، مثل: أشراط الساعة؛ كنزول عيسى عليه السلام[١]، والمهدي[٢]، والدجال[٣]، ثم أحاديث الشفاعة[٤]، ثم أحاديث عذاب القبر[٥].

٢- الأحاديث المتعلقة بمعجزات النبي ﷺ، مثل: انشقاق القمر[٦]، والإسراء والمعراج[٧].

---

(١) الفتاوى: محمود شلتوت: ٦١- ٨٢، فضائح الترابي: عبد الله حجاج: ١٦٥- ١٦٦، مكتبة التراث الإسلامي: القاهرة.

(٢) المهدي المنتظر في روايات أهل السنة والشيعة الإمامية: دراسة حديثية نقدية: د.عداب محمود الحمش: ١٦٥- ٢٠٢، دار الفتح: عمان، مع الدكتور أحمد أمين في حديث المهدي والمهدوية: محمد أمين زين الدين: ٤٣- ٥٦، مؤسسة النعمان: بيروت.

(٣) حوار حول أحاديث الفتن وأشراط الساعة: جواد موسى محمد عفانة: ٦١، ٧٦، طبع جمعية عمال المطابع التعاونية: عمان، استحالة ظهور المسيح الدجال: إيهاب حسن: ٦٣- ٢٠٤، مكتبة النافذة: القاهرة.

(٤) الشفاعة: محاولة لفهم الخلاف القديم بين المؤيدين والمعارضين: د.مصطفى محمود: ٨٥- ١٠٦، دار أخبار اليوم: القاهرة، حقيقة الشفاعة: عبد القادر يحيى الديراني: ٢١- ٩٠.

(٥) حقيقة عذاب القبر: جواد موسى محمد عفانة: ١٤٧- ٢١٤، عذاب القبر افتراء على الله ورسوله: محمد عبد المنعم مراد: ٥١- ٦٨.

(٦) الاتجاه العقلي في تفسير المنار للشيخ محمد رشيد رضا: فوزية عاشور حسن المشتولي: ٢٦٩- ٢٧١، محمد عزة دروزة وتفسير القرآن الكريم: د.فريد مصطفى سليمان: ١٠٧،

(٧) محمد عزة دروزة وتفسير القرآن الكريم: د.فريد مصطفى سليمان: ١٠٧، ١٥٠- ١٦٣،

=

٣- الأحاديث المتعلقة بالأحكام العملية، مثل: حد الردة[١]، وحد الرجم[٢]، وحد السرقة[٣].

٤- الأحاديث المتعلقة بالسيرة النبوية، مثل: حديث سحر النبي ﷺ[٤]، وشق صدر النبي ﷺ[٥].

= أحاديث الإسراء والمعراج: دراسة توثيقية: د.رفعت فوزي عبد المطلب: ٨٧- ١٧٢، مكتبة الخانجي: القاهرة.

(١) كلا ثم كلا، كلا لفقهاء التقليد كلا لأدعياء التنوير: جمال البنا: ٦٢- ٩٣، دار الفكر الإسلامي: القاهرة، قتل المرتد الجريمة التي حرمها الإسلام: محمد منير إدلبي: ١٠٦- ١١٨، دار الأوائل: دمشق.

(٢) الشيخ عبد الله العلايلي والتجديد في الفكر المعاصر: د.فايز ترحيني: ٣٣٩، دار عويدات: بيروت، خواطر مسلم في المسألة الجنسية: محمد جلال كشك: ٦٩- ٧٤، مكتبة التراث الإسلامي: القاهرة، دور السنة في إعادة بناء الأمة: جواد موسى محمد عفانة: ٢١٠- ٢٢٣، ٢٨٤، طبع جمعية عمال المطابع التعاونية: عمان.

(٣) شطحات مصطفى محمود في تفسيراته العصرية للقرآن الكريم: د.عبد المتعال الجبري: ٦٧، دار الاعتصام: القاهرة.

(٤) منهج النقد عند علماء الحديث النبوي: د.صلاح الدين بن أحمد الإدلبي: ٢٥٥- ٢٥٧، حديث السحر النبوي بين حجة النقل وجدل العقل: رضا بن زكريا حميدة: ٦٧- ٩٤، دار الطباعة المحمدية: القاهرة.

(٥) حقيقة سيدنا محمد ﷺ تظهر في القرن العشرين: محمد أمين شيخو: ٨٢- ٨٦، دار نور البشير: دمشق، موقف المدرسة العقلية الحديثة من الحديث النبوي الشريف: دراسة تطبيقية على تفسير المنار: شفيق بن عبد بن عبد الله شقير: ٣٦٠.

المبحث الرابع

أبرز أعلام الاتجاه العقلي المعاصرين

المطلب الأول: الشيخ جمال الدين الأفغاني (١٢٥٤ـ ١٣١٥هـ، ١٨٣٨ـ ١٨٩٧م):

ولد الشيخ في قرية أسعد أباد بمحافظة كابل بأفغانستان، ويعتبر أول رجال الاتجاه العقلي، وهو الذي قام ببلورته وتأسيسه من خلال دعوته إلى التجديد في الدين، وكانت دعوته قائمة على الاعتماد على منطق العقل، والبعد عن التقليد دون إهمال لسلطان القرآن والحديث، وهو يطالب بالرجوع إلى جوهر الدين، وتفسيره تفسيراً يتلاءم مع روح العصر، ولذلك أخذ الشيخ يشرح للمصريين قواعد الإسلام الصحيحة من وجهة نظره، وأبان لهم أن المسلم لا يكون مسلماً صحيح الإسلام إلا إذا اعتقد عن دليل وبرهان، وقد نشأ من جراء صراحته هذه، وتجديده في الدين مريدون كثيرون، وأصبح لدعوته أثر كبير في المجتمع المصري، وبالرغم من المعارضة التي وقفت في سبيله، والتهم التي وجهت إليه، فقد استطاع الشيخ جمال الدين أن يخلف وراءه مدرسة تأخذ بتعاليمه، وتعتمد على آرائه، وكانت مدرسته قوية الأثر واضحة المعالم[(١)].

ويكاد الشيخ أن يكون عديم الأثر في الجانب الحديثي على تلامذته أو من بعدهم؛ بل يكاد لا يعرف له موقف محدد في هذا الشأن[(٢)]، وكانت كلماته تدعو إلى ثلاث غايات: التماس مفهوم القرآن، الوحدة الإسلامية، تقييد سلطة المستبدين من الحكام[(٣)].

---

(١) جمال الدين الأفغاني وأثره في العالم الإسلامي الحديث: د. عبد الباسط محمد حسن: ١٩٣، مكتبة وهبة: القاهرة، منهج المدرسة العقلية الحديثة في التفسير: د. فهد بن عبد الرحمن الرومي: ١/ ٧٥- ١٢٣.

(٢) موقف المدرسة العقلية الحديثة من الحديث النبوي الشريف: دراسة تطبيقية على تفسير المنار: شفيق شقير: ٤٠٩.

(٣) انظر للتوسع: اتجاهات الفكر الإسلامي المعاصر في مصر في النصف الأول من القرن الرابع عشر الهجري: د. حمد بن صادق الجمال: ١/ ٥٦- ٦٤.

وقد اعتبره بعض العلماء من مجددي القرن الثالث عشر الهجري[١]، وشكّك بعض العلماء المعاصرين في دعوته ؛ لأن سيرته يلفها كثير من الغموض، خاصة وأن المؤرخين اختلفوا في شأنه[٢].

المطلب الثاني: الشيخ محمد عبده الغرابلي المصري (١٢٦٦ـ ١٣٢٣هـ، ١٨٤٩ـ ١٩٠٥م):

ولد الشيخ في محلة نصر بمحافظة البحيرة بمصر، وكان تلميذاً للشيخ جمال الدين الأفغاني، واتصل به عندما جاء إلى مصر سنة (١٢٨٨هـ، ١٨٧١م)، ثم حضر دروسه ولازم مجالسه التي كانت مجالس حكمة وعلم، وكان مفتياً للديار المصرية ما بين عامي (١٣١٧هـ، ١٨٩٩م، ١٣٢٣هـ، ١٩٠٥م)، أي حتى وفاته رحمه الله تعالى، وكان لقبه بالأستاذ الإمام[٣]، ويعتبر الشيخ الأب الروحي للاتجاه العقلي ـ على الراجح ـ وهو الذي أقام صروحه ودعا إليه، ونشره بين الناس، فكان بحق هو صاحبه، وأستاذه وإمامه، فكان له من الأثر فيها ما لم يكن لأستاذه الشيخ جمال الدين[٤]، وكانت دعوته تتمثل في تأسيس الاعتقاد على العقل، ونبذ التقليد والدعوة للاجتهاد، والتأويل العقلي للنصوص الدينية، وتحطيم المذهبية في علم التوحيد، وتحليل الأصول الإسلامية تحليلاً عقلياً يربطها بالعمل، والمواءمة بين الإسلام ومتطلبات العصر[٥]، ويكثر الشيخ من اشتراط التواتر في الحديث، ومن

(١) المجددون في الإسلام من القرن الأول إلى القرن الرابع عشر: عبد المتعال الصعيدي: ٣٧٠-٣٧٣.

(٢) انظر للتوسع: تجديد الفكر الإسلامي: د.الحسن العلمي: ٢١٧- ٢٢٦، مكتبة التراث الإسلامي: القاهرة.

(٣) انظر للتوسع: منهج الإمام محمد عبده في تفسير القرآن الكريم: د.عبد الله محمود شحاته: ٣- ٣٠، مطبعة جامعة القاهرة، الإمام محمد عبده ومنهجه في التفسير: د.عبد الغفار عبد الرحيم: ١٩- ٢٦، ١٠٣، دار الأنصار: القاهرة.

(٤) منهج المدرسة العقلية الحديثة في التفسير: د.فهد بن عبد الرحمن الرومي: ١/ ١٢٤، مناهج الاستدلال على مسائل العقيدة الإسلامية بمصر في العصر الحديث: أحمد قوشتي عبد الرحيم: ٧٧، دراسات نقدية في الفكر الإسلامي المعاصر: د.جمال المرزوقي: ١١٧- ١٣١، دار الآفاق العربية: القاهرة.

(٥) إعادة بناء علم التوحيد عند الأستاذ الإمام محمد عبده: د.محمد صالح محمد السيد: ٢٧- ١٠٨، دار قباء: القاهرة.

رد أو تأويل البعيد لأحاديث الاعتقاد، ويقدم أحياناً ظاهر القرآن الكريم على السنة الصحيحة[١].

وقد اعتبره بعض العلماء المعاصرين من مجددي القرن الرابع عشر الهجري[٢]، أو مجدد الفكر الإسلامي[٣]، وبعض العلماء المعاصرين قد شكك في دعوته، وإصلاحه المزعوم، وأنه كان مرتكز تيار التغريب بمصر وغيرها[٤].

المطلب الثالث: الشيخ محمد رشيد رضا الشامي ثم المصري (١٢٨٢ـ ١٣٥٤هـ، ١٨٦٥ـ ١٩٣٥م):

ولد الشيخ في قرية القلمون بمحافظة طرابلس الشام في لبنان حالياً، وقد كان تلميذاً للشيخ محمد عبده، واتصل به عندما هاجر الشيخ إلى مصر سنة (١٣١٥هـ، ١٨٩٧م)، وأخبره بغرضه من الهجرة، وهي تلقي الحكمة عنه، وأنه يعتقد أنه بقية رجاء المسلمين في السعي إلى الإصلاح والاضطلاع، ثم عرض على الشيخ محمد عبده أن يبدأ في إلقاء دروس التفسير، وبعد إلحاح كبير منه وافق الشيخ محمد عبده في إلقاء دروس في التفسير حتى وفاته.

وقد أسس مجلة المنار لنشر الإصلاحات الاجتماعية والدينية والاقتصادية، وإقامة الحجة على أن الإسلام دين شامل، ومواصلة السير على منهج مجلة العروة الوثقى؛ التي كان يصدرها كل من الشيخ جمال الدين الأفغاني والشيخ محمد عبده المصري في منفاهما في باريس بفرنسا[٥].

---

(١) موقف المدرسة العقلية الحديثة من الحديث النبوي الشريف: دراسة تطبيقية على تفسير المنار: شفيق شقير: ٤٠٩.

(٢) المجددون في الإسلام من القرن الأول إلى القرن الرابع عشر: عبد المتعال الصعيدي: ٣٩٩- ٤٠٥.

(٣) انظر للتوسع: في مناهج تجديد الفكر الإسلامي: د. محمد إبراهيم الفيومي: ٢٩- ٦٦، دار الفكر العربي: القاهرة.

(٤) انظر للتوسع: تجديد الفكر الإسلامي: د. الحسن العلمي: ٢٢٦- ٢٣١.

(٥) انظر للتوسع: محمد رشيد رضا: جهاده في خدمة العقيدة وأثره في الاتجاهات المعاصرة: خالد بن فوزي آل حمزة: ١٢- ٥١، مؤسسة قرطبة: القاهرة، السيد محمد رشيد رضا: إصلاحاته الاجتماعية والدينية: د. محمد أحمد درنيقة: ١٥- ٣٣، مؤسسة الرسالة: بيروت.

وقد اعتبره بعض العلماء المعاصرين من مجددي القرن الرابع عشر الهجري[١]، وقد وصفوه بوصف السلفية؛ خاصة أن بعض تلاميذه كانوا من الاتجاه السلفي، أمثال: الشيخ محمد حامد الفقي، والشيخ محمد عبد الرزاق حمزة، والشيخ أحمد محمد شاكر، وغيرهم[٢]؛ ولإعجابه الشديد بابن تيمية، وابن قيم الجوزية، وبأئمة الاتجاه السلفي عموماً، وموافقته لهم في الكثير من الآراء، وخاصة في محاربته للبدع، إلا أننا نجد لديه أقوالاً أخرى مباينة تماماً للاتجاه السلفي، ومتبعاً فيها للاتجاه العقلي، وذلك في قضايا أساسية، مثل: تحكيم العقل في تفسير القرآن الكريم، والتعامل مع السنة وأحاديث الآحاد، وتأويل كثير من الأحاديث أو ردها بحجة عدم موافقتها للعقل ولو كانت في صحيح البخاري ومسلم؛ كحديث سحر النبي ﷺ، والمعجزات، وأشراط الساعة كانشقاق القمر وطلوع الشمس من المغرب...[٣]، وهذا كله يرجّح أنه من أعلام الاتجاه العقلي، وقد بلغت مؤلفاته حوالي (٢٧) كتاباً[٤].

المطلب الرابع: الشيخ محمود شلتوت المصري (١٣١٠ـ ١٣٨٣هـ، ١٨٩٣ـ ١٩٦٣م):

ولد الشيخ في قرية منية منصور بمحافظة البحيرة بمصر، وقد كان مترسماً لخطى الشيخ جمال الدين الأفغاني، والشيخ محمد عبده، والشيخ محمد مصطفى المراغي، وكان صاحب نزعة اجتهادية لم يقلد أحداً منهم في آرائه، إنما أطلق لعقله النظر في المسائل والقضايا برجوعه إلى الكتاب والسنة.

---

(١) المجددون في الإسلام من القرن الأول إلى القرن الرابع عشر: عبد المتعال الصعيدي: ٤٠٦- ٤١٠.

(٢) محمد رشيد رضا: جهاده في خدمة العقيدة وأثره في الاتجاهات المعاصرة: خالد بن فوزي آل حمزة: ٤٨.

(٣) انظر للتوسع: مناهج الاستدلال على مسائل العقيدة الإسلامية بمصر في العصر الحديث: أحمد قوشتي عبد الرحيم: ٦٨- ٦٩، الاتجاه العقلي في تفسير المنار للشيخ محمد رشيد رضا: فوزية عاشور حسن المشتولي: ١٤٠، ٢٧١، رسالة ماجستير، كلية التربية والآداب والعلوم للبنات، جامعة عين شمس بالقاهرة، منهج المنار في تفسير القرآن الكريم: عرض وتقويم: د. محمد السيد راضي جبريل: ١/ ٣١- ٥٢، مجلة حولية كلية أصول الدين بالقاهرة، جامعة الأزهر، العدد (٢٠)، (١٤٢٤هـ، ٢٠٠٣م).

(٤) منهج المدرسة العقلية الحديثة في التفسير: د. فهد بن عبد الرحمن الرومي: ١/ ١٨١- ١٨٢.

وقد تولى مشيخة الأزهر حتى وفاته ما بين عامي (١٣٧٨-١٣٨٣هـ، ١٩٥٨-١٩٦٣م) وكان له أفكار تجديدية وإصلاحية تمثلتْ في تطوير وتجديد الأزهر الشريف؛ بإصدار قانون رقم (١٠٣) لعام (١٣٨١هـ، ١٩٦١م) الذي أجاز بتأسيس ما يلي:

١- مجمع البحوث الإسلامية.

٢- الكليات العلمية من طب وهندسة...

٣- كليات خاصة للبنات.

٤- مدينة البعوث الإسلامية لتمثل (٩٢) جنسية من جنسيات الأقطار الإسلامية وغيرها.

٥- معهد البعوث الإسلامية الذي يؤهل الطلاب غير العرب للدراسة باللغة العربية.

٦- إضافة تدريس القانون المقارن إلى كليات الشريعة فأصبح اسمها كليات الشريعة والقانون.

٧- تدريس فقه الشيعة إلى جانب فقه المذاهب السنية.

٨- أصبحت المعاهد الدينية؛ الابتدائية، والإعدادية، والثانوية، تغطي كل قرى مصر التي تقترب من ستة آلاف.

٩- أصبحت كليات جامعة الأزهر تغطي كل محافظات مصر، وعددها (٦٥) كلية[١].

وللشيخ آراء تتبع الاتجاه العقلي في مسألة خبر الواحد في الحديث[٢]، وإنكاره نزول عيسى عليه السلام، ورفعه إلى السماء[٣]، وغيرها[٤]، وقد بلغت مؤلفاته حوالي عشرة كتب[٥].

---

(١) انظر للتوسع: الإمام الأكبر الشيخ محمود شلتوت: د. محمد عمارة: ٣٩- ٥٤، سلسلة دراسات إسلامية، العدد (٧٠)، طبع وزارة الأوقاف: القاهرة، في مناهج تجديد الفكر الإسلامي: د. محمد إبراهيم الفيومي: ١٥٧- ١٦٩.

(٢) انظر: الإسلام عقيدة وشريعة: الشيخ محمود شلتوت: ٥٨- ٥٩.

(٣) انظر: الفتاوى: الشيخ محمود شلتوت: ٦١- ٨٢، دار الشروق: القاهرة.

(٤) انظر للتوسع: اتجاهات الفكر الإسلامي المعاصر في مصر في النصف الأول من القرن الرابع عشر الهجري: د. حمد بن صادق الجمال: ١/ ٢٧٠.

(٥) منهج المدرسة العقلية الحديثة في التفسير: د. فهد بن عبد الرحمن الرومي: ١/ ٢٠١.

المطلب الخامس: الشيخ محمد عزة دروزة الفلسطيني ثم السوري (١٣٠٥ـ ١٤٠٤هـ، ١٨٨٨ـ ١٩٨٤م):

ولد الشيخ في مدينة نابلس في فلسطين، ثم هاجر إلى سوريا وحصل على الجنسية السورية، ويلاحظ تأثره بالشيخ محمد رشيد رضا، وبالاتجاه العقلي عموماً، فنجده يرد أو يؤول كثيراً من الأحاديث الصحيحة في تفسيره المسمى بالتفسير الحديث، ولو كانت هذه الأحاديث في صحيح البخاري ومسلم، فقد أنكر أحاديث الإسراء والمعراج، وحديث سحر النبي ﷺ، وحديث انشقاق القمر، والأحاديث المتعلقة بالجن، ويرد الكثير من أحاديث أسباب نزول الآيات القرآنية، وقد يرد الأحاديث الصحيحة؛ على مستند ظني قائم في نفسه، أسماه السياق العام للآيات[١]، وقد بلغت مؤلفاته (٣٩) كتاباً[٢].

المطلب السادس: أبرز المتأثرين بالاتجاه العقلي:

أولاً: في مصر:

١ـ أ. عبد الله نديم (١٢٦١ـ ١٣١٤هـ). ٢ـ الشيخ علي يوسف (١٢٧٦ـ ١٣٢٩هـ).

٣ـ الشيخ عبد الوهاب النجار (١٢٧٨ـ ١٣٦٠هـ). ٤ـ الشيخ عبد العزيز جاويش (١٢٩٣- ١٣٤٧هـ). ٥ـ أ. محمد فريد وجدي (١٢٩٥ـ ١٣٧٣هـ). ٦ـ الشيخ محمد مصطفى المراغي (١٢٩٨ـ ١٣٦٤هـ). ٧ـ الشيخ أحمد مصطفى المراغي (١٣٠٠ـ ١٣٧٢هـ).

٨ـ الشيخ مصطفى عبد الرازق (١٣٠٢ـ ١٣٦٦هـ).

٩ـ الشيخ عبد الوهاب خلاف (١٣٠٥ـ ١٣٧٥هـ).

---

(١) انظر للتوسع: محمد عزة دروزة وتفسير القرآن الكريم: د. فريد مصطفى سليمان: ٣٣- ٦٠، ١٠٣- ١٠٨، ١٥٠- ١٦٣، ٢١٣- ٢١٨، مكتبة الرشد: الرياض، اتجاهات التفسير في العصر الحديث في مصر وسوريا: د. فضل حسن عباس: ٥٣٣، ٥٦٤- ٥٦٦، ٥٧٦، رسالة دكتوراه، كلية أصول الدين بالقاهرة، جامعة الأزهر.

(٢) تكملة معجم المؤلفين: محمد خير رمضان يوسف: ٥٢٣- ٥٢٦، دار ابن حزم: بيروت.

١٠ـ أ. محمد حسين هيكل (١٣٠٥ـ ١٣٧٦هـ).

١١ـ عباس محمود العقاد (١٣٠٦ـ ١٣٨٣هـ).

١٢ـ الشيخ علي الخفيف (١٣٠٨ـ ١٣٩٨هـ).

١٣ـ أ. عبد الوهاب عزام (١٣١٢ـ ١٣٧٩هـ).

١٤ـ أ. عبد الرزاق السنهوري (١٣١٣ـ ١٣٩١هـ).

١٥ـ أ. أمين الخولي (١٣١٣ـ ١٣٨٥هـ).

١٦ـ الشيخ محمد أبو زهرة (١٣١٦ـ ١٣٩٤هـ).

١٧ـ د. محمد البهي (١٣٢٣ـ ١٤٠٢هـ).

١٨ـ الشيخ حسن البنا (١٣٢٤ـ ١٣٦٨هـ).

١٩ـ الشيخ محمد المدني (١٣٢٥ـ ١٣٨٨هـ).

٢٠ـ الشيخ أحمد حسن الباقوري (١٣٢٥ـ ١٤٠٥هـ).

٢١ـ الشيخ محمد الغزالي (١٣٣٥ـ ١٤١٦هـ).

٢٢ـ د. محمد عبد الله دراز. ٢٣ـ أ. إبراهيم اللقاني.

٢٤ـ د. طه حسين. ٢٥ـ د. أحمد أمين. ٢٦ـ أ. سيد قطب.

٢٧ـ أ. عبد المتعال الصعيدي. ٢٨ـ أ. زكي مبارك.

٢٩ـ د. إبراهيم بيومي مدكور. ٣٠ـ د. عائشة عبد الرحمن بنت الشاطئ.

٣١ـ د. محمد رضا محرم. ٣٢ـ د. مصطفى محمود.

٣٣ـ د. يوسف القرضاوي. ٣٤ـ د. محمد سليم العوا.

٣٥ـ د. أحمد كمال أبو المجد. ٣٦ـ د. محمد يوسف موسى.

٣٧ـ د. محمود قاسم. ٣٨ـ د. أحمد محمود صبحي.

٣٩ـ أ. فهمي هويدي.

٤٠ـ أ. جمال البنا.

ثانياً: في سوريا:

١ـ الشيخ عبد الرحمن الكواكبي (١٢٧٠ـ ١٣٢٠هـ).

٢ـ أ. عبد الحميد الزهراوي (١٢٧٢ـ ١٣٣٤هـ).

٣ـ الشيخ جمال الدين القاسمي. ٤ـ د. محمد معروف الدواليبي.

٥ـ الشيخ محمد أمين شيخو (١٣٠٨ـ ١٣٨٤هـ).

٦ـ أ. عبد الهادي الباني. ٧ـ أ. عبد القادر الديراني.

٨ـ د. محمود عكام. ٩ـ د. صلاح الدين الإدلبي.

١٠ـ د. محمد الحبش. ١١ـ أ. جودت سعيد.

ثالثاً: في فلسطين:

ـ أ. جواد موسى محمد عفانة.

رابعاً: في لبنان:

١ـ الشيخ عبد القادر المغربي (١٢٨٤ـ ١٣٤٧هـ).

٢ـ أ. شكيب أرسلان (١٢٨٦ـ ١٣٦٦هـ). ٣ـ الشيخ عبد الله العلايلي.

خامساً: في العراق:

د. عبد الستار الراوي.

سادساً: في الجزائر:

١ـ الشيخ عبد الحميد بن باديس (١٣٠٥ـ ١٣٥٩هـ).

٢ـ أ. محمد البشير الإبراهيمي (١٣٠٦ـ ١٣٨٥هـ).

٣ـ أ. مالك بن نبي (١٣٢٣ـ ١٣٩٣هـ).

سابعاً: في المغرب:

ـ أ. علال الفاسي (١٣٢٦ـ ١٣٩٤هـ).

ثامناً: في تونس:

١ـ الشيخ محمد الطاهر بن عاشور (١٢٩٦ـ ١٣٩٣).

٢ـ أ. محمد بن الفاضل بن عاشور (١٣٢٧ـ ١٣٩٠هـ).

٣ـ الشيخ راشد الغنوشي.

تاسعاً: في السودان:

ـ د. حسن عبد الله الترابي.

عاشراً: باكستان:

ـ د. محمد إقبال (١٢٨٩ـ ١٣٥٧هـ).[(١)]

وينبغي التنبيه هنا إلى أن إدراج الشخصيات المذكورة ضمن هذا الاتجاه؛ لا يعني موافقتهم التامة للاتجاه العقلي في كل صغيرة وكبيرة، ولا يستلزم الحكم بصحة كل ما ذهبوا إليه من آراء.

ومن الملاحَظ أن الشخصيات التي أشرت إليها آنفاً؛ قد تأثرت بالمدرسة العقلية عموماً، وبكتب الشيخ جمال الدين الأفغاني والشيخ محمد عبده والشيخ محمد رشيد رضا على الخصوص، وكان لها دور كبير في نشر هذا الفكر بمصر وغيرها من بلدان العالم الإسلامي، وتعريف الناس به.

(١) انظر: الإمام الأكبر الشيخ محمود شلتوت: د. محمد عمارة: ٩- ١١، جمال الدين الأفغاني وأثره في العالم الإسلامي الحديث: د. عبد الباسط محمد حسن: ١٩٥- ٢٣٦، منهج المدرسة العقلية الحديثة في التفسير: د. فهد بن عبد الرحمن الرومي: ١/ ٧٣- ٢١١، أهكذا يكون فهم الإسلام: أحمد إسماعيل الراغب: ٨، دار العصماء: دمشق، الإمام محمد عبده ومنهجه في التفسير: د. عبد الغفار عبد الرحيم: ٣٢٣- ٤٠٩، الموقف المعاصر من المنهج السلفي في البلاد العربية: دراسة نقدية: د. مفرح بن سليمان العوسي: ٤٠، ٤٩- ٥٣، ١٢١، ٢٣٩، ٢٥٤، اتجاهات الفكر الإسلامي المعاصر في مصر في النصف الأول من القرن الرابع عشر الهجري: د. حمد بن صادق الجمال: ١/ ٢٦٩، ٢٨٧، مناهج الاستدلال على مسائل العقيدة الإسلامية بمصر في العصر الحديث: أحمد قوشتي عبد الرحيم: ٧٧.

الفصل الثاني

رأي أصحاب الاتجاه العقلي وأدلتهم في عدم حجية خبر الواحد والرد عليها

المبحث الأول: رأي أصحاب الاتجاه العقلي وأدلتهم في عدم حجية خبر الواحد.

المطلب الأول: رأي أصحاب الاتجاه العقلي في عدم حجية خبر الواحد.

المطلب الثاني: أدلة أصحاب الاتجاه العقلي في عدم حجية خبر الواحد.

المبحث الثاني: أدلة العلماء في حجية خبر الواحد والرد على أدلة الاتجاه العقلي.

المطلب الأول: أدلة العلماء في حجية خبر الواحد.

المطلب الثاني: رد العلماء على أدلة أصحاب الاتجاه العقلي في عدم حجية خبر الواحد.

المبحث الأول

رأي أصحاب الاتجاه العقلي وأدلتهم في عدم حجية خبر الواحد

قضية الاحتجاج بخبر الواحد[١]، من القضايا التي كثر حولها الكلام في حياتنا المعاصرة، إلا أن كثيراً من الكتّاب المعاصرين قد تناولوا المسألة بطريقة تعتمد إطلاق التعميمات، والتناول الجزئي للمسألة، واعتماد الاستثناءات لتكون قاعدة في الفهم، ويعرضونها بطريقة توحي للقارئ بأن الأصل عدم قبولها، وإذا قبلت فبشروط وقيود، ويوظف الأعداء من كل جانب هذه الأقوال للتشكيك في السنة النبوية، والتقليل من أهميتها، وهي قضية قديمة، تصدى كثير من علماء الإسلام لبيانها وإحقاق الحق بشأنها، وسنعرض لرأي أصحاب الاتجاه العقلي وأدلتهم في ذلك.

المطلب الأول: رأي أصحاب الاتجاه العقلي في عدم حجية خبر الواحد:

إن سبب تبني هذا الاتجاه لهذا الرأي؛ هو لغلبة المنحى العقلي على تفكيرهم، وإيثارهم لأدلة العقول على ما سواها في مجال الاستدلال، ولقلة اشتغالهم بالحديث وعلومه، وسأذكر أهم أقوالهم في ذلك، ثم أورد من تأثر بهم من أصحاب الاتجاه المنحرف:

أولاً: أقوال أصحاب الاتجاه العقلي في عدم حجية خبر الواحد:

إن عدم حجية خبر الواحد عند علماء الاتجاه العقلي لا تعني أنهم لا يحتجون بالحديث الذي نقله الواحد مطلقاً؛ بل إنهم يأخذون منه بما يرونه مناسباً لعقولهم،

---

(١) خبر الواحد: «هو الحديث الذي لم ينته بنفسه إلى التواتر سواء كثر رواته أو قلوا، أو من له طرق محصورة سواء بالواحد، أو الاثنين، أو بما فوق الاثنين». انظر: معجم مصطلحات الحديث ولطائف الأسانيد: د. محمد ضياء الرحمن الأعظمي: ١٤.

وميولهم الفكرية سواء في أحاديث العقيدة، أو في أحاديث الأحكام، وأن الأصل في قولهم هذا؛ هو قول المعتزلة[١]:

١- قال الشيخ محمد عبده: (أما أخبار الآحاد فإنه يجب الإيمان بما ورد فيها على من بلغته، وصدّق بصحة روايتها، أما من لم يبلغه الخبر، أو بلغه وعرضت له شبهة في صحته، وهو ليس من المتواتر، فلا يطعن في إيمانه عدم التصديق به، والأصل في جميع ذلك أن من أنكر شيئاً وهو يعلم أن النبي ﷺ حّدث به، أو قرره، فقد طعن في صدق الرسالة، وكذب بها، ويلحق به من أهمل في العلم بما تواتر وعُلم أنه من الدين بالضرورة، وهو ما في الكتاب؛ وقليل من السنة في العمل)[٢].

٢- قال الشيخ محمود شلتوت: (فإن الله تعالى لم يكلف عباده عقيدة من العقائد عن طريق من شأنه ألا يفيد إلا الظن، ومن هنا يتأكد أن ما قررناه من أن أحاديث الآحاد لا تفيد عقيدة، ولا يصح الاعتماد عليها في شأن المغيبات؛ قول مجمع عليه، وثابت بحكم الضرورة العقلية التي لا مجال للخلاف فيها عند العقلاء. . . وقد كانت هذه الفروق ـ أي الفروق بين القرآن والسنة ـ أصلاً في انحصار مصدر العقيدة في القرآن، وعدم الاعتماد في ثبوتها على السنة)[٣].

٣- قال د. أحمد حجازي السقا: (فما يُؤمِنكم أن خبر الواحد ليس من يهود مثل ابن سبأ؟ ورواية الواحد أوجدت في الدين أموراً سيئة منها: أولاً: التعارض في المعنى، والتعارض يحير الناس في معرفة الحق. . . ثانياً: أوجدت أحاديث الآحاد تفرقة واختلافاً في صفوف المسلمين، إذ هي التي فرقتهم إلى

---

(١) انظر للتوسع: حجية الدليل النقلي بين المعتزلة والأشاعرة: أحمد قوشتي عبد الرحيم: ١٤٩- ١٥٥، المعتزلة بين الفكر والعمل: بحث موقف المعتزلة من السنة: د. أبو لبابة حسين: ١١٣- ١١٦، الأضواء السنية على مذاهب رافضي الاحتجاج بالسنة النبوية: د. عمر سليمان الأشقر: ٤١، ٥٧، مكتبة المنار: الزرقاء بالأردن.

(٢) رسالة التوحيد: الشيخ محمد عبده: ١٧٧- ١٧٨، دار الشروق: القاهرة، وانظر للتوسع: الأعمال الكاملة للإمام الشيخ محمد عبده: د. محمد عمارة: ٥/ ٥٤٤.

(٣) الإسلام عقيدة وشريعة: الشيخ محمود شلتوت: ٦٠- ٦١، ٤٩٩.

سنيين وشيعة يضرب بعضهم رقاب بعض، وهي التي فرقت السنيين إلى السلف والخلف... فيا أيها السلفيون: هذه نتائج أحاديث الآحاد في المجتمعات الإسلامية، وقد أمرنا الله تعالى بأن نحتاط للدين، وبأن نكون أمة واحدة، وبأن نسمع وبأن نعقل، فابتعدوا عن أحاديث الآحاد)[١].

٤- قال أ. جمال البنا: (ومن هنا يتأكد أن ما قررناه من أن أحاديث الآحاد لا تفيد عقيدة، ولا يصح الاعتماد عليها في شأن المغيبات، قول مجمع عليه؛ وثابت بحكم الضرورة العقلية التي لا مجال للخلاف فيها عند العقلاء)[٢].

وهذا ما قال به الشيخ محمد رشيد رضا[٣]، وأ. محمد فريد وجدي[٤]، والشيخ عبد الوهاب النجار[٥]، وأ. عبد المتعال الجبري[٦]، وسيد قطب[٧]، والشيخ محمد الغزالي[٨]، ود. محمد عمارة[٩]، والشيخ محمد أمين شيخو[١٠]، والشيخ عبد الله العلايلي[١١].

---

(١) دفع الشبهات عن الشيخ محمد الغزالي: د. أحمد حجازي السقا: ٤٦- ٤٨، المكتبة الثقافية: بيروت.

(٢) الأصلان العظيمان الكتاب والسنة: رؤية جديدة: أ. جمال البنا: ٣٠٣، مطبعة حسان: القاهرة.

(٣) تفسير المنار: الشيخ محمد رشيد رضا: ١/ ١١٦، الهيئة المصرية العامة للكتاب: القاهرة.

(٤) خبر الواحد في التشريع الإسلامي وحجيته: القاضي برهون: ١/ ٤٣٧- ٤٤٠، مكتبة التراث الإسلامي: القاهرة.

(٥) قصص الأنبياء: الشيخ عبد الوهاب النجار: صفحة س من المقدمة، ٢٨٧.

(٦) مناهج الاستدلال على مسائل العقيدة الإسلامية بمصر في العصر الحديث: أحمد قوشتي عبد الرحيم: ١٢٩.

(٧) في ظلال القرآن: سيد قطب: ٦/ ٤٠٠٨، دار الشروق: القاهرة.

(٨) تراثنا الفكري في ميزان الشرع والعقل: الشيخ محمد الغزالي: ١٧٠- ١٧٤، دار الشروق: القاهرة.

(٩) محمد عمارة في ميزان أهل السنة والجماعة: سليمان بن صالح الخراشي: ٥٦٦، دار الجواب: الرياض.

(١٠) فضيلة العلامة العربي الكبير محمد أمين شيخو يرد على معارضيه: أ. عبد القادر يحيى الديراني: ١٤٩- ١٥٥، دار نور البشير: دمشق، أهكذا يكون فهم الإسلام: أحمد إسماعيل الراغب: ٩٧- ٩٨.

(١١) الشيخ عبد الله العلايلي والتجديد في الفكر المعاصر: د. فايز ترحيني: ٣١٩.

ثانياً: أقوال أصحاب الاتجاه المنحرف في عدم حجية خبر الواحد:

١- قال محمود أبو رية: (العبرة في العقائد بالدلالة القطعية، وجميع العقائد التي تتوقف عليها صحة الإسلام؛ ثابتة بنصوص القرآن وإجماع المسلمين، ولا يوجد شيء منها يتوقف على أحاديث الآحاد التي يمكن الارتياب في بعضها، وكذلك أصول العبادات كلها قطعية ثابتة بالقرآن والسنة العملية المتواترة التي لا تتوقف على أخبار الآحاد، وما ثبت من أحكام العبادات بأحاديث الآحاد؛ ولم يجمع عليه أئمة العلم فلا تتوقف عليه صحة الإسلام، وإن كان صحيحاً في نفسه)[١].

٢- قال د. أحمد صبحي منصور: (وإذا نحّينا الحديث المتواتر جانباً، وجدنا أمامنا غير القرآن، تلك الألوف المؤلفة من الأحاديث التي يقال عنها أحاديث آحاد؛ والتي تفيد الظن ولا تفيد العلم واليقين، وبالتالي فليست محلاً للاعتماد عليها في أمور الغيبيات والسمعيات)[٢].

٣- قال د. إسماعيل منصور[٣]: (وجوب عدم الاعتداد بحديث الآحاد بالكلية. . . وثبت لدينا كذلك أن الأكثرية الغالبة من الأحاديث قد رويت بطريق الآحاد التي هي ظن فوق ظن، وأنها بذلك قد دخلها الزيف والخرافة والوهم بداهة؛ بحيث صار الأصل فيها هو الكذب والاستثناء هو الصدق)[٤].

---

(١) أضواء على السنة المحمدية: محمود أبو رية: ٣٧٩.

(٢) عذاب القبر والثعبان الأقرع: د. أحمد صبحي منصور: ١٠، طيبة للدراسات والنشر: القاهرة.

(٣) هو متخرج من كلية الطب البيطري بجامعة القاهرة عام ١٩٦٧م، وحصل منها على دكتوراه في الطب الشرعي والسموم عام ١٩٧٣م، وتخرج من كلية الآداب بجامعة القاهرة، وحصل منها على دكتوراه ثانية في الفلسفة الإسلامية، وتخرج من كلية الحقوق بجامعة القاهرة، وهو يحضر فيها دكتوراه ثالثة، ومن مؤلفاته: عقيدة الإيمان بالبعث، تذكير الأصحاب بتحريم النقاب، شفاء الصدر بنفي عذاب القبر. انظر: تبصير الأمة بحقيقة السنة: د. إسماعيل منصور: ١/ ٦٧٧.

(٤) تبصير الأمة بحقيقة السنة: د. إسماعيل منصور: ١/ ٣٦٠، ٦٥٢.

٤- قال عبد الجواد ياسين[١]: (أما الضرب الثاني من أفعاله وأقواله ﷺ، مما لم يصل إلى الناس بطريق التواتر المستفيض، فلا يستطيع عاقل أن يدخله في دائرة الوحي الثابت ثبوتاً لا شك فيه، ومن ثم فهو ليس ضرورياً لقيام الدين)[٢].

وهذا ما قال به أحمد أمين[٣]، والسيد صالح أبو بكر[٤]، وسامر إسلامبولي[٥]، وجواد موسى محمد عفانة[٦]، ومحمد منير إدلبي[٧].

ويظهر لنا مما سبق أن هناك عدداً كبيراً من الباحثين المعاصرين قد تبنوا الرأي القائل بإفادة أحاديث الآحاد للظن فقط، وعدم جواز الاعتماد عليها في باب الاعتقاد أو باب الأحكام، وهم ينتمون إلى أكثر من اتجاه فكري، ولاسيما الاتجاهين العقلي والمنحرف، وهذا الرأي هو الذي قاد هؤلاء لتأويل أو رد أحاديث كثيرة صحيحة لا مجال لضعفها أو الشك فيها سواء في أحاديث العقيدة، أو أحاديث الأحكام، أو غير ذلك.

المطلب الثاني: أدلة أصحاب الاتجاه العقلي في عدم حجية خبر الواحد:

استدل علماء هذا الاتجاه على قولهم بعدم حجية خبر الواحد بالقرآن الكريم والسنة النبوية وعمل الصحابة ﷺ وذلك بما يلي:

---

(١) هو قاضي مصري سابق، من مواليد عام ١٩٥٤م، تخرج من كلية الحقوق في جامعة القاهرة سنة ١٩٧٦م، وتدرج في سلك النيابة العامة والقضاء منذ تخرجه، له مؤلفات في الفكر السياسي والفقه الدستوري آخرها: تطور الفكر السياسي في مصر خلال القرن التاسع عشر. انظر: غلاف كتاب السلطة في الإسلام: عبد الجواد ياسين.

(٢) السلطة في الإسلام: عبد الجواد ياسين: ٢٤٦، المركز الثقافي العربي: بيروت.

(٣) فجر الإسلام: أحمد أمين: ٣٤٦، الهيئة المصرية العامة للكتاب: القاهرة، السنة المطهرة بين أصول الأئمة وشبهات صاحب فجر الإسلام وضحاه: د. سيد أحمد رمضان المسير: ٤٥-٤٦، المؤسسة العربية الحديثة: القاهرة.

(٤) أحاديث الإسراء والمعراج: دراسة توثيقية: د. رفعت فوزي عبد المطلب: ١٠٧.

(٥) الآحاد، النسخ، الإجماع: دراسة نقدية لمفاهيم أصولية: سامر إسلامبولي: ٤٠- ٤١، دار الأوائل: دمشق.

(٦) تحذير الأمة من إساءة فهم السنة: جواد موسى عفانة: ٢٦٧، طبع جمعية عمال المطابع التعاونية: عمان.

(٧) قتل المرتد الجريمة التي حرمها الإسلام: محمد منير إدلبي: ١٠٧- ١٠٨.

أولاً: القرآن الكريم:

١- قول الله تعالى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ﴾ [الإسرَاء: ٣٦].

٢- قول الله تعالى: ﴿وَأَن تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البَقَرَة: ١٦٩].

٣- قول الله تعالى: ﴿إِلَّا مَن شَهِدَ بِٱلْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [الزّخرُف: ٨٦].

قالوا: العمل بخبر الواحد اقتفاء لما ليس لنا به علم، وشهادة وقول بما لا نعلم؛ لأن العمل به موقوف على الظن.

٤- قول الله تعالى: ﴿وَمَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغْنِى مِنَ ٱلْحَقِّ شَيْـًٔا ﴿٢٨﴾﴾ [النّجْم: ٢٨].

٥- قول الله تعالى: ﴿وَمَا يَتَّبِعُ أَكْثَرُهُمْ إِلَّا ظَنًّا إِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغْنِى مِنَ ٱلْحَقِّ شَيْـًٔا﴾ [يُونس: ٣٦].

قالوا: قد ذم الله من اتبع الظن، وبيّن أنه لا غناء له في الحق، فكان على عمومه، والآيات دالة على انعدام قيمة الظن كلية في مجال تحقيق العلم، فوجب عدم الاعتداد به في ذلك على الإطلاق، وتلك نتيجة مسلّمة، وبهذه الآيات استدل بها من أنكر حجية خبر الواحد قديماً(١)، وحديثاً(٢).

٦- قول الله تعالى: ﴿إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ﴾ [الأنعَام: ١١٦].

٧- قول الله تعالى: ﴿وَمَا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ﴾ [الجَاثِيَة: ٢٤].

٨- قول الله تعالى: ﴿مَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا ٱتِّبَاعَ ٱلظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينَۢا﴾ [النِّسَاء: ١٥٧].

٩- قول الله تعالى: ﴿إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ أَنتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ﴾ [الأنعَام: ١٤٨].

---

(١) المعتمد في أصول الفقه: محمد بن علي البصري المعتزلي: ٢/ ٦٠٤- ٦٠٥، المعهد العلمي الفرنسي للدراسات العربية: دمشق، المحصول في علم أصول الفقه: الرازي: ٢/ ١/ ٥٦٠، ٢/ ٢/ ١٤٤- ١٤٥، طبع جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية: الرياض، الإحكام في أصول الأحكام: علي بن أبي علي الآمدي: ٢/ ٣٥، مؤسسة الحلبي: القاهرة.

(٢) السلطة في الإسلام: عبد الجواد ياسين: ٢٨٥، تبصير الأمة بحقيقة السنة: د.إسماعيل منصور: ١/ ٣٦١.

فالملاحظ في هذه الآيات: أن اتباع الظن منهي عنه، وهذا الظن المنهي عن اتباعه قطعاً ليس هو بمعنى الشك؛ لأن الشك بداهة لا يعوّل عليه ولا يعتبر، ولا يكيف الإنسان سلوكه بحسبه، فالظن المنهي عن اتباعه في هذه الآيات: هو الظن الغالب، وكان هذا السلوك المنبثق من الظن الغالب مخالف لما عليه الواقع، وكل ذلك إنما هو من جراء اتباع الظن الغالب في الحكم على وجود الشيء[1].

ثانياً: السنة النبوية:

ما رواه أبو هريرة ﷺ قال: صلى بنا رسول الله ﷺ إحدى صلاتي العشي؛ إما الظهر وإما العصر، فسلّم في ركعتين، ثم أتى جِذْعاً في قبلة المسجد فاستند إليه مُغْضَباً، وفي القوم أبو بكر وعمر، فهابا أن يتكلما، وخرج سَرَعَان الناس، قُصِرت الصلاة، فقام ذو اليدين فقال: يا رسول الله، أقصرت الصلاة أم نسيت؟ فنظر النبي ﷺ يميناً وشمالاً، فقال: «ما يقول ذو اليدين؟ قالوا: صدق لم تصل إلا ركعتين، فصلى ركعتين وسلّم، ثم كبّر ثم سجد، ثم كبّر فرفع، ثم كبّر وسجد، ثم كبر ورفع، وسلّم»[2].

وقد توقف النبي ﷺ في خبر قصة ذي اليدين، حتى تابعه عليه غيره.

ثالثا: عمل الصحابة ﷺ:

١- ما رواه قبيصة بن ذؤيب ﷺ أنه قال: «جاءت الجدة إلى أبي بكر الصديق ﷺ تسأله ميراثها، فقال: مالك في كتاب الله تعالى شيء، وما علمت لك في سنة نبي الله ﷺ شيئاً؛ فارجعي حتى أسأل الناس، فسأل الناس، فقال المغيرة بن شعبة: حضرت رسول الله ﷺ أعطاها السدس، فقال أبو بكر: هل

---

(١) انظر للتوسع: الآحاد، النسخ، الإجماع: دراسة نقدية لمفاهيم أصولية: سامر إسلامبولي: ٢١- ٢٦.

(٢) رواه البخاري في كتاب: أخبار الآحاد، باب: ما جاء في إجازة خبر الواحد الصدوق في الأذان والصلاة والصوم والفرائض والأحكام، (الحديث: ٧٢٥٠): ٤/ ٣٥٤، ورواه مسلم في كتاب: المساجد ومواضع الصلاة، باب: السهو في الصلاة والسجود له، (الحديث: ٥٧٣)، ١/ ٤٠٣، واللفظ له.

معك غيرك؟ فقام محمد بن مسلمة فقال مثل ما قال المغيرة بن شعبة، فأنفذه لها أبو بكر، ثم جاءت الجدة الأخرى إلى عمر بن الخطاب ﷺ تسأله ميراثها، فقال: مالك في كتاب الله تعالى شيء، وما كان القضاء الذي قُضِيَ به إلا لغيرك، وما أنا بزائد في الفرائض، ولكن هو ذلك السدس، فإن اجتمعتما فيه فهو بينكما، وأيتكما خلت به فهو لها»[1].

فقد توقف أبو بكر ﷺ في خبر المغيرة بن شعبة ﷺ في ميراث الجدة حتى تابعه محمد بن مسلمة ﷺ.

٢- ما رواه أبو سعيد الخدري ﷺ قال: «كنا في مجلس عند أبيّ بن كعب، فأتى أبو موسى الأشعري مُغْضَباً حتى وقف، فقال: أنشدكم الله هل سمع أحد منكم رسول الله ﷺ يقول: الاستئذان ثلاث، فإن أذن لك وإلا فارجع، قال أبيّ: وما ذاك؟ قال: أستأذنت على عمر بن الخطاب أمس ثلاث مرات؛ فلم يؤذن لي فرجعت، ثم جئته اليوم فدخلت عليه، فأخبرته أني جئت أمس فسلمت ثلاثاً ثم انصرفت، قال: قد سمعناك ونحن حينئذ على شُغْل، فلو ما استأذنت حتى يؤذن لك؟ قال: استأذنت كما سمعت رسول الله ﷺ، قال:

---

(١) رواه أبو داود في كتاب: الفرائض، باب: في الجدة، (الحديث: ٢٨٩٤): ٣/ ٣١٦- ٣١٧، واللفظ له، ورواه الترمذي في كتاب: الفرائض، باب: ما جاء في ميراث الجدة، (الحديث: ٢١٠١): ٣/ ٦٠٥- ٦٠٦، وقال: «وهذا حديث حسن صحيح، وهو أصح من حديث ابن عيينة»، ورواه النسائي في السنن الكبرى في كتاب: الفرائض، باب: ذكر اسم هذا الرجل الذي أدخل الزهري بينه وبين قبيصة بن ذؤيب، (الحديث: ٦٣٤٦): ٤/ ٧٥، ورواه ابن ماجه في كتاب: الفرائض، باب: ميراث الجدة، (الحديث: ٢٧٢٤): ٤/ ٢٨٦- ٢٨٧، ورواه أحمد في مسنده، (الحديث: ١٧٩٨٠): ٢٩/ ٤٩٩- ٥٠٠، ورواه ابن حبان في صحيحه في كتاب: الفرائض، (الحديث: ٦٠٣١): ١٣/ ٣٩٠- ٣٩١، وكلهم رووه من طريق ابن شهاب الزهري، عن عثمان بن إسحاق بن خرشة، قبيصة بن ذؤيب ﷺ، والحديث إسناده صحيح؛ لأن رجاله كلهم ثقات، ورواه الحاكم في مستدركه في كتاب: الفرائض، (الحديث: ٧٩٧٨): ٤/ ٣٣٨، من طريق الزهري، عن قبيصة بن ذؤيب ﷺ، وقال: «هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه»، والرجل الذي بين الزهري وقبيصة قد تعين في الروايات السابقة.

فو الله لأوجعن ظهرك وبطنك، أو لتأتيني بمن يشهد لك على هذا، فقال أبيّ بن كعب: فو الله لا يقوم معك إلا أحدثنا سناً، قم يا أبا سعيد، فقمت حتى أتيت عمر، فقلت: قد سمعت رسول الله ﷺ يقول هذا»[(١)].

وقد توقف عمر بن الخطاب رضي الله عنه في خبر أبي موسى الأشعري رضي الله عنه في الاستئذان حتى تابعه أبو سعيد الخدري رضي الله عنه.

وبهذه الأحاديث استدل من أنكر حجية خبر الواحد قديماً[(٢)]، وحديثاً[(٣)].

(١) رواه البخاري في كتاب: الاستئذان، باب: التسليم والاستئذان ثلاثاً، (الحديث: ٦٢٤٥): ٤/ ١٣٩، ورواه مسلم في كتاب: الآداب، باب: الاستئذان، (الحديث: ٢١٥٣): ٣/ ١٦٩٤- ١٦٩٥.

(٢) المعتمد في أصول الفقه: محمد بن علي البصري المعتزلي: ٢/ ٥٩٣، ٦٢٣، تشنيف المسامع بجمع الجوامع: الزركشي: ٢/ ٩٦٨، شرح الكوكب المنير: ابن النجار: ٢/ ٣٦٢.

(٣) نحو فقه جديد: أ. جمال البنا: ٢/ ١١٢- ١١٣، دار الفكر الإسلامي: القاهرة، أضواء على السنة المحمدية: محمود أبو رية: ٣١، ٢٥٩، فجر الإسلام: أحمد أمين: ٣٣٣، دفع الشبهات عن الشيخ محمد الغزالي: د. أحمد حجازي السقا: ١٤٢.

المبحث الثاني

أدلة العلماء في حجية خبر الواحد والرد على أدلة الاتجاه العقلي

إن هذه الأدلة متنوعة وغزيرة؛ لأنها تثبت مدى اهتمام السلف الصالح بهذا الموضوع، وتضافر جهودهم لخدمة السنة وتدعيمها؛ ودرء المفاسد عنها؛ ورد العدوان عليها، وذلك من خلال الرد على من أنكر حجية خبر الواحد؛ وادعى أنه لابد من العدد في رواية الحديث الشريف.

المطلب الأول: أدلة العلماء في حجية خبر الواحد:

استدل علماء المسلمين على حجية خبر الواحد من القرآن الكريم، والسنة النبوية، وعمل الصحابة ﷺ، والمعقول، وهي كما يلي:

أولاً: القرآن الكريم:

١- قول الله تعالى: ﴿فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا۟ فِى ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُوا۟ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓا۟ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾ [التوبة: ١٢٢].

استدل بهذه الآية الإمام البخاري على وجوب العمل بخبر الواحد[(١)]؛ ويشرح ابن حجر العسقلاني ما ذهب إليه الإمام البخاري من الاستدلال بهذه الآية، فيقول: «وهذا مصير منه إلى أن لفظ طائفة يتناول الواحد فما فوقه، ولا يختص بعدد معيّن، وهو منقول عن ابن عباس رضي الله عنهما، وغيره كالنخعي ومجاهد»[(٢)].

---

(١) انظر: صحيح البخاري في كتاب: أخبار الآحاد، باب: ما جاء في إجازة خبر الواحد الصدوق في الأذان والصلاة والصوم والفرائض والأحكام، ٤/ ٣٥٣.

(٢) فتح الباري بشرح صحيح البخاري: ابن حجر العسقلاني: ١٣/ ٢٤٧.

والملاحظ أن أقل عدد يطلق على الفرقة ثلاثة، فتصبح الطائفة تدل على الواحد فأكثر، ويسمى الرجل طائفة لقوله تعالى: ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا۟ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا﴾ [الحُجرَات: ٩]، فلو اقتتل رجلان دخلا في معنى الآية، ولا يعترض على هذا التفسير بقوله تعالى: ﴿وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [النُّور: ٢]؛ لأن السياق في هذه الآية يشعر بأن المراد أكثر من واحد؛ إذ المطلوب في حالة حد الزنى حضور عدد من المؤمنين قصد العظة والزجر، كما أن أحداً لم يقل إن الطائفة لا تكون إلا واحداً[(١)].

٢ـ قول الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ﴾ [المَائدة: ٦٧].

فقد احتج بعض الأئمة بهذه الآية بأن الرسول ﷺ مبعوث للناس كافة، وواجب عليه ـ بفعل الأمر: «بلّغ» ـ أن يوصل الدعوة إلى جميع الناس، فلو كان خبر الواحد غير مقبول لتعذّر إبلاغ الشريعة؛ لأن إرسال عدد التواتر إلى الناس مما يتعذر تحقيقه، فيبقى خبر الآحاد وسيلة ناجعة وفعّالة لإيصال الشريعة إلى الآفاق، وسكّان الأصقاع، وهو استدلال جيد ينضم إلى ما احتج به الشافعي ثم البخاري[(٢)].

٣ـ قول الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقٌۢ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوٓا۟ أَن تُصِيبُوا۟ قَوْمًۢا بِجَهَٰلَةٍ فَتُصْبِحُوا۟ عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَٰدِمِينَ ﴿٦﴾﴾ [الحُجرَات: ٦].

في هذه الآية يؤكد القرآن على الاحتجاج بخبر الواحد مع التثبت، فقد رتّب النبي ﷺ على خبر الآحاد ما يرتب على ما يفيد العلم؛ فقد قبِل خبر الوليد بن عقبة في قصة بني المصطلق، وإرادته ﷺ غزوهم استناداً إلى خبره[(٣)].

وسبب نزول الآية هو: ما رواه الحارث بن ضرار الخزاعي رضي الله عنه أنه قال: «قدِمت على رسول الله ﷺ، فدعاني إلى الإسلام، فدخلت فيه، وأقررت به،

---

(١) فتح الباري بشرح صحيح البخاري: ابن حجر العسقلاني: ١٣/ ٢٤٧.

(٢) فتح الباري بشرح صحيح البخاري: ابن حجر العسقلاني: ١٣/ ٢٤٨.

(٣) توضيح الأفكار لمعاني تنقيح الأنظار: محمد بن إسماعيل الصنعاني: ١/ ٢٧، دار الفكر: بيروت.

فدعاني إلى الزكاة، فأقررت بها، وقلت: يا رسول الله، أرجع إلى قومي فأدعوهم إلى الإسلام، وأداء الزكاة، فمن استجاب لي، جمعت زكاته، فيرسل إليّ رسول الله ﷺ رسولاً لإبّان[1] كذا وكذا ليأتيك بما جمعت من الزكاة، فلما جمع الحارث الزكاة ممن استجاب له، وبلغ الإبّان الذي أراد رسول الله ﷺ أن يبعث إليه، احتبس عليه الرسول، ولم يأته، فظن الحارث أنه قد حدث فيه سخطة من الله عز وجل ورسوله، فدعا بسروات[2] قومه، فقال لهم: إن رسول الله ﷺ كان وقّت لي وقتاً يرسل إليّ رسوله ليقبض ما كان عندي من الزكاة، وليس من رسول الله ﷺ الخُلْف، ولا أرى حبس رسوله إلا من سخطة كانت، فانطلقوا فنأتي رسول الله ﷺ، وبعث رسول الله ﷺ الوليد بن عقبة إلى الحارث ليقبض ما كان عنده مما جمع من الزكاة، فلما أن سار الوليد حتى بلغ بعض الطريق فَرِق[3] فرجع، فأتى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله، إن الحارث منعني الزكاة، وأراد قتلي، فضرب رسول الله ﷺ البعث إلى الحارث، فأقبل الحارث بأصحابه؛ إذ استقبل البعث، وفصل عن المدينة، لقيهم الحارث، فقالوا: هذا الحارث، فلما غشيهم، قال لهم: إلى من بعثتم؟ قالوا: إليك، قال: ولِمَ؟ قالوا: إن رسول الله ﷺ كان بعث إليك الوليد بن عقبة، فزعم أنك منعته الزكاة، وأردت قتله! قال: لا والذي بعث محمداً ﷺ بالحق، ما رأيته بتة، ولا أتاني، فلما دخل الحارث على رسول الله ﷺ قال: منعت الزكاة، وأردت قتل رسولي؟ قال: لا والذي بعثك بالحق، ما رأيته ولا أتاني، وما أقبلت إلا حين احتبس عليّ رسول رسول الله ﷺ، خشيت أن تكون كانت سخطة من الله عز وجل ورسوله، قال: فنزلت»[4].

٤ـ قول الله تعالى: ﴿فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل: ٤٣].

---

(١) أي وقت ظهوره وأوانه. انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر: ابن الأثير الجزري: ٢٥.

(٢) أي أشرافهم. انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر: ابن الأثير الجزري: ٤٢٢.

(٣) أي خاف وفزع. انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر: ابن الأثير الجزري: ٦٩٠.

(٤) رواه أحمد في مسنده، (الحديث: ١٨٤٥٩): ٣٠/ ٤٠٣- ٤٠٥، من طريق محمد بن سابق، عن عيسى بن دينار، عن أبيه وهو دينار الكوفي، عن الحارث بن ضرار الخزاعي، وإسناده حسن؛ لأن محمد بن سابق صدوق. انظر: تقريب التهذيب: ابن حجر: ٤٧٩.

أمر الله تعالى في هذه الآية بسؤال أهل الذكر، ولم يفرق بين المجتهد وغيره، وسؤال المجتهد لغيره منحصر في طلب الأخبار بما سمع دون الفتوى، ولو لم يكن القبول واجباً لما كان السؤال واجباً(١).

٥- قول الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ بِٱلْقِسْطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ﴾ [النِّسَاء: ١٣٥].

أمر المؤمن بالقيام بالقسط والشهادة لله، ومن أخبر عن الرسول ﷺ بما سمعه فقد قام بالقسط وشهد لله، وكان ذلك واجباً عليه بالأمر، وإنما يكون واجباً لو كان القبول واجباً، وإلا كان وجوب الشهادة كعدمها، وهو ممتنع(٢).

٦- قول الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلْنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلْهُدَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِى ٱلْكِتَٰبِ ۙ أُوْلَٰٓئِكَ يَلْعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ ﴿١٥٩﴾﴾ [البَقَرَة: ١٥٩].

أوعد الله في الآية على كتمان الهدى؛ فيجب على من سمع من النبي ﷺ إظهاره، فلو لم يجب علينا قبوله لكان الإظهار كعدمه، والآية وإن كانت نزلت في خاص من الناس، فإنها معني بها كل كاتم علماً فرض الله تعالى بيانه للناس(٣)، والآية تدل على وجوب العمل بخبر الآحاد(٤).

٧- إن الله تعالى أرسل رسله مبشرين ومنذرين آحاداً، كما في كثير من الآيات، كقوله تعالى: ﴿۞ وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ۚ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٦٥﴾﴾ [الأعراف: ٦٥]، وقوله: ﴿وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ﴾ [الأعراف: ٧٣]، وقوله: ﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ﴾ [الأعراف: ٨٥]، وقوله: ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦٓ أَنْ أَنذِرْ قَوْمَكَ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١﴾﴾ [نوح: ١]، وغيرها من الآيات(٥).

---

(١) كشف الأسرار عن أصول فخر الإسلام للبزدوي: عبد العزيز بن أحمد البخاري: ٢/ ٣٧٢.

(٢) كشف الأسرار عن أصول فخر الإسلام للبزدوي: عبد العزيز بن أحمد البخاري: ٢/ ٣٧٢.

(٣) جامع البيان عن تأويل آي القرآن: محمد بن جرير الطبري: ٢/ ٧٣١.

(٤) انظر للتوسع: خبر الواحد وحجيته: د. أحمد بن محمود الشنقيطي: ٢٢١- ٢٣٤، الجامعة الإسلامية: المدينة المنورة.

(٥) انظر: حديث الآحاد ومكانته في السنة: د. محمد فؤاد شاكر: ٤٧، مكتبة الحجاز: القاهرة.

٨ـ أن الرسل عليهم السلام كانوا يقبلون خبر الواحد، ويقطعون بمضمونه؛ فقبله موسى عليه السلام من الذي جاء من أقصى المدينة يسعى قائلاً له؛ كما قال الله تعالى: ﴿قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ ٱلْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَٱخْرُجْ إِنِّي لَكَ مِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ﴾ [القَصَص: ٢٠]، فجزم بخبره، وخرج هارباً، وقبل خبر بنت مدين لما قالت له، كما قال الله تعالى: ﴿قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا﴾ [القَصَص: ٢٥]، وقبل خبر أبيها في قوله: هذه ابنتي، وتزوجها بخبره(١).

٩ـ قول الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدْخُلُواْ بُيُوتَ ٱلنَّبِيِّ إِلَّآ أَن يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَىٰ طَعَامٍ غَيْرَ نَٰظِرِينَ إِنَىٰهُ وَلَٰكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَٱدْخُلُواْ﴾ [الأحزَاب: ٥٣].

يجوز الاكتفاء بإذن الشخص الواحد ودعوته؛ لعدم تعيين العدد في الآية، وهذا متفق على العمل به عند الجمهور، حتى اكتفوا فيه بخبر من لم تثبت عدالته لقيام القرينة فيه بالصدق(٢).

ومن تتبع الآيات وجد فيها كثيراً من هذه الأدلة، وإذا كان في بعضها احتمالات فإنها بمجموعها تقوي دلالتها، كما أن خبر الواحد دلالته عندهم ظنية، فبعد توافق الآحاد تبلغ التواتر فتكون دلالتها قطعية(٣).

والأدلة من القرآن كثيرة على وجوب العمل بخبر الواحد، ولعل ما ذكرته فيه كفاية(٤).

ثانياً: السنة النبوية:

وهو أمر أشهر من أن يخفى لكثرة ما تواردت عليه الأحاديث في الوقائع التي لا تحصى، كلها تصرح بحجية خبر الواحد، وسأقتصر على أهم هذه الأحاديث الشريفة:

---

(١) الإحكام في أصول الأحكام: علي بن أحمد بن سعيد بن حزم: ١/ ١٣٨، دار الآفاق الجديدة: بيروت.

(٢) فتح الباري بشرح صحيح البخاري: ابن حجر: ١٣/ ٢٥٣.

(٣) أخبار الآحاد في الحديث النبوي: حجيتها، مفادها، العمل بموجبها: عبد الله بن عبد الرحمن الجبرين: ١٥٥- ١٥٦، دار عالم الفوائد: مكة المكرمة.

(٤) انظر للتوسع: الرسالة: محمد بن إدريس الشافعي: ٤٣٥- ٤٣٨، مكتبة دار التراث: القاهرة.

١- ما رواه زيد بن ثابت ﷺ أنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**نضر الله امرأ سمع منا حديثاً، فحفظه حتى يبلغه، فرب حامل فقه إلى من هو أفقه منه، ورب حامل فقه ليس بفقيه**»[(١)].

فلما ندب رسول الله ﷺ إلى استماع مقالته وحفظها وأدائها امرأً يؤديها، والامرؤ واحد، دل على أنه لا يأمر أن يؤدي عنه إلا ما تقوم به الحجة على من أدى إليه؛ لأنه إنما يؤدي عنه حلالاً يؤتى، وحراماً يجتنب، وحداً يقام، ومالاً يؤخذ ويعطى، ونصيحة في دين ودنيا[(٢)].

فالرسول ﷺ عوّل كل التعويل على الفرد في السماع، وفي التبليغ، فقال: «امرأ» ولم يقل ناساً، فلو كان تبليغ الفرد مردوداً غير معمول به لم يقل الرسول ﷺ امرأ، ولو كان تبليغ الفرد مردوداً غير معمول به لم يكن الرسول ﷺ يأمر به؛ بل يحض عليه بالترغيب والتبشير[(٣)].

---

(١) رواه أبو داود في كتاب: العلم، باب: فضل نشر العلم، (الحديث: ٣٦٦٠): ٤/ ٦٨- ٦٩، واللفظ له، ورواه الترمذي في كتاب: العلم، باب: ما جاء في الحث على تبليغ السماع، (الحديث: ٢٦٥٦)، ٤/ ٣٩٣- ٣٩٤، وقال أبو عيسى: «وفي الباب عن عبد الله بن مسعود، ومعاذ بن جبل، وجبير بن مطعم، وأبي الدرداء، وأنس، وحديث زيد بن ثابت حديث حسن»، ورواه أحمد في مسنده، (الحديث: ٢١٥٩٠): ٣٥/ ٤٦٧، ورواه ابن حبان في صحيحه في كتاب: العلم، (الحديث: ٦٧): ١/ ٢٧٠، كلهم رووه من طريق عبد الرحمن بن أبان، عن أبيه أبان بن عثمان بن عفان رضي الله عنهما، عن زيد بن ثابت ﷺ، وإسناده صحيح؛ لأن رواته كلهم ثقات، ورواه الحاكم في مستدركه في كتاب: العلم، (الحديث: ٢٩٤): ١/ ٨٦- ٨٧، من طريق الزهري، عن محمد ابن جبير بن مطعم، عن أبيه جبير بن مطعم رضي الله عنهما، وقال: «هذا حديث صحيح على شرط الشيخين»، ورواه ابن ماجه في المقدمة، باب: من بلّغ علماً، (الحديث: ٢٣٠): ١/ ٢١٩، من طريق ليث بن أبي سليم، عن يحيى بن عباد أبي هبيرة الأنصاري، عن أبيه، عن زيد بن ثابت ﷺ، وإسناده ضعيف؛ لأن الليث بن أبي سليم صدوق اختلط جداً، ولم يتميز حديثه فترك. تقريب التهذيب: ابن حجر: ٤٦٤.

(٢) الرسالة: الشافعي: ٤٠١- ٤٠٣.

(٣) أصول علم الحديث بين المنهج والمصطلح: د. أبو لبابة حسين: ٧٨، دار الغرب الإسلامي: بيروت.

٢- ما رواه عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال: «**ليبلغ العلم الشاهد الغائب**»[١].

هذا الحديث يدل صراحة على تكليف الواحد بالتبليغ؛ لأن خبره حجة، وإلا لما كلف بالتبليغ[٢]، ثم جعل المبلَّغ مطالباً بقبول حديث الواحد، وبتدبره واستخلاص ما فيه من العلم والحكمة، واستنباط ما يحتويه من معان وأحكام[٣].

٣- ما رواه مالك بن الحويرث رضي الله عنه أنه قال: أتينا النبي ﷺ ونحن شببة متقاربون، فأقمنا عنده عشرين ليلة، وكان رسول الله ﷺ رقيقاً، فلما ظن أنّا قد اشتهينا أهلنا؛ أو قد اشتقنا، سألَنا عمن تركنا بعدنا فأخبرناه، قال: «**ارجعوا إلى أهليكم، فأقيموا فيهم وعلّموهم ومُروهم، ـ وذكر أشياء أحفظها ولا أحفظها ـ، وصلوا كما رأيتموني أصلي، فإذا حضرت الصلاة فليؤذن لكم أحدكم؛ وليؤمكم أكبركم**»[٤].

فقد أمر النبي ﷺ كل واحد من هؤلاء الشبيبة أن يعلم كل واحد منهم أهله، فلو لم يكن خبر الآحاد تقوم به الحجة لم يكن لهذا الأمر معنى، وهذا تكليف من رسول الله ﷺ للوافدين عليه أن يبلغوا من وراءهم[٥].

٤- حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما، قال: «**بينا الناس بقباء في صلاة الصبح، إذ جاءهم آتٍ، فقال: إن رسول الله ﷺ قد أُنزل عليه الليلة قرآن،**

---

(١) رواه البخاري في كتاب: العلم، باب: ليبلغ العلم الشاهد الغائب، ١/ ٥٤، واللفظ له، ورواه مسلم في كتاب: الحج، باب: تحريم مكة وصيدها وخلاها وشجرها ولقطتها إلا لمنشد على الدوام، (الحديث: ١٣٥٤): ٢/ ٩٨٧- ٩٨٨.

(٢) حجية خبر الواحد في الأحكام والعقائد: د. محمد عبد الله عويضة: ١٩، دار الفرقان: عمان.

(٣) أصول علم الحديث بين المنهج والمصطلح: د. أبو لبابة حسين: ٧٩.

(٤) رواه البخاري في كتاب: أخبار الآحاد، باب: ما جاء في إجازة خبر الواحد الصدوق في الأذان والصلاة والصوم والفرائض والأحكام، (الحديث: ٧٢٤٦): ٤/ ٣٥٣، واللفظ له، ورواه مسلم في كتاب: المساجد ومواضع الصلاة، باب: من أحق بالإمامة، (الحديث: ٦٧٤): ١/ ٤٦٥- ٤٦٦.

(٥) الحديث حجة بنفسه في العقائد والأحكام: محمد ناصر الدين الألباني: ٥٤- ٥٥.

وقد أُمِرَ أن يستقبل الكعبة فاستقبلوها، وكانت وجوههم إلى الشام فاستداروا إلى الكعبة»[(١)].

وهذا من أوضح الأدلة على ما كان عليه الصحابة ﷺ في زمن النبي ﷺ من الاحتجاج بخبر الواحد، وإلا فلم اكتفى ﷺ بإرسال واحد إليهم لولا أن الخبر من الواحد حجة؟ وكيف ترك المسلمون ما كانوا على علم قاطع به من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ إلى ما أخبرهم به آت؟ ولو لم يكن خبر الواحد حجة في الدين لراجعوا النبي ﷺ، أو لراجعهم النبي ﷺ فيما أحدثوا في أمر القبلة، ولقال لهم: كيف تركتم أمري لأمر لم تقم عليكم به حجة من سماعكم مني، أو خبر رواه جمع، ولما لم يكن شيء من ذلك قد حدث، فهذا دليل على حجية خبر الواحد لا مراء فيه، وهذا ما كان عليه النبي ﷺ وأصحابه ﷺ[(٢)].

٥- ما رواه أنس بن مالك ﷺ قال: «**كنت أسقي أبا طلحة الأنصاري، وأبا عبيدة بن الجراح، وأبيّ بن كعب، شراباً من فضيخ**[(٣)]**، وهو تمر، فجاءهم آت فقال: إن الخمر قد حُرِّمت، فقال أبو طلحة: يا أنس، قم إلى هذه الجرار فاكسرها، قال أنس: فقمت إلى مهراس**[(٤)] **لنا، فضربتها بأسفله حتى انكسرت**»[(٥)].

وهذا دليل آخر على حجية خبر الواحد، حيث لم يقل أحد من الصحابة الذين ذكروا في الحديث: نحن على تحليلها حتى نلقى رسول الله ﷺ مع قربه منا، أو

---

(١) رواه البخاري في كتاب: الصلاة، باب: ما جاء في القبلة، (الحديث: ٤٠٣): ١/ ١٤٩، واللفظ له، ورواه مسلم في كتاب: المساجد ومواضع الصلاة، باب: تحويل القبلة من القدس إلى الكعبة، (الحديث: ٥٢٦): ١/ ٣٧٥.

(٢) الرسالة: الشافعي: ٤٠٦- ٤٠٨.

(٣) هو خمر يصنع من البسر المفضوخ أي المشدوخ. انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر: ابن الأثير الجزري: ٦٩٧.

(٤) هو صخرة منقورة تسع كثيراً من الماء، وقد يعمل منها حياض للماء. انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر: ابن الأثير الجزري: ٩٩٢.

(٥) رواه البخاري في كتاب: أخبار الآحاد، باب: ما جاء في إجازة خبر الواحد الصدوق في الأذان والصلاة والصوم والفرائض والأحكام، (الحديث: ٧٢٥٣): ٤/ ٣٥٤، واللفظ له، ورواه مسلم في كتاب: الأشربة، باب: تحريم الخمر، (الحديث: ١٩٨٠): ٣/ ١٥٧٢.

يأتينا خبر عامة، وذلك أنهم لا يهرقون حلالاً فإهراقه سرف وليسوا من أهله، والحال في أنهم لا يدعون إخبار رسول الله ﷺ ما فعلوا، ولا يدع ـ لو كان ما قبلوا من خبر الواحد ليس لهم ـ أن ينهاهم عن قبوله[١].

٦ـ ما رواه أبو هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «**وأما أنت يا أنيس ـ لرجل من أسلم ـ فاغد على امرأة هذا؛ فإن اعترفت فارجمها، فغدا عليها أنيس؛ فاعترفت فرجمها**»[٢].

في هذا الحديث إثبات خبر الواحد، وإيجاب العمل به في الحدود، وإذا وجب ذلك في الحدود؛ فسائر الأحكام أحرى بذلك[٣].

٧ـ اعتماده ﷺ على الواحد من الرسل أو المبعوثين في ميدان الدعوة والتبليغ، والأمثلة على ذلك كثيرة[٤]، منها:

أ ـ ما رواه عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال: «**بعث النبي ﷺ دحية الكلبي بكتابه إلى عظيم بُصرى أن يدفعه إلى قيصر**»[٥].

ب ـ ما رواه أنس رضي الله عنه قال: «أن أهل اليمن قدموا على رسول الله ﷺ فقالوا: ابعث معنا رجلاً يعلّمنا السنة والإسلام، قال: فأخذ بيد أبي عبيدة فقال: «**هذا أمين هذه الأمة**»[٦].

---

(١) الرسالة: الشافعي: ٤٠٩- ٤١٠.

(٢) رواه البخاري في كتاب: أخبار الآحاد، باب: ما جاء في إجازة خبر الواحد الصدوق في الأذان والصلاة والصوم والفرائض والأحكام، (الحديث: ٧٢٦٠): ٤/ ٣٥٥، واللفظ له، ورواه مسلم في كتاب: الحدود، باب: من اعترف على نفسه بالزنى، (الحديث: ١٦٩٧- ١٦٩٨): ٣/ ١٣٢٤- ١٣٢٥.

(٣) التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد: يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر الأندلسي: ١٤/ ٦٢، دار الفاروق الحديثة: القاهرة، الرسالة: الشافعي: ٤١٠.

(٤) انظر للتوسع: الرسالة: الشافعي: ٤١١- ٤١٩، فتح الباري بشرح صحيح البخاري: ابن حجر: ١٣/ ٢٥٤- ٢٥٥، الطبقات الكبير: ابن سعد: ١/ ٢٢٢- ٢٤٥.

(٥) رواه البخاري في كتاب: أخبار الآحاد، باب: ما كان يبعث النبي ﷺ من الأمراء والرسل واحداً بعد واحد، ٤/ ٣٥٦.

(٦) رواه البخاري في كتاب: أخبار الآحاد، باب: ما جاء في إجازة خبر الواحد الصدوق في =

وهذه الأمور تواتر منه ﷺ أنه كان يبعث الآحاد إلى النواحي لتبليغ الأحكام، مع العلم بتكليف المبعوث إليهم العمل بذلك[١].

ثالثاً: عمل الصحابة رضي الله عنهم وإجماعهم:

لقد أجمع الصحابة رضي الله عنهم على قبول خبر الواحد وحجيته، وقد اشتهر ذلك منهم في وقائع كثيرة[٢]، وسأقتصر على بعض هذه الوقائع:

١- فقد سأل عمر بن الخطاب رضي الله عنه الصحابة رضي الله عنهم في أمر المجوس، فقال: ما أدري كيف أصنع في أمرهم، فقال عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه: أشهد لسمعت رسول الله ﷺ يقول: «**سنوا بهم سنة أهل الكتاب**»[٣].

فأخذ بذلك عمر رضي الله عنه، وكان يأخذ منهم الجزية ويقرهم على دينهم.

٢- أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه خرج إلى الشام، فأخبروه أن الوباء قد وقع بأرض الشام، فأخبره عبد الرحمن بن عوف أن النبي ﷺ قال: «**إذا سمعتم به بأرض فلا تقدموا عليه، وإذا وقع بأرض وأنتم بها فلا تخرجوا فراراً منه قال: فحمد**

= الأذان والصلاة والصوم والفرائض والأحكام، (الحديث: ٧٢٥٤): ٤/ ٣٥٤، ورواه مسلم في كتاب: فضائل الصحابة رضي الله عنهم، باب: فضائل أبي عبيدة بن الجراح رضي الله عنه، (الحديث: ٥٤): ٤/ ١٨٨١، واللفظ له.

(١) شرح الكوكب المنير: ابن النجار الحنبلي: ٢/ ٣٧٥.

(٢) انظر للتوسع: الرسالة: الشافعي: ٤٢٢- ٤٣١، فتح الباري بشرح صحيح البخاري: ابن حجر: ١٣/ ٢٤٧- ٢٤٨، الكفاية في علم الرواية: أحمد بن علي الخطيب البغدادي: ٢٦- ٣١، دار الكتب العلمية: بيروت، المستصفى من علم الأصول: محمد بن محمد الغزالي الطوسي: ١/ ٢٧٦- ٢٨٠، مؤسسة الرسالة: بيروت، إحكام الفصول في أحكام الأصول: أبو الوليد الباجي: ١/ ٣٤٠- ٣٤٤، دار الغرب الإسلامي: بيروت، البرهان في أصول الفقه: الجويني: ١/ ٦٠١، ٦٠٨، طبع بالدوحة: قطر، حجية خبر الواحد في الأحكام والعقائد: د. محمد عبد الله عويضة: ٣٥- ٥٤.

(٣) رواه البخاري في كتاب: الجزية والموادعة، باب: الجزية والموادعة مع أهل الذمة الحرب، (الحديث: ٣١٥٧): ٢/ ٤٠٦، ورواه مالك في الموطأ في كتاب: الزكاة، باب: ما جاء في جزية أهل الكتاب والمجوس، (الحديث: ٧٤٢): ١/ ٢٨٩، واللفظ له، مؤسسة الرسالة: بيروت.

الله عمر ثم انصرف»، قال ابن شهاب: وأخبرني سالم بن عبد الله بن عمر ﷺ أن عمر ﷺ إنما انصرف بالناس من حديث عبد الرحمن بن عوف[١].

٣- حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما: «أنه كان يكري مزارعه على عهد رسول الله ﷺ، وفي إمارة أبي بكر، وعمر، وعثمان ﷺ وصدراً من خلافة معاوية ﷺ، حتى بلغه في آخر خلافة معاوية ﷺ، أن رافع ابن خديج ﷺ يحدث فيها بنهيٍ عن النبي ﷺ، فدخل عليه فسأله فقال: **كان رسول الله ﷺ ينهى عن كراء المزارع، فتركها ابن عمر ﷺ بعد**»[٢].

٤- قال زيد بن ثابت ﷺ لابن عباس رضي الله عنهما: «تفتي أن تصدر الحائض قبل أن يكون آخر عهدها بالبيت؟، فقال له ابن عباس رضي الله عنهما: إما لا، سل فلانة الأنصارية، هل أمرها بذلك رسول الله ﷺ ؟، قال: فرجع زيد بن ثابت إلى ابن عباس يضحك، وهو يقول: ما أراك إلا قد صدقت»[٣].

٥- رجوع ابن عباس رضي الله عنهما إلى خبر أبي سعيد الخدري ﷺ في تحريم ربا الفضل، فقد روى أبو الصهباء قال: «سمعته يأمر بالصرف ـ يعني ابن عباس رضي الله عنهما ـ ويحدّث ذلك عنه، ثم بلغني أنه رجع عن ذلك، فلقيته بمكة، فقلت: إنه بلغني أنك رجعت، قال: نعم، إنما كان ذلك رأياً مني، وهذا أبو سعيد يحدّث عن رسول الله ﷺ أنه نهى عن الصرف»[٤].

---

(١) رواه البخاري في كتاب: الطب، باب: ما يذكر في الطاعون، (الحديث: ٥٧٢٩- ٥٧٣٠): ٤/ ٤١- ٤٢، واللفظ له، ورواه مسلم في كتاب: السلام، باب: الطاعون والطيرة والكهانة ونحوها، (الحديث: ٢٢١٩): ٤/ ١٧٤٠- ١٧٤١.

(٢) رواه مسلم في كتاب: البيوع، باب: كراء الأرض، (الحديث: ١٠٩): ٣/ ١١٨٠.

(٣) رواه البخاري في كتاب: الحج، باب: إذا حاضت المرأة بعد ما أفاضت، (الحديث: ١٧٥٨- ١٧٥٩): ١/ ٥٣٣، ورواه مسلم في كتاب: الحج، باب: وجوب طواف الوداع وسقوطه عن الحائض، (الحديث: ٣٨١): ٢/ ٩٦٣- ٩٦٤، واللفظ له.

(٤) رواه البخاري بمعناه في كتاب: البيوع، باب: بيع الدينار بالدينار نساء، (الحديث: ٢١٧٨- ٢١٧٩): ٢/ ١٠٨، ورواه مسلم بمعناه في كتاب: المساقاة، باب: بيع الطعام مثلاً بمثل، (الحديث: ١٠٠- ١٠١/ ١٥٩٦): ٣/ ١٢١٧.

٦- لقد اختلف الصحابة ﷺ من المهاجرين والأنصار في الغسل من الجماع من غير إنزال، فأرسلوا أبا موسى الأشعري ﷺ إلى عائشة رضي الله عنها، فأخبرته بحديث رسول الله ﷺ: **«إذا مس الختان الختان فقد وجب الغسل»** فرجعوا إلى قولها[١].

رابعاً: المعقول:

١- إن الرسول ﷺ بُعِث لتبليغ الأحكام، وصدق خبر الواحد ممكن؛ فيجب العمل به احتياطاً؛ وإن إصابة الظن بخبر الصدوق غالبة، ووقوع الخطأ فيه نادر، فلا تترك المصلحة الغالبة خشية المفسدة النادرة[٢].

٢- العمل بخبر الواحد يقتضي دفع ضرر مظنون فكان العمل به واجباً[٣].

٣- الاحتجاج بخبر الواحد الصحيح أمر بدهي تقضي به الفطرة، لا يحتاج إلى كثير من الاستدلالات والبراهين، فما من إنسان إلا وهو يعول شؤونه في العمل أو التجارة أو الدراسة أو غيرها، على ما يخبره به واحد موثوق من الناس، حيث يقع في نفسه صدق المخبر، ويغلب على احتمال الغلط أو احتمال الكذب، بل إن الشؤون الكبرى في مصير الأمم يعتمد فيها على إخبار الآحاد المعتمدين، كالسفراء، أو المبعوثين من قبل الحكومات، فالتوقف عن قبول خبر الواحد يفضي إلى تعطيل الدين والدنيا[٤].

المطلب الثاني: رد العلماء على أدلة أصحاب الاتجاه العقلي في عدم حجية خبر الواحد:

أولاً: الرد على دليلهم من القرآن الكريم:

---

(١) رواه مسلم في كتاب الحيض، باب: نسخ الماء من الماء ووجوب الغسل من التقاء الختانين، (الحديث: ٣٤٩): ١/ ٢٧١- ٢٧٢.

(٢) فتح الباري بشرح صحيح البخاري: ابن حجر: ١٣/ ٢٤٨.

(٣) المحصول في علم أصول الفقه: الرازي: ٢/ ١/ ٥٥٧.

(٤) الاتجاهات العامة للاجتهاد ومكانة الحديث الآحادي الصحيح منها: د. نور الدين عتر: ٥٦، دار المكتبي: دمشق.

الإجابة على شبهة هذا الاتجاه فيما فسروه من الآيات التي استدلوا بها على رفض خبر الواحد بما يلي:

١- إن قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ﴾ [الإسراء: ٣٦]، حجة لنا عليهم في هذه المسألة؛ لأنا لم نقف ما ليس لنا به علم؛ بل قد صح لنا به العلم من اتباع الرسول ﷺ خبر الواحد[١]، ومن انعقاد إجماع من يعتد به على حجية خبر الواحد ووجوب العمل به، والإجماع قاطع؛ فاتباعه لا يكون اتباعاً لما ليس لنا به علم، ولا اتباعاً للظن[٢]، ولا خلاف في أن خبر الواحد إذا وقع الإجماع على العمل بمقتضاه فإنه يفيد العلم؛ لأن الإجماع عليه قد صيره من المعلوم صدقه، وهكذا خبر الواحد إذ تلقته الأمة بالقبول، فسقط اعتراضهم بهذه الآية[٣].

٢- إن الظن الوارد في الآيات غير الظن الذي يتحدث عنه علماء اللغة والفلسفة، غير الظن الذي وصف به خبر الآحاد على لسان أئمة المسلمين من المحدثين، والأصوليين، وبالتالي من الخطأ البين حصر معنى الظن فيما استدلوا به، وإنما المعتبر فيه هو التجويز العقلي المحض للاحتمال المضاد؛ فالتجويز العقلي شيء، والوقوع في نفس الأمر شيء آخر، وبينهما فرق كبير يعرفه كل ذي عقل سليم[٤]، والمراد بحقيقة الظن عند علماء الأمة هو ما يلي:

أ ـ الظن في اللغة: هو التردد الراجح بين طرفي الاعتقاد غير الجازم[٥]، ويأتي بمعنى العلم كقوله تعالى: ﴿إِنِّي ظَنَنتُ أَنِّي مُلَٰقٍ حِسَابِيَهْ ﴿٢٠﴾﴾ [الحاقة: ٢٠]، أي علمت، ويأتي بمعنى الشك، والتهمة[٦].

---

(١) الإحكام في أصول الأحكام: ابن حزم: ١/ ١١٤- ١١٥.

(٢) الإحكام في أصول الأحكام: الآمدي: ٢/ ٣٥، ٤٦.

(٣) إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول: محمد بن علي الشوكاني: ٤٩- ٥٠، دار المعرفة: بيروت.

(٤) أحاديث الصحيحين بين الظن واليقين: الشيخ حافظ ثناء الله الزاهدي: ٩، دار الفتح: الشارقة.

(٥) القاموس المحيط: الفيروزآبادي: مادة ظن.

(٦) لسان العرب: ابن منظور: مادة ظنن.

ب ـ هذا التعريف استعمله علماء الكلام حيث قالوا: «الظن هو الاعتقاد الراجح مع احتمال النقيض، ويستعمل في اليقين والشك، وقيل: هو أحد طرفي الشك بصفة الرجحان»(١).

ج ـ الظن عند علماء الأصول: «هو ترجيح أحد الاحتمالين الممكنين على الآخر في النفس من غير قطع»(٢).

د ـ الظن عند علماء الحديث: ليس لهذا المصطلح وجود عندهم، حيث إن خبر الواحد عندهم يوجب العلم، ولعلهم أرادوا أنه يفيد العلم بوجوب العمل، أو سمّوا الظن علماً(٣)، وخبر الآحاد؛ وإن كان ظنياً؛ بمعنى احتمال الخطأ والوهم والكذب على الراوي، فإن هذا الاحتمال بعد التثبت والتأكد من عدالة الراوي، ومقابلة روايته بروايات أقرانه من المحدثين، يصبح الاحتمال بخطأه ووهمه ضعيفاً؛ فيفيد الخبر العلم اليقيني، ولاسيما إذا احتفت به قرينة من القرائن، وحتى مع القول بأن خبر الواحد يفيد الظن الراجح بصدق الخبر؛ فإن هذا الظن يستند إلى أصل قطعي وهو القرآن الكريم(٤).

٣ـ نسألهم أين الدليل على أن الله تعالى منعنا بالعمل بالظن، وأمرنا دائماً وأبداً باليقين؟ فالله تعالى لم يطالبنا إلا بالظن الذي يغلّب صدقه، أما الوصول إلى اليقين القاطع الذي ليس معه أي احتمال، فهذا لا يطلب من الإنسان المسلم، إذ ليس من مقدوره أن يصل إلى اليقين، ولهذا عندما تكلم العلماء عن القرآن الكريم، قالوا: إن بعضه قطعي الثبوت قطعي الدلالة، وبعضه قطعي الثبوت ظني الدلالة، وقد قال تعالى في محكم كتابه: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ ۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ ۗ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا

(١) التعريفات: علي بن محمد الجرجاني: ١٨٧، دار الريان: القاهرة.
(٢) الإحكام في أصول الأحكام: الآمدي: ٢/ ٣١.
(٣) المستصفى من علم الأصول: الغزالي: ١/ ٢٧٢.
(٤) السنة النبوية في كتابات أعداء الإسلام: مناقشتها والرد عليها: د.عماد السيد الشربيني: ٢/ ٢٩.

بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٧﴾﴾ [آل عِمرَان: ٧]، فالراسخون في العلم هم الذين يعودون بالمتشابه إلى المحكم، ويفهمون بذلك الجميع، ومن يطّلع على علم أصول الفقه يتبين الفروق بين العموم والخصوص، ودلالات الألفاظ على المعاني، ودرجة تلك الدلالة مما جرى فيه اختلاف العلماء في كل زمان؛ وفهمهم من كتاب الله تعالى، مما يدل على أننا لسنا متعبدين باليقين؛ كما قال تعالى: ﴿وَٱسْتَشْهِدُوا۟ شَهِيدَيْنِ مِن رِّجَالِكُمْ﴾ [البَقَرَة: ٢٨٢]، ففي هذه الآية أوجب الله تعالى علينا قبول قول شاهدين، والعمل بمقتضى شهادتهما في إثبات الحقوق، والدماء، ولاشك أن خبر الشاهدين هو خبر آحاد، ومع ذلك فخبرهما معتبر شرعاً.

مما تقدم يتبين أن كون السنة مفيدة للظن لا يقتضي ردها، وعدم الإذعان لأمرها؛ بل ذلك يقتضي اتباع ما جاء فيها، إضافة إلى ذلك؛ فإن علماء الحديث قد اعتنوا في أمرها، وتتبعوا طرقها حتى أصبحت السنة الصحيحة قريبة من اليقين في ثبوتها، تورث الإنسان حين اطلاعه على شروط الأئمة في قبول الحديث ثقة بها، وعلماً بأن هذه السنة محفوظة بحفظ الله تعالى لها؛ لأن بها بيان كتاب الله، ومعرفة أحكامه وشرائعه[١].

٤- إن تتبّع معنى الظن في هذه الآيات؛ يدل على أن الظن الذي ورد ذَمّه وتوبيخ أصحابه، هو الظن المرجوح، المخالف للقطعيات واليقينيات، والذي أدى بمتبعيه إلى الوقوع في الشرك، واتخاذ الأنداد من دون الله، أما الظن الراجح، فلم يرد مطلقاً ذم لأصحابه أو نهي عن اتباعه، سواء في العقيدة أو الأحكام، وبمثل هذا الظن يحكم القاضي في الأموال والدماء بشهادة الشهود والقرائن، وكلها من قبيل الظن الراجح[٢].

---

(١) ظاهرة رفض السنة وعدم الاحتجاج بها: د. صالح أحمد رضا: ٥٨- ٦٠، مطبعة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية: الرياض.

(٢) انظر للتوسع: مناهج الاستدلال على مسائل العقيدة الإسلامية بمصر في العصر الحديث: د. أحمد قوشتي عبد الرحيم: ١٣٨- ١٤٠، المدخل إلى السنة النبوية: د. عبد المهدي بن عبد القادر بن عبد الهادي: ٣١٨- ٣٢٢، دار الاعتصام: القاهرة.

ثانياً: الرد على دليلهم من السنة النبوية:

الإجابة على شبهة هذا الاتجاه فيما استدلوا به من حديث ذي اليدين على رفض خبر الواحد بما يلي:

١ـ أن هذا الحديث هو الوحيد بين عشرات الأخبار والأفعال في الاحتجاج بخبر الواحد، فهو على أية حال لا يعتبر القاعدة في هذا الشأن، وإنما يعتبر الاستثناء بين باقي النصوص، ثم إن هذا الخبر لم يرد ما يصرح بأنه إنما توقف النبي ﷺ في الأخذ به؛ لأنه خبر آحاد، على حين ثبت التصريح القولي، وثبت العمل الفعلي بأخبار الآحاد كما نقلنا ذلك من قبل، فهو على أي حال محتمل، ولا يدفع النصوص الصريحة، والأعمال الواضحة في الاحتجاج بأخبار الآحاد.

٢ـ خبر ذي اليدين معارض لما غلب على ظن النبي ﷺ من أنه أتم الصلاة، فلهذا المعارض لابد من مرجّح، فلما شهد أبو بكر وعمر رضي الله عنهما بذلك، رجّح قول ذي اليدين على ما غلب على ظن النبي ﷺ فقبله.

٣ـ خبر ذي اليدين، كان معارَضاً بسكوت الجمع الكثير من الصحابة رضي الله عنهم الذين شهدوا الصلاة، فسكوتهم أمارة على خطأ ذي اليدين، فتوقف النبي ﷺ، فلما شهد معه غيره؛ تبين أن هذا السكوت غير معارض لما قاله ذو اليدين، فأخذ به[1].

٤ـ توقف رسول الله ﷺ عن قول ذي اليدين يحتمل ثلاثة أمور:

أ ـ أنه جوز الوهم عليه لكثرة الجمع، وبُعد انفراده بمعرفة ذلك مع غفلة الجميع، إذ الغلط عليه أقرب من الغلط على الجمع الكثير، وحيث ظهرت أمارات الوهم يجب التوقف.

ب ـ أنه وإن علم صدقه؛ جاز أن يكون سبب توقفه أن يعلّمهم وجوب التوقف في مثله، ولو لم يتوقف لصار التصديق مع سكوت الجماعة سنة ماضية، فحسم سبيل ذلك.

---

(١) حجية خبر الواحد في الأحكام والعقائد: د. محمد عبد الله عويضة: ٢٨.

ج ـ أنه قال قولاً لو علم صدقاً لظهر أثره في حق الجماعة، واشتغلت ذمتهم فألحق بقبيل الشهادة، فلم يقبل فيه قول الواحد[١].

٥ـ الحديث هو خبر الواحد فلا يستدل به لإبطاله، وإنما توقف النبي ﷺ للريبة؛ لأن الانفراد من بين جماعة مشاركة في سبب العلم مظنة الخطأ؛ لا لأنه خبر الواحد، كيف وقد عمل مراراً بخبر الواحد[٢].

ونخلص من كل هذا إلى أن التوقف في خبر ذي اليدين؛ إنما كان لأمر عارض آخر مجرد تفرد به، وإلا فكيف يرده للتفرد، وقد تواتر عنه ﷺ قبول خبر الواحد والعمل به.

ثالثاً: الرد على دليلهم من عمل الصحابة رضي الله عنهم:

١ـ توقف أبي بكر رضي الله عنه في حديث المغيرة بن شعبة رضي الله عنه في ميراث الجدة؛ فهو أولاً لا ينقض العمل بخبر الواحد؛ لأنه بعد أن شهد له محمد بن مسلمة رضي الله عنه يبقى من قبيل الآحاد، فلا يبلغ بذلك حد التواتر، ولا حد الشهرة عند من يقولون بذلك.

٢ـ من ناحية أخرى ليس رداً للحديث؛ وعدم العمل به، وإنما هو طلب لراو آخر يقوّى به الرواية ويظهرها، ويؤكدها لعلة عرضت لأبي بكر رضي الله عنه حول هذه الرواية، فاستغرب أبو بكر رضي الله عنه خفاء ميراث الجدة عليه، وعلى الناس، ومعرفة المغيرة رضي الله عنه له دون غيره من الصحابة رضي الله عنهم، فهذه الغرابة هي التي ألحقت الريبة في الرواية، فلعل الراوي وهم أو نسي، فأراد أبو بكر رضي الله عنه أن يستظهر لهذه الرواية رواية أخرى قبل أن يثبت حكماً في هذا الدين، فلهذا الاستغراب من أبي بكر رضي الله عنه، وهو سبب عارض بالنسبة للرواية وكونها رواية واحد، كان طلب الشاهد لا لمجرد كونها رواية واحد بدليل قبوله لآحاد غيرها.

---

(١) المستصفى من علم الأصول: الغزالي: ١/ ٢٨٧، الإحكام في أصول الأحكام: الآمدي: ٢/ ٦٢.

(٢) فواتح الرحموت شرح مسلم الثبوت في أصول الفقه: محب الله بن عبد الشكور: ٢/ ١٣٦، دار العلوم الحديثة: بيروت.

٣- أبو بكر ﷺ الذي توقف في هذه الرواية، وطلب مع المغيرة ﷺ شاهداً لم يثبت عنه أنه توقف في رواية أخرى؛ بل ثبت عنه قبول العديد من أخبار الآحاد، والذي يستغرب من موقف هؤلاء الناس الذين عرفوا توقف أبي بكر ﷺ في هذا الحديث؛ ولم يعرفوا قبوله للعديد من أحاديث الآحاد غيره، وجعلوا توقفه في هذا الحديث قاعدة للصحابة ﷺ في الاحتجاج بأحاديث الآحاد، ومئات الروايات صارت هي الاستثناء(١).

٤- لعل توقف أبي بكر ﷺ في حديث المغيرة ﷺ في توريث الجدة، له وجه اقتضى التوقف، وربما لم يطلع عليه أحد، أو لينظر أنه حكم مستقر، أو منسوخ، أو ليعلم هل عند غيره مثل ما عنده ليكون الحكم أوكد، أو خلافه فيندفع، أو توقف في انتظار استظهار بزيادة؛ كما يستظهر الحاكم بعد شهادة اثنين على جزم الحكم إن لم يصادف الزيادة، لا على الرد، أو أظهر التوقف لئلا يكثر الإقدام على الرواية عن تساهل، ويجب حمله على شيء من ذلك؛ إذ ثبت قطعاً قبول خبر الواحد، وترك الإنكار على القائلين به(٢).

٥- أما سبب توقف عمر ﷺ في حديث أبي موسى ﷺ في الاستئذان، فقد قال عمر ﷺ بعد أن شهد أبو سعيد الخدري ﷺ مع أبي موسى ﷺ بأنه سمع ذلك من النبي ﷺ: «إني لم أتهمك، ولكن الحديث عن رسول الله ﷺ شديد»(٣)، وقد شهد أيضاً أبيّ بن كعب ﷺ مع أبي موسى ﷺ، وقال أبيّ لعمر: يا ابن الخطاب، فلا تكونن عذاباً على أصحاب رسول الله ﷺ فقال عمر ﷺ: «سبحان الله! إنما سمعت شيئاً فأحببت أن أتثبت»(٤).

وفي هذا بيان صريح من عمر ﷺ لسبب توقفه في قبول هذا الحديث؛ فهو أولاً: لم يتوقف فيه لأنه واحد؛ وإنما توقف لأنه يريد أن يتشدد ويشدد في قبول

---

(١) حجية خبر الواحد في الأحكام والعقائد: د. محمد عبد الله عويضة: ٥٩- ٦٠.

(٢) المستصفى من علم الأصول: الغزالي: ١/ ٢٨٨.

(٣) رواه أبو داود في كتاب: الأدب، باب: كم مرة يسلم الرجل في الاستئذان، (الحديث: ٥١٨٣): ٥/ ٣٧٢.

(٤) رواه مسلم في كتاب: الآداب، باب: الاستئذان، (الحديث: ٢١٥٤): ٣/ ١٦٩٦- ١٦٩٧.

الأخبار عن رسول الله ﷺ حتى لا يتساهل الناس في هذا الأمر، وثانياً: يريد أن يتثبت ليزيل شبهة عرضت له في هذا الخبر[١].

٦- كان أبو موسى رضي الله عنه محتاجاً إليه ليدفع به سياسة عمر رضي الله عنه عن نفسه لما انصرف عن بابه، بعد أن قرع ثلاثاً كالمترفِّع عن المُثُول ببابه، فخاف عمر رضي الله عنه أن يصير ذلك طريقاً لغيره إلى أن يروى الحديث على حساب غرضه، بدليل أنه لما رجع مع أبي سعيد الخدري رضي الله عنه وشهد له، قال عمر رضي الله عنه: «إني لم أتهمك، ولكني خشيت أن يتقوّل الناس على رسول الله ﷺ»، ويجوز للإمام التوقف مع انتفاء التهمة لمثل هذه المصلحة[٢].

٧- توقفهم لمعان أوجبت التوقف؛ وإلا فقد قبلوا خبر الواحد، وكان النبي ﷺ ينفذ الآحاد إلى الملوك والسعاة للزكوات[٣]، أو أنهم فعلوا ذلك تثبتاً في قضية خاصة؛ ولذلك حكما في وقائع كثيرة بأخبار الآحاد[٤].

٨- ليس ما ذكر عن الصحابة رضي الله عنهم من ردهم للأخبار[٥] كان لذات الخبر، وإنما لأسباب كالاحتياط، أو التثبت، أو قامت شبهة، أو مانع من القبول، ولو قصرنا العمل على الأخبار المتواترة لتعطل كثير من الأحكام؛ وخاصة أن الأخبار المتواترة قليلة، والحوادث كثيرة[٦].

(١) انظر للتوسع: المجروحون من المحدثين والضعفاء والمتروكين: ابن حبان: ١/ ٣٧- ٣٨، تذكرة الحفاظ: شمس الدين الذهبي: ١/ ٦، دار إحياء التراث العربي: بيروت، حجية خبر الواحد في الأحكام والعقائد: د. محمد عبد الله عويضة: ٥٨.

(٢) المستصفى من علم الأصول: الغزالي: ١/ ٢٨٨.

(٣) تشنيف المسامع بجمع الجوامع لتاج الدين السبكي: محمد بن بهادر الزركشي: ٢/ ٩٧٠.

(٤) شرح الكوكب المنير: ابن النجار الحنبلي: ٢/ ٣٦٤.

(٥) انظر للتوسع: حجية خبر الواحد في الأحكام والعقائد: د. محمد عبد الله عويضة: ٦٢- ٧٠، السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي: د. مصطفى السباعي: ١٦٢- ١٦٤، دار السلام: القاهرة.

(٦) حكم الاحتجاج بخبر الواحد إذا عمل الراوي بخلافه: عبد الله بن عويض المطرفي: ٥٤، مكتبة الرشد: الرياض.

الفصل الثالث

أبرز آراء أصحاب الاتجاه العقلي في الأحاديث النبوية والرد عليها

المبحث الأول: رأي الاتجاه العقلي في مسألة الشفاعة كنموذج لأحاديث العقيدة والرد عليه.

المطلب الأول: رأي أصحاب الاتجاه العقلي وأدلتهم في رد أحاديث الشفاعة والرد عليها.

المطلب الثاني: أدلة العلماء في إثبات الشفاعة.

المبحث الثاني: رأي الاتجاه العقلي في مسألة سحر النبي ﷺ كنموذج لأحاديث السيرة والرد عليه.

المطلب الأول: رأي أصحاب الاتجاه العقلي وأدلتهم في رد حديث سحر النبي ﷺ.

المطلب الثاني: أدلة العلماء في إثبات حديث سحر النبي ﷺ والرد على أدلة الاتجاه العقلي.

المبحث الثالث: رأي الاتجاه العقلي في مسألة حد الردة كنموذج لأحاديث الأحكام والرد عليه.

المطلب الأول: رأي أصحاب الاتجاه العقلي وأدلتهم في رد أحاديث حد الردة.

المطلب الثاني: أدلة العلماء في إثبات حد الردة والرد على أدلة الاتجاه العقلي.

المبحث الأول

رأي الاتجاه العقلي في مسألة الشفاعة كنموذج لأحاديث العقيدة

المطلب الأول: رأي أصحاب الاتجاه العقلي وأدلتهم في رد أحاديث الشفاعة والرد عليها:

إن سبب تبنّي هذا الرأي عند أصحاب هذا الاتجاه؛ هو لغلبة المنحى العقلي على تفكيرهم، وإيثارهم لأدلة العقول على ما سواها في مجال الاستدلال، ولقلة اشتغالهم بالحديث وعلومه.

أولاً: رأي أصحاب الاتجاه العقلي في رد أحاديث الشفاعة[١]:

إن الأصل في رأيهم هذا؛ هو ما قال به المعتزلة[٢]، والإباضية من الخوارج[٣]، والزيدية من الشيعة[٤] في إنكار الشفاعة لإخراج قوم من النار، وهم

(١) الشفاعة: «هي التجاوز عن الذنوب والجرائم». انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر: ابن الجزري: ٤٨٠. أو هي: «توسل رسول الله ﷺ وسجوده بين يدي ربه، وتضرعه إليه، ليخفف عن الناس في الآخرة موقفهم، ويعجل لهم فصل القضاء وحسابهم في حشرهم، ثم تضرعه إلى الله لينقذ العصاة من أمته، بأن يسامحهم، ويخرجهم من النار بعد أن دخلوها بذنوبهم، وأن يرفع درجات بعض المؤمنين من أمته في الجنة، إظهاراً لمقامه عند ربه. انظر: الشفاعة في القرآن والسنة وعقيدة المسلمين: د. فاروق حمادة: ١٦، دار الكلم الطيب: دمشق.

(٢) انظر للتوسع: حجية الدليل النقلي بين المعتزلة والأشاعرة: أحمد قوشتي عبد الرحيم: ١٢٨-١٢٩، المعتزلة بين الفكر والعمل: بحث موقف المعتزلة من السنة: د. أبو لبابة حسين: ١٣٣- ١٣٥.

(٣) هذه مبادئنا: رد على كتاب الإباضية عقيدة ومذهباً للدكتور صابر طعيمة: أحمد مهني مصلح، محمود جمعة الأندلسي، عاشور يوسف كسكاس، مهني عمر التيواجني: ١٣١، مكتبة الاستقامة: مسقط.

(٤) الشفاعة عند المسلمين من خلال التفسير القرآني والحديث النبوي: د. حسيب عبد الحليم شعيب: ٣٦، دار الكاتب العربي: بيروت.

من دخلها ممن ارتكب الكبائر[١] فقط، وهذا هو تحرير محل الخلاف بين المعتزلة والإباضية ومن تبعهم من أصحاب الاتجاه العقلي؛ وبين جمهور علماء المسلمين الذين قالوا بأن عصاة الموحدين الذين ماتوا على التوحيد، وهم من أهل الكبائر سوف تشملهم شفاعة الله، أو من أذن له الله كالأنبياء والملائكة والشهداء والصالحين[٢]، وهذه تعتبر أول قضية شغلت الفكر الإسلامي منذ عصر الصحابة ﷺ إلى يومنا هذا[٣]، وسأذكر أهم أقوال هذا الاتجاه في ذلك، ثم أورد من تأثر بهم من أصحاب الاتجاه المنحرف:

الأول: أقوال أصحاب الاتجاه العقلي في رد أحاديث الشفاعة:

١- قال د. مصطفى محمود: «المسلم الذي بلغ درجة التقوى في إسلامه؛ ينبغي أن يأخذ أحاديث الشفاعة بمنتهى الحذر؛ ويرفض أكثرها بلا تردد... ولهذا كان موضوع الشفاعة موضوعاً محبباً للشيطان لاستدراج الإنسان إلى الشرك... والشفاعة فيها فتنة؛ لأنها تزين للعبد مصلحة، ومن هنا يحلو للشيطان أن يستدرجنا من خلالها لنفعل ما نشاء من موبقات وخطايا، ولا نشغل أنفسنا بتوبة، فصاحب المقام المحمود سوف يخرجنا في النهاية من النار بإشارة من يده، ولم يسلم رواة الأحاديث من هذا المنزلق، فهم بشر، فيهم ضعف البشر، وليسوا ملائكة، ومن هنا جاءت المشكلة»[٤].

---

(١) الكبيرة: «هي ما توعّد عليه الشارع في الكتاب أو السنة»، ولذلك قال ابن عباس رضي الله عنهما: «الكبيرة: كل ذنب ختمه الله بنار أو غضب أو لعن أو عذاب»، والأمثلة على الكبائر كثيرة: كالقتل والزنا واللواط وشرب الخمر والسرقة والغصب وشهادة الزور وقطع الرحم وأكل الربا وأكل مال اليتيم... انظر: التقرير والتحبير شرح التحرير في علم الأصول: ابن أمير الحاج: ٢/ ٢٤٢، ٢٤٤، دار الكتب العلمية: بيروت.

(٢) الشفاعة: حوار علمي استدلالي بين د. يوسف القرضاوي ود. مصطفى محمود: د. محمد شيخاني: ٦- ٨، دار قتيبة: دمشق.

(٣) انظر للتوسع: الشفاعة في الآخرة بين النقل والعقل: د. يوسف القرضاوي: ٨- ١٢، دار نهضة مصر: القاهرة.

(٤) الشفاعة: محاولة لفهم الخلاف القديم بين المؤيدين والمعارضين: د. مصطفى محمود: ١١٤- ١١٧.

ومن الغريب أن د. مصطفى محمود قد انفرد بإنكار الشفاعة العظمى للنبي ﷺ، وهذا لم يقل به أحد من قبله أبداً، حتى المعتزلة[١].

٢- قال الشيخ محمد أمين شيخو: «الشفاعة: هي حال من الأحوال النفسية، فالرسول ﷺ الذي أقبل على ربه أعظم وأسمى إقبال، هذا الرسول الذي يتوارد عليه أعظم تجلٍّ من الله، وأشد نور وإمداد، إذا توجّه بنفسه لأصحابه الذين أقبلوا عليه وصدقّوا برسالته، وبما جاءهم به عن الله، فهناك يسري ذلك النور الإلهي؛ بواسطة الرسول ﷺ إلى أصحابه والمؤمنين به، ويكون الرسول العظيم بهذا الحال وسيطاً بين الله وخلقه، ووسيلة تخفف من شدة ذلك التجلي، فتتمكن الأنفس من تقبُّله وتحمُّله، وهذه هي حقيقة الشفاعة...، وليست الشفاعة للعصاة، ولا لأهل الكبائر»، وهو ما قال به أ. عبد القادر يحيى الديراني[٢]، وأ. عبد الهادي الباني[٣]، وعبد الغني محمد[٤].

الثاني: أقوال أصحاب الاتجاه المنحرف في رد أحاديث الشفاعة:

١- قال نيازي عز الدين: «قبول مبدأ الشفاعة في الإسلام؛ إعلان جديد للإشراك القديم الذي كان عليه مشركو مكة بالشفاعة...، ويجب ألا ننسى أن موضوع الشفاعة خطير؛ لأن سبب الإشراك القديم لمشركي مكة، كان بسبب اعتقادهم بالشفاعة للملائكة التي بعبادتها كانوا يتقربون لله، ويرجون شفاعتها لهم يوم القيامة»[٥].

٢- قال حسني يوسف الأطير: «وسنرى من خلال الدراسة، كيف قام بعض صغار الصحابة والمسلمين الأولين بوضع أسس هذه الدعوى بشفاعة الرسول عن

(١) شفاعة صاحب الحوض المورود والرد على شبهات مصطفى محمود: د. مصطفى الذهبي: ٤٥- ٤٦، دار الفتح: القاهرة، الشفاعة: حوار علمي استدلالي بين د. يوسف القرضاوي ود. مصطفى محمود: د. محمد شيخاني: ١٤.

(٢) حقيقة الشفاعة: عبد القادر يحيى الديراني: ١١.

(٣) أهكذا يكون فهم الإسلام: أحمد إسماعيل الراغب: ٨.

(٤) الشفاعة وعذاب القبر: عبد الغني محمد: ١٠٤، مطبعة الأهرام: القاهرة.

(٥) دين السلطان: نيازي عز الدين: ٢٠٨، دار الأهالي: دمشق.

أمته، حتى صارت من بعد حقيقة إيمانية في وجدان المسلم، رغم أنها لم تكن قط من أصول الاعتقاد، ولا رويت قط عن واحد من أكابر الصحابة من السابقين الأولين»[١].

وهذا ما قال به د. إسماعيل منصور[٢]، ود. أحمد صبحي منصور، ومحمد رشاد خليفة، والسيد صالح أبو بكر[٣]، والشيخ عبد الله الجَكْرَالَوي الباكستاني[٤].

ثانياً: أدلة أصحاب الاتجاه العقلي في رد أحاديث الشفاعة والرد عليها:

استدل هؤلاء في إنكار حديث الشفاعة بالقرآن الكريم، والسنة النبوية، والعقل، وذلك بما يلي:

أ ـ القرآن الكريم:

القرآن ينفي إمكانية خروج من يدخل النار في الكثير والعديد من آياته من الكفار والمسلمين:

١ـ قول الله تعالى: ﴿يُرِيدُونَ أَن يَخْرُجُوا۟ مِنَ ٱلنَّارِ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنْهَا ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٣٧﴾﴾ [المائدة: ٣٧].

٢ـ قول الله تعالى: ﴿رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَٰلِمُونَ ﴿١٠٧﴾ قَالَ ٱخْسَـُٔوا۟ فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ ﴿١٠٨﴾﴾ [المؤمنون: ١٠٧-١٠٨].

٣ـ قول الله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ يُرِيهِمُ ٱللَّهُ أَعْمَٰلَهُمْ حَسَرَٰتٍ عَلَيْهِمْ ۖ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنَ ٱلنَّارِ﴾ [البقرة: ١٦٧].

٤ـ قول الله تعالى: ﴿أَفَمَنْ حَقَّ عَلَيْهِ كَلِمَةُ ٱلْعَذَابِ أَفَأَنتَ تُنقِذُ مَن فِى ٱلنَّارِ ﴿١٩﴾﴾ [الزمر: ١٩].

والله ينكر على رسوله ﷺ أن يقول مثل هذا الكلام عن أهل النار ممن حقت عليهم كلمة العذاب من كفار أو مسلمين، كما ينكر الخروج من النار على من كتب

(١) الشفاعة وأصول الوثنية العربية: حسني يوسف الأطير: ٧، مكتبة الزهراء: القاهرة.
(٢) تبصير الأمة بحقيقة السنة: د. إسماعيل منصور: ١/ ٦٠٨.
(٣) السنة النبوية في كتابات أعداء الإسلام: مناقشتها والرد عليها: د. عماد السيد الشربيني: ٢/ ٢٤٧.
(٤) القرآنيون وشبهاتهم حول السنة: خادم حسين إلهي بخش: ٣٤٤، مكتبة الصديق: الطائف.

عليهم بدخولها، فكل من يدخل النار تتأبد إقامته فيها[١]، ولا يوجد في القرآن حكاية التعذيب لأجل محدود في جهنم[٢].

الرد على ذلك: هذه الآيات التي مرت، إنما هي آيات نزلت في شأن الكافرين والمشركين بالله تعالى، وماتوا على ذلك، فهم الذين سيدخلون جهنم خالدين فيها[٣]، والعجب من الكاتب كيف يأتي بآيات مقتطعة عن سياقها، مبتورة عن أخواتها من الآيات السوابق واللواحق لها؟ ثم يبني على ذلك حكماً عاماً، والحكم خاطئ؛ لأنه قد بني على غير أساس متين، وما بني على خطأ فهو خطأ[٤].

٥- قول الله تعالى: ﴿قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعًا﴾ [الزُّمَر: ٤٤]، وهو بذلك يجمع سلطة الشفاعة جمعية واحدة، ويجعلها لله وحده[٥].

---

(١) من ينكر من المعاصرين الشفاعة لأهل الكبائر من المسلمين، فهو ينطلق أولاً من خلود مرتكب الكبيرة في النار، وهذا بالأصل هو رأي الخوارج، ثم بعد ذلك يذهب إلى رد الشفاعة عن هؤلاء الناس من المسلمين ثانياً، وإن القول بخلود المسلم العاصي في النار، فيه تسوية بين هذا المسلم وبين الكافر، وهو يتنافى مع العدل الإلهي. الرد على مصطفى محمود في إنكار الشفاعة والرد على لواء محمد شبل في إنكار يوم عرفة: د. عبد المهدي بن عبد القادر ابن عبد الهادي: ١٦، دار الاعتصام: القاهرة.

(٢) الشفاعة: محاولة لفهم الخلاف القديم بين المؤيدين والمعارضين: د. مصطفى محمود: ٣٩-٤١، حقيقة الشفاعة: عبد القادر يحيى الديراني: ٢٤.

(٣) انظر للتوسع: الرد على مصطفى محمود في إنكار الشفاعة: د. عبد المهدي بن عبد القادر بن عبد الهادي: ١٢- ١٥، د. مصطفى محمود إلى أين؟: د. عبد المهدي بن عبد القادر بن عبد الهادي: ٧٢، دار الاعتصام: القاهرة، الشفاعة في الآخرة بين النقل والعقل: د. يوسف القرضاوي: ٢٦- ٢٩، الشفاعة عند الله يوم القيامة وتصحيح لما كتبه الدكتور مصطفى محمود: د. محمد مجاهد نور الدين: ٨٨، إنكار الشفاعة: الشيخ محمد متولي الشعراوي: ٣٧- ٣٩، ٤١، مكتبة التراث الإسلامي: القاهرة.

(٤) انظر للتوسع: اكتساب المناعة في إثبات الشفاعة: أمير فتوح عبد العليم شيشي: ٨٣- ٨٧، مكتبة البلد الأمين: القاهرة، حوار مع الدكتور مصطفى محمود في الشفاعة: د. طه الدسوقي حبيشي الدمياطي: ٣٩- ٤٩، حول فتنة نفي الشفاعة عن رسول الله ﷺ: د. محمد محمود سعيد: ١٧-٢٨، دار الغد العربي: القاهرة.

(٥) الشفاعة: محاولة لفهم الخلاف القديم بين المؤيدين والمعارضين: د. مصطفى محمود: ٢٨، ٤٥، حقيقة الشفاعة: عبد القادر يحيى الديراني: ٤١، الشفاعة وعذاب القبر: عبد الغني محمد: ١٠٤، الشفاعة وأصول الوثنية العربية: حسني يوسف الأطير: ٤١٠.

الرد على ذلك: نعم لله الشفاعة جميعاً؛ لأنه لا يشفع أحد إلا بإذنه، ولا يشفع أحد إلا برضاه، كما هو ظاهر الآيات، كقوله تعالى: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾ [البَقَرَة: ٢٥٥]، فهذا نص في شفاعة الخلق بشرط أن يأذن الله به، ولا يصح أن تفسر الآية على أن الله وحده الذي يشفع، لا يصح مطلقاً، فعند من سيشفع؟ إن الشفاعة لله؛ أي هي منّة يمنّ بها على من شاء من خلقه(١).

٦- قول الله تعالى: ﴿يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِّنَفْسٍ شَيْـًٔا وَٱلْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ ﴿١٩﴾﴾ [الانفِطار: ١٩]، أي لا تملك أي نفس لأي نفس، مهما علا مقام هذه النفس التي تشفع، ومهما بلغت درجتها، لا تملك من أمر الله شيئاً، ويلخص القرآن قانون هذا اليوم الرهيب في كلمات قليلة(٢).

الرد على ذلك: نعم لا تملك نفس لنفس شيئاً، فالشافع لا يملك للمشفوع له شيئاً، إنما يرجو الله ويسأله، فإذا أذن الله له شفع، كما قال تعالى: ﴿قُل لَّآ أَمْلِكُ لِنَفْسِى ضَرًّا وَلَا نَفْعًا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ﴾ [يُونس: ٤٩]، فالرسول ﷺ لا يملك حتى لنفسه شيئاً، إلا أن الله تعالى وعده أن يشفعه يوم القيامة، بمعنى يستجيب الله رجاء حبيبه ورسوله(٣).

٧- قول الله تعالى: ﴿لَّيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَآ أَمَانِىِّ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ وَلَا يَجِدْ لَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿١٢٣﴾﴾ [النِّسَاء: ١٢٣]، الجزاء في هذا

---

(١) الرد على مصطفى محمود في إنكار الشفاعة: د.عبد المهدي بن عبد القادر بن عبد الهادي: ١٩، شفاعة صاحب الحوض المورود والرد على شبهات مصطفى محمود: د.مصطفى الذهبي: ٥٤، حول فتنة نفي الشفاعة عن رسول الله ﷺ: د.محمد محمود سعيد: ٤٠، إنكار الشفاعة: الشيخ محمد متولي الشعراوي: ٤٢، شفاعة الرسول ﷺ في القرآن الكريم والسنة النبوية: د.إسماعيل الدفتار: ١٨، دار الروافد الثقافية: القاهرة.

(٢) الشفاعة: محاولة لفهم الخلاف القديم بين المؤيدين والمعارضين: د.مصطفى محمود: ٤٤، حقيقة الشفاعة: عبد القادر يحيى الديراني: ٢٤، الشفاعة وعذاب القبر: عبد الغني محمد: ١٠٤، الشفاعة وأصول الوثنية العربية: حسني يوسف الأطير: ٤٠٩.

(٣) الرد على مصطفى محمود في إنكار الشفاعة: د.عبد المهدي بن عبد القادر بن عبد الهادي: ٢٠، حول فتنة نفي الشفاعة عن رسول الله ﷺ: د.محمد محمود سعيد: ٤٤- ٤٥، إنكار الشفاعة: الشيخ محمد متولي الشعراوي: ٤٣- ٤٤.

اليوم على قدر العمل، والعفو والصفح حق لله تعالى وحده، فلله الشفاعة جميعاً لا يشاركه في هذا الحق مخلوق، فهو يعفو إن شاء، ولا يسأل عما يفعل، وهو يعاقب بالنار الأبدية إن شاء[١].

الرد على ذلك: أن المسيء لا يجد له من دون الله من يتولاه، ولا من ينصره، وهذا لا ينفي الشفاعة، فالشافع ليس ولياً من دون الله، وليس نصيراً من دون الله، وإنما هو شافع بإذن الله، هو مخلوق يرجو ربه، ويسأله العفو عن المسيء[٢].

٨- قول الله تعالى: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَٰلِمُونَ ﴿١٢٨﴾﴾ [آل عِمرَان: ١٢٨]، وهذا خطاب للنبي ﷺ فكيف نقلب الأمر، ونجعل من النبي ﷺ صاحب الأمر يوم القيامة، والمنفرد بالشفاعة يومها، وهو الذي قال له ربه معاتباً: ليس لك من الأمر شيء[٣].

الرد على ذلك: أنه لم يقل أحد من علماء المسلمين: إن لرسول الله ﷺ من الأمر شيئاً مع الله، فالشفاعة ليست مشاركة لله في الأمر، والآية هي في حق الكافرين، فلماذا يجعلها منكرو الشفاعة على المسلمين؟[٤].

٩- قول الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَنفِقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَٰكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَٰعَةٌ ۗ وَٱلْكَٰفِرُونَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٥٤﴾﴾ [البَقَرَة: ٢٥٤].

١٠- قول الله تعالى: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۖ مَا لَكُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِىٍّ وَلَا شَفِيعٍ﴾ [السَّجدَة: ٤].

---

(١) الشفاعة: محاولة لفهم الخلاف القديم بين المؤيدين والمعارضين: د. مصطفى محمود: ٤٥، حقيقة الشفاعة: عبد القادر يحيى الديراني: ٣٨.

(٢) الرد على مصطفى محمود في إنكار الشفاعة: د. عبد المهدي بن عبد القادر بن عبد الهادي: ٢١، حول فتنة نفي الشفاعة عن رسول الله ﷺ: د. محمد محمود سعيد: ٤٥- ٤٦، إنكار الشفاعة: الشيخ محمد متولي الشعراوي: ٣٦.

(٣) الشفاعة: محاولة لفهم الخلاف القديم بين المؤيدين والمعارضين: د. مصطفى محمود: ٥١.

(٤) الرد على مصطفى محمود في إنكار الشفاعة: د. عبد المهدي بن عبد القادر بن عبد الهادي: ٢٠، الشفاعة عند الله يوم القيامة وتصحيح لما كتبه الدكتور مصطفى محمود: د. محمد مجاهد نور الدين: ٩٤، حول فتنة نفي الشفاعة عن رسول الله ﷺ: د. محمد محمود سعيد: ٥٤- ٥٦، إنكار الشفاعة: الشيخ محمد متولي الشعراوي: ٣٤- ٣٦.

وهذه الآيات قد نفت الشفاعة؛ وهو نفي قطعي لأي نوع من ولي أو شفيع[١].

الرد على ذلك: أن الشفاعة في مواقف معينة، وهناك مواقف لا شفاعة فيها، وكل ذلك قد بينته السنة، من ذلك: ما روته السيدة عائشة رضي الله عنها أنها قالت: يا رسول الله، هل تذكرون أهليكم يوم القيامة؟ قال: «**أما في مواطن ثلاثة فلا، الكتاب، والميزان، والصراط**»[٢].

وواضح من هذا الحديث: أن مواقف القيامة بعضها لا شفاعة فيه، وبعضها فيه شفاعة، وبجمع الأحاديث التي في الشفاعة يتضح: أنه لا انصراف من موقف الازدحام إلا بشفاعة رسول الله ﷺ، وهناك شفاعات عند دخول النار، وبعد دخول النار، أما عند تطاير الكتب، وعند الصراط، وعند الميزان، فلا شفاعة[٣].

---

(١) الشفاعة: محاولة لفهم الخلاف القديم بين المؤيدين والمعارضين: د. مصطفى محمود: ١٠٢، حقيقة الشفاعة: عبد القادر يحيى الديراني: ٢٤، شفاعة صاحب الحوض المورود والرد على شبهات مصطفى محمود: د. مصطفى الذهبي: ٥٣- ٥٤، الشفاعة وعذاب القبر: عبد الغني محمد: ١٠٤، الشفاعة وأصول الوثنية العربية: الأطير: ٤١٣، ٤١٩.

(٢) رواه أبو داود في كتاب: السنة، باب: في ذكر الميزان، (الحديث: ٤٧٥٥): ٥/ ١١٦، ورواه الحاكم في المستدرك في كتاب: الأهوال، (الحديث: ٨٧٢٢): ٤/ ٥٧٨، وقال: «هذا حديث صحيح إسناده على شرط الشيخين، لولا إرسال فيه بين الحسن وعائشة رضي الله عنها، على أنه قد صحت الروايات أن الحسن كان يدخل وهو صبي منزل عائشة وأم سلمة رضي الله عنهما»، ورواه أحمد في مسنده، (الحديث: ٢٤٦٩٦): ٤١/ ٢٢٥، واللفظ له، وكلهم رووه من طريق الحسن البصري، عن عائشة رضي الله عنها، وإسناده ضعيف؛ لأن الحسن كان يرسل كثيراً، وهذه الرواية من إرسالاته. انظر: تقريب التهذيب: ابن حجر: ١٦٠، ورواه ابن أبي شيبة في المصنف في كتاب: الزهد، (الحديث: ١٦٢٥٣): ١٣/ ٢٥٠، من طريق الشعبي، عن عائشة رضي الله عنها، وإسناده ضعيف؛ لأن الشعبي عن عائشة مرسل. انظر: تحفة التحصيل في ذكر رواة المراسيل: ولي الدين أبو زرعة العراقي: ٢١٨، مكتبة الخانجي: القاهرة.

(٣) دفع أباطيل د. مصطفى محمود في إنكار السنة النبوية: د. عبد المهدي بن عبد القادر بن عبد الهادي: ٧٧، دار الاعتصام: القاهرة، حوار مع الدكتور مصطفى محمود في الشفاعة: د. طه الدسوقي حبيشي الدمياطي: ٢٣- ٣٣، إنكار الشفاعة: الشيخ محمد متولي الشعراوي: ٣٤، شفاعة الرسول ﷺ في القرآن الكريم والسنة النبوية: د. إسماعيل الدفتار: ٨- ٩، الشفاعة عند المسلمين من خلال التفسير القرآني والحديث النبوي: د. حسيب عبد الحليم شعيب: ٢٧- ٢٨.

والخلاصة: أن القرآن يفسّر بعضه بعضاً، وبالتالي يجب علينا أن نجمع ما ورد منها في الموضوع الواحد، حتى تتكامل الصورة أمامنا، فما أُجمل في موضع ربما فُصّل في موضع آخر، وما أُطلق في سياق، قد يكون قُيّد في سياق آخر، وما عُمّم في آية قد يكون خُصّص في آية أخرى، وإذا نظرنا في ضوء ذلك في الآيات التي استدل بها المنكرون للشفاعة بإطلاق، نجد في مقابلها آيات أخرى قيدتها، أو خصصتها، أو فسرتها، فلابد لنا أن نفهم هذه في ضوء تلك[١].

وهناك أدلة أخرى متفرعة من هذه الأدلة التي ذكرناها، ولكنها لا تخرج عنها[٢].

ب ـ السنة النبوية:

١ـ ما رواه أبو هريرة رضي الله عنه أنه قال: قام رسول الله ﷺ حين أنزل الله: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴿٢١٤﴾﴾ [الشعراء: ٢١٤]، قال: «**يا معشر قريش ـ أو كلمة نحوها ـ، اشتروا أنفسكم، لا أغني عنكم من الله شيئاً، يا بني عبد مناف، لا أغني عنكم من الله شيئاً، يا عباس بن عبد المطلب، لا أغني عنك من الله شيئاً، ويا صفية عمة رسول الله ﷺ، لا أغني عنك من الله شيئاً، ويا فاطمة بنت محمد ﷺ، سليني ما شئت من مالي، لا أغني عنك من الله شيئاً**»[٣].

---

(١) الشفاعة في الآخرة بين النقل والعقل: د. يوسف القرضاوي: ٢٨.

(٢) انظر للتوسع: د. مصطفى محمود إلى أين؟: د. عبد المهدي بن عبد القادر بن عبد الهادي: ٧٣- ٨٠، الشفاعة عند الله يوم القيامة وتصحيح لما كتبه الدكتور مصطفى محمود: د. محمد مجاهد نور الدين: ٨٥- ٨٨، مطبعة العمرانية: القاهرة، حول فتنة نفي الشفاعة عن رسول الله ﷺ: د. محمد محمود سعيد: ٤١- ٤٣، ٦٦- ٦٨، ٧٢، ٨٨- ٩٠، إنكار الشفاعة: الشيخ محمد متولي الشعراوي: ٣٣، ٤١- ٤٢، الشفاعة: محاولة لفهم الخلاف القديم بين المؤيدين والمعارضين: د. مصطفى محمود: ١٧- ١٨، ٢٥، ٧١، أهكذا يكون فهم الإسلام: أحمد إسماعيل الراغب: ١٦- ١٧، حقيقة الشفاعة: عبد القادر يحيى الديراني: ٤١، ٥٠، فضيلة العلامة العربي الكبير محمد أمين شيخو يرد على معارضيه: أ. عبد القادر يحيى الديراني: ٥٤- ٥٥، الشفاعة عند المسلمين من خلال التفسير القرآني والحديث النبوي: د. حسيب عبد الحليم شعيب: ٢٦، دين السلطان: نيازي عز الدين: ٢٠٩، الشفاعة وأصول الوثنية العربية: حسني يوسف الأطير: ٤١٢ـ ٤١٩.

(٣) رواه البخاري في كتاب: تفسير القرآن، باب: وأنذر عشيرتك الأقربين، (الحديث: ٤٧٧١): ٣/ ٢٧٣.

وهذا النبي ﷺ قد أخلى مسؤوليته، وتبرأ من الوساطة لأحد، حتى لأعز الناس، حتى لابنته الغالية، ومهجة قلبه فاطمة رضي الله عنها، فكيف جعلوا بعد ذلك من النبي ﷺ وسيطاً يتشفع عند الله ليخرج من النار بعض من دخلها من أمته؟ فيخرجهم ربنا من النار، وقد تفحموا من أثر جهنم، وكيف يقبل هذا الكلام ويوضع في كفة واحدة مع كلام الله المحكم الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه[١].

الرد على ذلك: هو أن هذا الحديث لا ينفي الشفاعة، ويجاب عنه من جهتين:

أ ـ إن هذا الحديث متقدم، كان في بداية الدعوة، وكان يدعوهم إلى التوحيد، وبدون التوحيد لا شفاعة، فمن أسلم منهم يمكن أن يشفع له، أما من لم يسلم فإنه لن يغني عنه النبي ﷺ من الله شيئاً.

ب ـ إن هذا الحديث المتقدم، كان في بداية الدعوة، ولم يكن الله سبحانه أعلمه ﷺ بأنه سيشفعه بعد[٢].

والحديث لا علاقة له بإثبات الشفاعة له ﷺ أو نفيها عنه، فإنه ﷺ قد بُعث للناس بشيراً ونذيراً، أي ينذر الناس سوء عاقبة البقاء على الكفر، والطبعي أن يكون الإنذار أول ما يكون للأقرباء من الأقارب[٣].

٢ـ يقول د. مصطفى محمود: «وما حفزني على الكتابة في موضوع الشفاعة إلا حديث رسولنا العظيم الذي قال فيه: (من يترك العمل، ويتكل على الشفاعة، يورد نفسه المهالك ويحرم من رحمة الله)، هو حافزي الأول والأخير، ونحن أمة المتواكلين»[٤].

---

(١) الشفاعة: محاولة لفهم الخلاف القديم بين المؤيدين والمعارضين: د. مصطفى محمود: ٥١-٥٢.

(٢) الرد على مصطفى محمود في إنكار الشفاعة: د. عبد المهدي بن عبد القادر بن عبد الهادي: ٢٢، شفاعة صاحب الحوض المورود والرد على شبهات مصطفى محمود: د. مصطفى الذهبي: ٦٤.

(٣) حول فتنة نفي الشفاعة عن رسول الله ﷺ: د. محمد محمود سعيد: ٥٦، شفاعة الرسول ﷺ في القرآن الكريم والسنة النبوية: د. إسماعيل الدفتار: ٥٢- ٥٣.

(٤) الشفاعة: محاولة لفهم الخلاف القديم بين المؤيدين والمعارضين: د. مصطفى محمود: ٧٧.

الرد على ذلك: أن هذا الحديث الذي ذكره لم أجده في أي شيء من كتب الحديث، لا في الصحيح، ولا في الضعيف، ولا في الموضوع، وبالتالي فهو لا أصل له[١]، ومن العجيب أن الكاتب يستشهد بالحديث والسنة هنا، وهو الذي يرد الأحاديث الصحيحة في إثبات الشفاعة، وهذا يدل على أنه تخير ما يروق له، وما يتفق وهواه؛ دون نظر إلى صحة الحديث أو ضعفه، وكان أولى به أن يستشهد بتلك الأحاديث الصحيحة[٢].

بعد أن يستدل هذا الكاتب بحديث لا أصل له، يرمي أحاديث الشفاعة الصحيحة بأنها من كتب مدسوسة، وهدف هذه الأحاديث المدسوسة هو إفساد الدين، والتحريض على التسيب والانحلال، وفتح الباب للكل على حد تعبيره[٣].

الرد على ذلك: أن أحاديث الشفاعة ليست مدسوسة كما زعم الكاتب؛ بل هي صحيحة وثابتة، ولا حرج على فضل الله تعالى، فهو يغفر الذنوب ويستر العيوب، ويأذن بالشفاعة لنبيه ﷺ تعظيماً لقدره[٤]، ويؤخذ على الكاتب أنه رفض كل الأحاديث في الشفاعة، وهاجم السنة، وهذا لم نكن نتوقعه لما في كتبه من ذكر للأحاديث[٥].

---

(١) الرد على مصطفى محمود في إنكار الشفاعة: د.عبد المهدي بن عبد القادر بن عبد الهادي: ٥١.

(٢) اكتساب المناعة في إثبات الشفاعة: أمير فتوح عبد العليم شيشي: ٥٨- ٥٩، مكتبة البلد الأمين: القاهرة.

(٣) الشفاعة: محاولة لفهم الخلاف القديم بين المؤيدين والمعارضين: د.مصطفى محمود: ٣٢، وانظر للتوسع: فضيلة العلامة العربي الكبير محمد أمين شيخو يرد على معارضيه: أ.عبد القادر يحيى الديراني: ٣٤- ٤٢، ٢٢١، ٣٥٠- ٣٥٣، حقيقة الشفاعة: عبد القادر يحيى الديراني: ٢٨- ٣٤، تبصير الأمة بحقيقة السنة: د.إسماعيل منصور: ١/ ٦٠٧- ٦١٣، دين السلطان: نيازي عز الدين: ٢٠٧- ٢٠٨.

(٤) اكتساب المناعة في إثبات الشفاعة: أمير فتوح عبد العليم شيشي: ١٠٤، حول فتنة نفي الشفاعة عن رسول الله ﷺ: د.محمد محمود سعيد: ٢٨، وانظر للتوسع: أهكذا يكون فهم الإسلام: أحمد إسماعيل الراغب: ١٢٩- ١٨٤.

(٥) الشفاعة: حوار علمي استدلالي بين د.يوسف القرضاوي ود.مصطفى محمود: د.محمد شيخاني: ٣٤.

وللمعتزلة أدلة تولّى بعض العلماء المعاصرين ذكرها والرد عليها، ولا حاجة أن نذكرها هنا[١].

ج ـ العقل:

أن الشفاعة هي لون من المحاباة والمحسوبية والوساطة، كما يتجلى ذلك في أعرافنا، وسلوكنا العام، وهذا ينافي العدل الإلهي المطلق، الذي لا يعرف المحاباة، ويعطي كل ذي حق حقه، ويجزي كل نفس بما كسبت[٢].

الرد على ذلك: هذا المنطق العقلي ضعيف، لا يقوم على أساس متين، لعدة أسباب:

١ـ العقل والإيمان بالغيب: فكل ما جاء به الوحي المعصوم من عقائد، ومنها الشفاعة، يجب على العقل أن يصدق بها، إيماناً بالغيب، وإن لم يكن يعرف كنهها، ما دامت غير مستحيلة عقلاً.

٢ـ العقل وإدراك الحكمة: إن العقل المسلم يرى في القرآن والسنة الصحيحة في إثبات الشفاعة لأهلها بشرطها: ما يجعله يأخذها باطمئنان، ويوقن بها بلا تردد، وإن لم يدرك العقل كل سرها.

٣ـ الحكمة واضحة في الشفاعة هي الرحمة والفضل مع العدل: فالله تعالى لا يتعامل مع عباده بالعدل وحده؛ بل بالعدل والفضل والرحمة معاً، وهذا في الدنيا والآخرة.

٤ـ الشفاعة تكريم من الله لبعض عباده المؤمنين: من الملائكة، والأنبياء، والصالحين، وأي غرابة في أن يكرم الله بعض عباده، فيمنحهم حق الشفاعة في بعض عباده، والملك ملكه، والخلق خلقه؟![٣].

---

(١) موقف المدرسة العقلية من السنة النبوية: الأمين الصادق الأمين: ١/ ٣٧٩- ٣٩٦، السنة النبوية في كتابات أعداء الإسلام: مناقشتها والرد عليها: د. عماد السيد الشربيني: ٢/ ٢٤٧- ٢٥٢.

(٢) الشفاعة: محاولة لفهم الخلاف القديم بين المؤيدين والمعارضين: د. مصطفى محمود: ٢٧، ٥٢، ٥٥.

(٣) انظر للتوسع: الشفاعة في الآخرة بين النقل والعقل: د. يوسف القرضاوي: ٢٧، ٣٦- ٤٣.

٥- الفرق بين الشفاعة والوساطة: حيث إن الوساطة تدخل ذي حظوة بين ذي حاجة؛ وبين ذي سلطان تدخلاً يكون من شأنه إذا أثمر، حصول ذي الحاجة على حاجته من ذي السلطان؛ ولو لم يكن صاحب حق، وجوراً على صاحبه، فهذا المعنى فيه إضرار بالعدالة، وبهذا المعنى فإنها تختلف عن الشفاعة التي لا تكون إلا لمن آمن بالله وحده لا شريك له، ولا تتضمن اعتداء على أحد من العباد، وفيها تشريف للنبي ﷺ[1].

المطلب الثاني: أدلة العلماء في إثبات الشفاعة:

استدل علماء المسلمين على إثبات الشفاعة من القرآن، والسنة، والمعقول:

أولاً: القرآن الكريم:

لقد تكررت كلمة الشفاعة في القرآن الكريم بأنواعها ثمانياً وعشرين مرة، في سور شتى، ووقعت تارة بالنفي، وتارة أخرى بالإثبات، ويدل كثرة ورودها عن مدى اهتمام القرآن بهذا الأصل؛ سواء في مجال النفي، أو في مجال الإثبات، ولكي نعرف معنى الشفاعة بدقة فإنه يجب علينا أن ننظر إليها باستقراء وشمولية، فكتاب الله لا يتناقض؛ بل إن معانيه تتكامل، والآيات يفسر بعضها بعضاً، فما أُجمل في موضع؛ فإنه قد فسر في موضع آخر، وما اختصر في موضع فإنه قد يبسط في موضع آخر، وأما الآيات التي تنفي الشفاعة فهي نزلت في شأن الكفار من اليهود والنصارى والمشركين، وهؤلاء لا تنفعهم الشفاعة لعدم الإيمان، وهم في نار جهنم خالدين فيها أبداً، وقد استعرضنا من هذه الآيات عند ردنا لأدلة الاتجاه العقلي في نفي الشفاعة، فلا حاجة لتكرارها ثانية[2]، والآيات التي تثبت الشفاعة هي:

١- قول الله تعالى: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾ [البَقَرَة: ٢٥٥].

٢- قول الله تعالى: ﴿مَا مِن شَفِيعٍ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ إِذْنِهِۦ﴾ [يُونس: ٣].

---

(١) حول فتنة نفي الشفاعة عن رسول الله ﷺ: د. محمد محمود سعيد: ٥٧- ٥٨.

(٢) انظر للتوسع: الشفاعة في القرآن والسنة وعقيدة المسلمين: د. فاروق حمادة: ١٩- ٢٥، الشفاعة عند الله يوم القيامة وتصحيح لما كتبه الدكتور مصطفى محمود: د. محمد مجاهد نور الدين: ٥٥- ٥٦.

٣- قول الله تعالى: ﴿لَّا يَمْلِكُونَ ٱلشَّفَٰعَةَ إِلَّا مَنِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحْمَٰنِ عَهْدًا ﴿٨٧﴾﴾ [مريم: ٨٧].

٤- قول الله تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ لَّا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ وَرَضِىَ لَهُۥ قَوْلًا ﴿١٠٩﴾﴾ [طه: ١٠٩].

٥- قول الله تعالى: ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِۦ مُشْفِقُونَ ﴿٢٨﴾﴾ [الأنبياء: ٢٨].

٦- قول الله تعالى: ﴿۞ وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغْنِى شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعْدِ أَن يَأْذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرْضَىٰٓ ﴿٢٦﴾﴾ [النجم: ٢٦].

٧- قول الله تعالى: ﴿وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُۥ حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ قَالُوا۟ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ ۖ قَالُوا۟ ٱلْحَقَّ ۖ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْكَبِيرُ ﴿٢٣﴾﴾ [سبأ: ٢٣].

٨- قول الله تعالى: ﴿وَلَا يَمْلِكُ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ ٱلشَّفَٰعَةَ إِلَّا مَن شَهِدَ بِٱلْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٨٦﴾﴾ [الزخرف: ٨٦].

هذه الآيات كلها تدل أن الشفاعة ثابتة لمن أذن له الله، واتخذ عنده عهداً، ورضي له قولاً، من ملائكته، وأنبيائه، وأوليائه، وشهدائه، فالشفاعة بهذه الآيات المحكمة عند الله تعالى، هي تشريف وتكريم لمن أذن له بها[(١)]، ولا تناقض بين الآيات التي تثبت الشفاعة والآيات التي تنفيها؛ لأن الجهة منفكَّة، فالثابتة توفر لها شرط الشفاعة، ولها حقيقة ووجود، والمنفية لم يتوفر لها ذلك، ولا حقيقة لها ولا وجود[(٢)].

وقد أثبت الشيعة الإمامية الشفاعة، واستدلوا عليها بجميع الآيات التي ذكرناها آنفاً، وأنها مشروطة بإذن الله تعالى[(٣)].

٩- قول الله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِۦ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا ﴿٧٩﴾﴾ [الإسراء: ٧٩].

---

(١) الشفاعة في القرآن والسنة وعقيدة المسلمين: د. فاروق حمادة: ٢٥- ٢٧.

(٢) الشفاعة عند الله يوم القيامة وتصحيح لما كتبه الدكتور مصطفى محمود: د. محمد مجاهد نور الدين: ٥٦- ٥٨.

(٣) انظر للتوسع: الشفاعة في الكتاب والسنة: جعفر السبحاني: ٢٢- ٢٦، معاونية التعليم والبحوث الإسلامية: طهران.

وخير تفسير لهذه الآية[١]؛ هو ما رواه ابن عمر رضي الله عنهما قال: «**إن الناس يصيرون يوم القيامة جُثاً**[٢]**، كل أمة تبع نبيها، يقولون: يا فلان اشفع؛ حتى تنتهي الشفاعة إلى النبي ﷺ، فذلك يوم يبعثه الله المقام المحمود**»[٣]؛ وهذا الحديث يبين النوع الأول من الشفاعة، وهي الشفاعة العظمى الخاصة بنبينا محمد ﷺ، من بين الأنبياء والرسل عليهم السلام، وهذه الشفاعة تكون لكل الناس أجمع، حين يشتد عليهم الأمر ويطول بهم الوقوف في المحشر، للانصراف من هذا الموقف إلى فصل القضاء في أمرهم[٤].

١٠- قول الله تعالى: ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰ ۝٥﴾ [الضحى: ٥]. وقد روى علي ابن أبي طالب وعبد الله بن عباس رضي الله عنهم[٥]: «أن ما يرضي النبي ﷺ هو إعطاؤه الشفاعة في أمته»[٦].

ثانياً: السنة النبوية:

وردت أحاديث كثيرة في إثبات الشفاعة، فهناك مثلاً (١٠٣) أحاديث في إثبات الشفاعة بكل أنواعها في الكتب التسعة[٧]، وسأذكر بعض الأحاديث في ذلك:

---

(١) انظر للتوسع: الشفاعة في القرآن والسنة وعقيدة المسلمين: د. فاروق حمادة: ٣٢- ٣٧، الشفاعة عند المسلمين من خلال التفسير القرآني والحديث النبوي: د. حسيب عبد الحليم شعيب: ٣٠، الشفاعة في الآخرة بين النقل والعقل: د. يوسف القرضاوي: ١٨- ٢٢.

(٢) أي جماعة. انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر: ابن الأثير الجزري: ١٣٤.

(٣) رواه البخاري في كتاب: تفسير القرآن، باب: عسى أن يبعثك ربك مقاماً محموداً، (الحديث: ٤٧١٨): ٣/ ٢٥٢.

(٤) الشفاعة عند الله يوم القيامة وتصحيح لما كتبه الدكتور مصطفى محمود: د. محمد مجاهد نور الدين: ٦٦- ٦٩.

(٥) انظر: الشفاعة عند المسلمين من خلال التفسير القرآني والحديث النبوي: د. حسيب عبد الحليم شعيب: ٣٢.

(٦) التفسير الكبير ومفاتيح الغيب: فخر الدين محمد بن عمر الرازي: ٣١/ ٢١٣، دار الفكر: بيروت.

(٧) انظر للتوسع: المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي: أ. ي. ونسنك، ي. ب. منسنج: ٣/ ١٤٧- ١٥٣.

١- ما رواه جابر بن عبد الله رضي الله عنهما أنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«أعطيت خمساً لم يعطهن أحد من الأنبياء قبلي، نصرت بالرعب مسيرة شهر، وجعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً، وأيما رجل من أمتي أدركته الصلاة فليصل، وأحلّت لي الغنائم، وكان النبي يبعث إلى قومه خاصة، وبعثت إلى الناس كافة، وأعطيت الشفاعة»**(١).

٢- ما رواه أبو هريرة رضي الله عنه أنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«أنا سيد ولد آدم يوم القيامة، وأول من ينشق عنه القبر، وأول شافع، وأول مشفع»**(٢).

٣- ما رواه أبو هريرة رضي الله عنه أنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«لكل نبي دعوة مستجابة، فتعجل كل نبي دعوته، وإني اختبأت دعوتي شفاعة لأمتي يوم القيامة، فهي نائلة إن شاء الله، من مات من أمتي لا يشرك بالله شيئاً»**(٣).

٤- حديث أبيّ بن كعب رضي الله عنه قال: كنت في المسجد، فدخل رجل يصلي، فقرأ قراءة أنكرتها عليه... وفيه: **يا أبيّ، أُرسل إليّ أنِ أقرأ القرآن على حرف، فرددت إليه: أن هوِّن على أمتي، فردّ إليّ الثانية: اقرأه على حرفين، فرددت إليه: أن هوِّن على أمتي، فرد إليّ الثالثة: اقرأه على سبعة أحرف، فلك بكل ردة رددتكها مسألة تسألنيها، فقلت: اللهم اغفر لأمتي، اللهم اغفر لأمتي، وأخرت الثالثة ليوم يرغب إليّ الخلق كلهم حتى إبراهيم»**(٤).

---

(١) رواه البخاري في كتاب: الصلاة، باب: قول النبي ﷺ: «جعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً»، (الحديث: ٤٣٨): ١/ ١٥٨، واللفظ له، ورواه مسلم في كتاب: المساجد ومواضع الصلاة، (الحديث: ٥٢١): ٣٧٠- ٣٧١.

(٢) رواه مسلم في كتاب: الفضائل، باب: تفضيل نبينا ﷺ على جميع الخلائق، (الحديث: ٢٢٧٨): ٤/ ١٧٨٢.

(٣) رواه البخاري في كتاب: الدعوات، باب: لكل نبي دعوة مستجابة، (الحديث: ٦٣٠٤): ٤/ ١٥٣، ورواه مسلم في كتاب: الإيمان، باب: اختباء النبي ﷺ دعوة الشفاعة لأمته، (الحديث: ١٩٩): ١/ ١٨٩، واللفظ له.

(٤) رواه مسلم في كتاب: صلاة المسافرين وقصرها، باب: بيان أن القرآن على سبعة أحرف وبيان معناه، (الحديث: ٨٢٠): ١/ ٥٦١- ٥٦٢.

٥- ما رواه أبو سعيد الخدري رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «**إذا دخل أهل الجنة الجنة، وأهل النار النار، يقول الله: من كان في قلبه مثقال حبة من خردل من إيمان فأخرجوه، فيخرجون قد امتحشوا[١] وعادوا حمماً[٢]، فيُلقون في نهر الحياة، فينبتون كما تنبت الحِبّة في حميل[٣] السيل، أو قال: حمية السيل، ألم تروا أنها تنبت صفراء ملتوية**»[٤].

٦- ما رواه عمران بن حصين رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «**يخرج قوم من النار بشفاعة محمد ﷺ فيدخلون الجنة، يسمون الجُهنميين**»[٥].

٧- ما رواه أبو هريرة رضي الله عنه أنه قال: قلت: يا رسول الله، من أسعد الناس بشفاعتك يوم القيامة؟ قال: «**لقد ظننت يا أبا هريرة؛ أن لا يسألني عن هذا الحديث أحد أول منك، لما رأيت من حرصك على الحديث، أسعد الناس بشفاعتي يوم القيامة، ومن قال: لا إله إلا الله، خالصاً من قبل نفسه**»[٦].

٨- ما رواه أنس بن مالك رضي الله عنه أنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**أنا أول الناس يشفع في الجنة، وأنا أكثر الأنبياء تبعاً**»[٧].

---

(١) أي احترقوا، والمَحش: احتراق الجلد وظهور العظم. انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر: ابن الأثير الجزري: ٨٤٤.

(٢) أي متفحمين. انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر: ابن الأثير الجزري: ٢٣٦.

(٣) هو ما يجيء به السيل من طين أو غثاء وغيره، فإذا اتفقت فيه حبة واستقرت على شط مجرى السيل، فإنها تنبت في يوم وليلة، فشبه بها سرعة عود أبدانهم وأجسامهم إليهم، بعد إحراق النار لها. انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر: ابن الأثير الجزري: ٢٣٤.

(٤) رواه البخاري في كتاب: الرقاق، باب: صفة الجنة، (الحديث: ٦٥٦٠): ٤/ ٢٠١، واللفظ له، ورواه مسلم في كتاب: الإيمان، باب: إثبات الشفاعة وإخراج الموحدين من النار، (الحديث: ١٨٤): ١/ ١٧٢.

(٥) رواه البخاري في كتاب: الرقاق، باب: صفة الجنة والنار، (الحديث: ٦٥٦٦): ٤/ ٢٠٢-٢٠٣.

(٦) رواه البخاري في كتاب: الرقاق، باب: صفة الجنة والنار، (الحديث: ٦٥٧٠): ٤/ ٢٠٣.

(٧) رواه مسلم في كتاب: الإيمان، باب: قول النبي ﷺ: أنا أول الناس يشفع في الجنة، (الحديث: ١٩٦): ١/ ١٨٨.

٩- حديث سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه أنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**المدينة خير لهم لو كانوا يعلمون، لا يدعها أحد رغبة عنها إلا أبدل الله فيها من هو خير منه، ولا يثبت أحد على لأوائها[١] وجهدها، إلا كنت له شفيعاً، أو شهيداً يوم القيامة**»[٢].

بهذه الأحاديث النبوية الوفيرة، وتناقل المسلمين لها عبر العصور، وإثباتهم لها في الصدور والسطور عقيدة، ثبتت شفاعة رسول الله ﷺ للمذنبين من هذه الأمة، فمن خالف في ذلك فقد جانب الصواب، وسلك طريق السراب، وخالف في فهم السنة والكتاب أولي النهى والألباب، لكن من يدخل النار فإن القرار الذي يبقاه فيها غير معلوم، لا يعلمه إلا الله، والذنب خطره عظيم، وربنا غفور رحيم، وعقابه شديد أليم[٣].

ثالثاً: المعقول[٤]:

١- العقل يجيز للسيد إسقاط العقوبة عن عبده إن شاء، فضلاً منه وتكرماً، ويجيز للوالد إسقاط العقوبة عن ابنه متى شاء رحمة منه وتلطفاً.

٢- العقل لا يجيز التسوية بين من لم يعترف بالسلطان من أساسه، ومن أساء من رعيته إساءة ما في وقت ما.

٣- العقل لا يستسيغ أن يضيع السيد ثمرة عمل عبد له خدمه بإخلاص طول عمره بخطيئة واحدة ارتكبها، فإن سوابقه تشفع له.

٤- العقل لا يستبعد أن يكرم السيد بعض أهل الفضل من رعيته، فيقبل شفاعتهم فيمن يشفعون فيه، بإسقاط بعض المطالبات عنهم، أو إرضاء بعض خصومهم، أو تخفيف بعض عقابهم، فيما هو من حق السيد، أو غيرهما.

---

(١) أي شدتها وضيق معيشتها. انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر: ابن الأثير الجزري: ٨١٠.

(٢) رواه مسلم في كتاب: الحج، باب: فضل المدينة، (الحديث: ١٣٦٣): ٢/ ٩٩٢.

(٣) انظر للتوسع: الشفاعة في القرآن والسنة وعقيدة المسلمين: د. فاروق حمادة: ٣٨- ١١١، الشفاعة في الكتاب والسنة: جعفر السبحاني: ٨٠- ٩٠.

(٤) الشفاعة في الآخرة بين النقل والعقل: د. يوسف القرضاوي: ٢٣- ٢٤.

المبحث الثاني

رأي الاتجاه العقلي في مسألة سحر النبي ﷺ

كنموذج لأحاديث السيرة

المطلب الأول: رأي أصحاب الاتجاه العقلي وأدلتهم في رد حديث سحر النبي ﷺ:

لقد تبنّى هذا الاتجاه إنكار سحر النبي ﷺ ؛ لغلبة المنحى العقلي على تفكيرهم، وادعاء منهم أن سحر النبي يتنافى مع عصمته ومقام نبوته؛ وبكون الحديث الوارد فيه آحاداً؛ وفي هذا المبحث سأعرض لأقوالهم وأدلتهم ورد العلماء عليهم.

أولاً: رأي أصحاب الاتجاه العقلي في رد حديث سحر النبي ﷺ[1]:

إن الأصل في هذا الرأي؛ ما قال به المعتزلة[2]، وأبو بكر الجصاص[3]، ثم تبعهم في ذلك علماء الاتجاه العقلي، ومن تأثر بهم من أصحاب الاتجاه المنحرف؛ وفيما يلي بيان ذلك:

الأول: أقوال أصحاب الاتجاه العقلي في رد حديث سحر النبي ﷺ:

١- قال الشيخ محمد عبده: «الذي يجب اعتقاده أن القرآن مقطوع به، وأنه كتاب الله بالتواتر عن المعصوم ﷺ، فهو الذي يجب الاعتقاد بما يثبته، وعدم

---

(١) المراد به شرعاً: «هو مختص بكل أمر يخفى سببه، ويتخيل على غير حقيقته، ويجري مجرى التمويه والخداع، ومتى أطلق ولم يقيد، أفاد ذم فاعله». انظر: التفسير الكبير ومفاتيح الغيب: فخر الدين الرازي: ٣/ ٢٢٢.

(٢) التفسير الكبير ومفاتيح الغيب: فخر الدين الرازي: ٣٢/ ١٨٧.

(٣) أحكام القرآن: أبو بكر الجصاص: ١/ ٤٩.

الاعتقاد بما ينفيه، وقد جاء ينفي السحر عنه عليه السلام؛ حيث نسب القول بإثبات حصول السحر له إلى المشركين أعدائه، ووبخهم على زعمهم هذا، فإذن هو ليس بمسحور قطعاً، وأما الحديث على فرض صحته فهو آحاد، والآحاد لا يؤخذ بها في باب العقائد، وعصمة النبي ﷺ من تأثير السحر في عقله عقيدة من العقائد لا يؤخذ في نفيها عنه إلا باليقين، ولا يجوز أن يؤخذ فيها بالظن والمظنون»[١].

٢- مال أ. سيد قطب إلى التشكيك في صحة حديث سحر النبي ﷺ معللاً ذلك بأنه من الآحاد فقال: «وأحاديث الآحاد لا يؤخذ بها في أمر العقيدة، والمرجع هو القرآن، والتواتر شرط للأخذ بالأحاديث في أصول العقائد، وهذه الروايات ليست من المتواتر»[٢].

وهذا ما قال به الشيخ جمال الدين القاسمي[٣]، والشيخ محمد علي السايس[٤]، والشيخ علي حسب الله[٥]، والشيخ محمد أبو زهرة[٦]، والشيخ محمد عزة دروزة[٧]، والشيخ محمد الغزالي[٨]، ود. صلاح الدين بن أحمد الإدلبي[٩]، ود. محمود عكام[١٠]، وأ. جمال البنا[١١]، ود. أحمد حجازي السقا[١٢]، والشيخ

(١) الأعمال الكاملة للإمام الشيخ محمد عبده: د. محمد عمارة: ٥/ ٥٤٤.
(٢) في ظلال القرآن: سيد قطب: ٦/ ٤٠٠٨.
(٣) محاسن التأويل: الشيخ محمد جمال الدين القاسمي: ١٧/ ٦٣٠٩، طبع عيسى البابي الحلبي: القاهرة.
(٤) تفسير آيات الأحكام: الشيخ محمد علي السايس: ١/ ١٨، طبع محمد علي صبيح: القاهرة.
(٥) أصول التشريع الإسلامي: الشيخ علي حسب الله: ٧٣- ٧٤، دار المعارف: القاهرة.
(٦) حديث السحر في الميزان: د. سعد المرصفي: ٣٦، مكتبة المنار الإسلامية: الكويت.
(٧) محمد عزة دروزة وتفسير القرآن الكريم: د. فريد مصطفى سليمان: ١٠٥، ٢١٣، اتجاهات التفسير في العصر الحديث في مصر وسوريا: د. فضل حسن عباس: ٥٧٦- ٥٧٧.
(٨) السنة النبوية بين أهل الفقه وأهل الحديث: محمد الغزالي: ٧٦، دار الشروق: القاهرة.
(٩) منهج النقد عند علماء الحديث النبوي: د. صلاح الدين بن أحمد الإدلبي: ٢٥٥- ٢٥٧.
(١٠) سمعت منه هذا الرأي في إحدى محاضراته التي ألقاها على طلبة دبلوم التأهيل التربوي في جامعة حلب عام ١٤١٨هـ، ١٩٩٧م.
(١١) نحو فقه جديد: أ. جمال البنا: ٢/ ٢٣٧.
(١٢) دفع الشبهات عن الشيخ محمد الغزالي: د. أحمد حجازي السقا: ٢٤٢- ٢٤٣.

علي الطنطاوي، وأ.مصطفى محمد الحديدي[١]، والشيخ محمد أمين شيخو[٢]، ود.مصطفى محمود[٣].

الثاني: أقوال أصحاب الاتجاه المنحرف في رد حديث سحر النبي ﷺ:

١- قال د.أحمد صبحي منصور: «اتهام الرسول ﷺ بالسحر، أو بأن بعضهم سحره، فيه تشكيك في الرسالة، وطعن في الدين، ويفقد المصداقية في أي قول أو فعل يصدر منه، ومنه يدخل باب الشك في الإسلام جملة وتفصيلاً»[٤].

٢- قال صالح الورداني: «وتأتي قضية السحر لتؤكد لنا مدى هامشية شخصية الرسول ﷺ في نظر أهل السنة، ومدى إهمال الوحي له، حتى إن بعض السحرة يسحرونه ويسيطرون عليه، فيفعل الشيء ولا يفعله، أي يتخيل فعل الشيء، وهذا يعني أن الساحر قد هيمن على الرسول ﷺ نفسياً، ومن الممكن أن يقول على لسانه ما يشاء، ومرة أخرى يطرح السؤال: أين دور الوحي؟»[٥].

وهذا ما قال به محمود أبو رية[٦]، والسيد صالح أبو بكر[٧]، وسامر إسلامبولي[٨]، وأحمد حسين يعقوب[٩].

---

(١) عذاب القبر في الميزان: دراسة وافية نقلية وعقلية: عكاشة عبد المنان الطيبي: ١٨٤، دار الاعتصام: القاهرة.

(٢) حقيقة سيدنا محمد ﷺ تظهر في القرن العشرين: محمد أمين شيخو: ٣٢.

(٣) الشفاعة: محاولة لفهم الخلاف القديم بين المؤيدين والمعارضين: د.مصطفى محمود: ٣١.

(٤) لماذا القرآن؟: د.أحمد صبحي منصور: ١٠٩- ١١١.

(٥) أهل السنة شعب الله المختار: صالح الورداني: ٦٨- ٧٠، دار الهدف: القاهرة.

(٦) أضواء على السنة المحمدية: محمود أبو رية: ٣٥١.

(٧) السنة النبوية في كتابات أعداء الإسلام: مناقشتها والرد عليها: د.عماد السيد الشربيني: ٢/ ٣١٢.

(٨) تحرير العقل من النقل وقراءة نقدية لمجموعة من أحاديث البخاري ومسلم: سامر إسلامبولي: ١٧٣- ١٧٤، دار الأوائل: دمشق.

(٩) رد شبهات حول عصمة النبي ﷺ في ضوء الكتاب والسنة: د.عماد السيد الشربيني: ٢٤٥، دار الصحيفة: القاهرة.

ثانياً: أدلة أصحاب الاتجاه العقلي في رد حديث سحر النبي ﷺ:

استدل هؤلاء في إنكار حديث سحر النبي ﷺ بالعقل، وذلك من خلال الأمور التالية:

الأول: أن هذا الحديث يحط من منصب النبوة والرسالة، ويشكك ويقدح فيهما، ويتعارض مع عصمة النبي ﷺ، وكل ما أدى إلى هذه الأمور فهو باطل، فالحديث باطل[١].

الثاني: الحديث على فرض صحته فهو آحاد، والآحاد لا يؤخذ بها، وعصمة النبي ﷺ من تأثير السحر في عقله عقيدة من العقائد لا يؤخذ في نفيها عنه إلا باليقين، ولا يجوز أن يؤخذ فيها بالظن والمظنون[٢].

الثالث: الذي يجب اعتقاده أن القرآن مقطوع به، وأنه كتاب الله بالتواتر عن المعصوم ﷺ، فهو الذي يجب الاعتقاد بما يثبته، وعدم الاعتقاد بما ينفيه، وقد جاء ينفي السحر عنه ﷺ؛ حيث نسب القول بإثبات حصول السحر له إلى المشركين أعدائه، ووبخهم على زعمهم هذا، فإذن هو ليس بمسحور قطعاً؛ كما قال الله تعالى: ﴿إِذْ يَقُولُ ٱلظَّٰلِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا﴾ [الإسراء: ٤٧]، فحديث السحر يتعارض مع هذه الآية، وبالتالي فالحديث غير صحيح[٣].

الرابع: نزول هاتين السورتين ـ الفلق والناس ـ[٤] في مكة هو الراجح؛ يُضعف حديث سحر النبي ﷺ[٥].

---

(١) لماذا القرآن؟: د.أحمد صبحي منصور: ١٠٩- ١١١، أهل السنة شعب الله المختار: صالح الورداني: ٦٨- ٧٠، محاسن التأويل: جمال الدين القاسمي: ١٧/ ٣٠٤، تحرير العقل من النقل وقراءة نقدية لمجموعة من أحاديث البخاري ومسلم: سامر إسلامبولي: ١٧٣- ١٧٤.

(٢) الأعمال الكاملة للإمام الشيخ محمد عبده: د.محمد عمارة: ٥/ ٥٤٤، أصول التشريع الإسلامي: علي حسب الله: ٧٣- ٧٤، أضواء على السنة المحمدية: محمود أبو رية: ٣٥١.

(٣) الأعمال الكاملة للإمام الشيخ محمد عبده: د.محمد عمارة: ٥/ ٥٤٣- ٥٤٤، محاسن التأويل: جمال الدين القاسمي: ١٧/ ٦٣٠٨- ٦٣٠٩، الشفاعة: محاولة لفهم الخلاف القديم بين المؤيدين والمعارضين: د.مصطفى محمود: ٣١، تحرير العقل من النقل وقراءة نقدية لمجموعة من أحاديث البخاري ومسلم: سامر إسلامبولي: ١٧٤.

(٤) المقبول من أسباب النزول: د.نادي بن محمود حسن الأزهري: ٧٢٥، مطبعة الأمانة: القاهرة.

(٥) في ظلال القرآن: سيد قطب: ٦/ ٤٠٠٨.

الخامس: السحر من عمل الشيطان، والنفوس الخبيثة الشريرة، فهل في عقول الداسين على رسول الله ﷺ عماء؟، وهل في أفكار المضلين غباء حتى أدخلوا هذه الدسوس من أن للشيطان على رسول الله ﷺ سلطاناً حتى يمرضه؟![1].

السادس: أن علماء الحديث قد استغرقوا الجهد في التثبت من صحة السند والرواية بمختلف الضمانات، لم يجدوا حاجة حتى لإلقاء نظرة على المتن، وفاتتهم عشرات الأسباب يمكن أن تطرأ على الحديث، مع وجود ضماناتهم تلك، وتكون مبرر لعدم الأخذ به، وكانت نتيجة هذا التركيز على السند إهمال المتن، فلم يروا أن مجافاة المتن للعقل أو الطبع السليم، أو حتى ما ينبغي للقرآن الكريم، ولرسوله من قداسة، مبرراً لنبذه، وهكذا أقروا أن النبي ﷺ قد سُحر، سحره يهودي، ومعالجتهم للروايات التي نقلت هذا الزعم توضّح هيمنة الإسناد[2].

المطلب الثاني: أدلة العلماء في إثبات سحر النبي ﷺ والرد على أدلة الاتجاه العقلي:

أولاً: أدلة العلماء في إثبات سحر النبي ﷺ:

استدل علماء المسلمين على إثبات سحر النبي ﷺ من الحديث الصحيح الصريح، وذلك بما يلي:

قالت السيدة عائشة رضي الله عنها: سَحَر رسول الله ﷺ رجل من بني زُريق، يقال له: لبيد بن الأعصم، حتى كان رسول الله ﷺ يُخيل إليه أنه كان يفعل الشيء، وما فعله، حتى إذا كان ذات يوم أو ذات ليلة، وهو عندي، لكنه دعا ودعا، ثم قال: «**يا عائشة، أشَعرت أن الله أفتاني فيما استفتيته فيه؟؛ أتاني رجلان، فقعد أحدهما عند رأسي، والآخر عند رجليّ، فقال أحدهما لصاحبه: ما وجَع الرجل؟**

---

(١) انظر للتوسع: حقيقة سيدنا محمد ﷺ تظهر في القرن العشرين: محمد أمين شيخو: ٣٢-٣٦.

(٢) الإسلام والعقلانية: أ. جمال البنا: ٣٨- ٣٩، دار الفكر الإسلامي: القاهرة، تحرير العقل من النقل وقراءة نقدية لمجموعة من أحاديث البخاري ومسلم: سامر إسلامبولي: ١٧٤.

فقال: مطبوب[١]، قال: من طبّه؟ قال: لبيد بن الأعصم، قال: في أي شيء؟ قال: في مُشط، ومُشاطة، وجُفّ طلْع[٢] نخلة ذكر، قال: وأين هو؟ قال: في بئر ذَرْوان، فأتاها رسول الله ﷺ في ناس من أصحابه، فجاء فقال: يا عائشة، كأن ماءها نُقَاعة الحناء، وكأن رؤوس نخلها رؤوس الشياطين، قلت: يا رسول الله، أفلا استخرجته؟ قال: قد عافاني الله، فكرهت أن أثير عليّ الناس فيه شراً، فأمر بها فدُفِنت»[٣].

قال الإمام المازري: «مذهب أهل السنة، وجمهور علماء الأمة على إثبات السحر، وأن له حقيقة كحقيقة غيره من الأشياء الثابتة؛ خلافاً لمن أنكر ذلك ونفى

---

(١) أي مسحور. انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر: ابن الأثير الجزري: ٥٤٦.

(٢) أي وعاء الطلع، وهو الغشاء الذي يكون فوقه. انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر: ابن الأثير الجزري: ١٥٤.

(٣) رواه البخاري في كتاب: الطب، باب: السحر، وفي باب: هل يستخرج السحر؟، (الحديث: ٥٧٦٣، ٥٧٦٥، ٥٧٦٦): ٤/ ٤٨- ٤٩، وفي كتاب: بدء الخلق، باب: صفة إبليس وجنوده، (الحديث: ٣٢٦٨): ٢/ ٤٣٧، وفي كتاب: الدعوات، باب: تكرير الدعاء، (الحديث: ٦٣٩١): ٤/ ١٧٠، وفي كتاب: الأدب، باب: قول الله تعالى: «إِنَّ اللهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي القُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ»، النحل: ٩٠، (الحديث: ٦٠٦٣): ٤/ ١٠٣، وفي كتاب: الجزية والموادعة، باب: هل يعفى عن الذمي إذا سحر؟، (الحديث: ٣١٧٥): ٢/ ٤١٣، واللفظ له، ورواه مسلم في كتاب: السلام، باب: السحر، (الحديث: ٢١٨٩): ٤/ ١٧١٩- ١٧٢٠، ورواه النسائي في السنن الكبرى في كتاب: الطب، باب: السحر، (الحديث: ٧٦١٥): ٤/ ٣٨٠، ورواه ابن ماجه في كتاب: الطب، باب: السحر، (الحديث: ٣٥٤٥): ٥/ ١٨٢- ١٨٣، ورواه أحمد في مسنده عن عائشة رضي الله عنها، (الحديث: ٢٤٣٠٠): ٤٠/ ٣٤٣- ٣٤٤، ورواه ابن حبان في صحيحه في كتاب: التاريخ، باب: كتب النبي ﷺ، (الحديث: ٦٥٨٣): ١٤/ ٥٤٥- ٥٤٦، ورواه أبو يعلى الموصلي في مسنده، (الحديث: ٤٨٨٢): ٨/ ٢٩٠- ٢٩٢، ورواه الحميدي في مسنده، (الحديث: ٢٥٩): ١/ ١٢٥- ١٢٧، عالم الكتب: بيروت، ورواه البيهقي في السنن الكبرى في كتاب: القسامة، باب: من قال: السحر له حقيقة، (الحديث: ١٦٤٩٤): ٨/ ٢٣٢، ورواه الحاكم في مستدركه في كتاب: الحدود، (الحديث: ٨٠٧٤): ٤/ ٣٦٠- ٣٦١، ورواه الطبراني في المعجم الكبير، (الحديث: ٥٠١١- ٥٠١٢): ٥/ ٢٠١.

حقيقته، وأضاف ما يقع منه إلى خيالات باطلة لا حقائق لها، وقد ذكره الله تعالى في كتابه، وذكر أنه مما يتعلم، وذكر ما فيه إشارة إلى أنه مما يكفر به، وأنه يفرق بين المرء وزوجه، وهذا كله لا يمكن فيما لا حقيقة له»[(١)].

ثانياً: الرد على أدلة أصحاب الاتجاه العقلي في إنكار حديث سحر النبي ﷺ:

الأول: الرد على شبهة أن سحر النبي ﷺ يحط من منصب النبوة والرسالة، وعصمة النبي ﷺ:

١- إجماع المسلمين - وهو الحق - قد انعقد على وجوب عصمة الأنبياء مما يخل بالتبليغ؛ نحو عصمتهم من تسلّط الشيطان على خواطرهم بالوساوس، أو تصور الشيطان لهم في صورة الملك، إذ لا سبيل للشيطان على الأنبياء عليهم السلام، وهم معصومون أيضاً مما يخل بالتبليغ، كالكفر وسائر المعاصي[(٢)].

٢- أن النبي ﷺ معصوم من ترك بيان ما أُمِر ببيانه، وتبليغ ما أوجب الله عليه تبليغه، وليس معصوماً من الأمراض العارضة للأجسام ونحوها مما لا نقص فيه لمنزلته، والسحر يعتبر من جملة الأمراض[(٣)].

٣- وكل ما جاء في الروايات: «**من أن رسول الله ﷺ يخيل إليه أنه كان يفعل الشيء وما فعله**»[(٤)]، أو «**يخيل إليه أنه يأتي أهله، ولا يأتي**»[(٥)]، فمحمول على التخيل بالبصر، لا لخلل تطرّق إلى العقل، وليس في ذلك ما يدخل لبساً

---

(١) المعلم بفوائد مسلم: المازري: ٣/ ١٥٨.

(٢) انظر للتوسع: حجية السنة: د. عبد الغني عبد الخالق: ٩٦- ١٠٨، دار الوفاء: المنصورة، عصمة الأنبياء والرد على الشبه الموجهة إليهم: د. محمد أبو النور الحديدي: ١٣٢ وما بعدها، مطبعة الأمانة: القاهرة.

(٣) فتح الباري بشرح صحيح البخاري: ابن حجر: ١٠/ ٢٣٧، صحيح مسلم بشرح النووي: ١٤/ ٢٥١.

(٤) رواها البخاري في كتاب: الطب، باب: السحر، (الحديث: ٥٧٦٣): ٤/ ٤٨.

(٥) رواها البخاري في كتاب: الأدب، باب: قول الله تعالى: ﴿۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَيَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡبَغۡيِۚ يَعِظُكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ٩٠﴾ [النحل: ٩٠]، (الحديث: ٦٠٦٣): ٤/ ١٠٣.

على تبليغه أو شريعته، أو يقدح في صدقه؛ لقيام الدليل والإجماع على عصمته من هذا[١].

ثم إنه لم يرد أنه ﷺ تكلم بكلمة واحدة في أثناء مدة السحر تدل على اختلال عقله ﷺ، ولا أنه قال قولاً فكان بخلاف ما أخبر به[٢].

وبالتالي فلا يكون هناك إخلال بنبوة ورسالة وعصمة النبي ﷺ، وينهار ما استشكله المنكرون للحديث النبوي الشريف[٣].

الثاني: الرد على شبهة أن حديث سحر النبي ﷺ آحاد، والحديث الآحاد لا يؤخذ به:

فهي شبهة قديمة حديثة، والأخبار طافحة باحتجاج الأئمة بخبر الواحد والعمل به من غير نكير، وهي شبهة مردودة بما أثبتّه من حجية خبر الواحد في الفصل الثاني من هذا الباب.

الثالث: الرد على شبهة أن حديث سحر النبي ﷺ متعارض مع قوله تعالى: ﴿إِذْ يَقُولُ ٱلظَّٰلِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا﴾ [الإسرَاء: ٤٧]:

١- إن المشركين لم يريدوا بقولهم هذا أن النبي ﷺ سحر؛ حتى أدركه بعض التغيير أياماً، ثم شفاه الله، وإنما أرادوا أنه يصدر عن خيال وجنون في كل ما يقول وما يفعل، وأن ما جاء به ليس من الوحي، فغرضهم إنكار رسالته، ورميه بالجنون؛ وهذا أمر واضح جلي لكل من تتبع الآيات القرآنية التي تعرضت لهذا، فالغرضان مختلفان، والموضوعان متباينان[٤].

---

(١) صحيح مسلم بشرح النووي: ١٤/ ٢٥١- ٢٥٢، إكمال المعلم بفوائد مسلم: القاضي عياض بن موسى اليحصبي: ٧/ ٨٨.

(٢) فتح الباري بشرح صحيح البخاري: ابن حجر العسقلاني: ١٠/ ٢٣٨.

(٣) انظر للتوسع: دفاع عن السنة ورد شبه المستشرقين والكتاب المعاصرين: د. محمد بن محمد أبو شهبة: ٢٢٤- ٢٢، دار الجيل: بيروت، مشكلات الأحاديث النبوية وبيانها: عبد الله بن علي النجدي القصيمي: ٦٠- ٦٢، دار القلم: بيروت، الرسول والوحي: د. محمد سيد أحمد المسير: ٣١٨، دار ابن كثير: دمشق.

(٤) دفاع عن السنة ورد شبه المستشرقين والكتاب المعاصرين: د. محمد أبو شهبة: ٢٢٥، =

٢- إن واقعة هذا السحر كانت في العام السابع للهجرة؛ أي بعد البعثة بعشرين سنة، وادعاء المشركين أنه ﷺ مسحور كان في العهد المكي، مما يدل على أن كل موضوع يختلف عن الآخر، والآية لا صلة لها بموضوع سحر النبي ﷺ[(١)].

٣- إذا كان الحديث يصدق المشركين في قولهم: ﴿إِذْ يَقُولُ ٱلظَّٰلِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا﴾ [الإسراء: ٤٧]، فإن الكفار كانوا يقولون: ﴿وَقَالُوا۟ مَالِ هَٰذَا ٱلرَّسُولِ يَأْكُلُ ٱلطَّعَامَ وَيَمْشِى فِى ٱلْأَسْوَاقِ﴾ [الفرقان: ٧]، فهل نكذبهم؟ فالمشركون كانوا يقولون أقوالاً كثيرة صادقة، فهل نكذبهم فيها لئلا نكون مصدقين للكفار؟ ما قال هذا أحد، بل الصدق يجب أن يصدق، والكذب يجب أن يكذب، سواء أكان هذا أم ذاك من كافر أم من مسلم، وإنما معنى ذلك أن الظالمين كانوا ينسبون إلى النبي ﷺ كل ما يظنونه قادحاً في رسالته وصدقه، وإن كان واقعاً حقاً لا يقدح فيه كما ظن هؤلاء أن سحر النبي ﷺ يقدح في الرسالة، فكذبوا الأخبار فيه، وهذا الظن خطأ[(٢)].

الرابع: الرد على شبهة أن حديث سحر النبي ﷺ كان بالمدينة ونزول سورة الفلق والناس كان بمكة:

١- السور المختلف في مكيتها ومدنيتها اثنتا عشرة سورة؛ منها: المعوذتان[(٣)]، وما دامت المسألة خلافية، فلا يصح الاستدلال على رد الحديث بقول على

= مشكلات الأحاديث النبوية وبيانها: القصيمي: ٥٩-٦٠، حديث السحر النبوي بين حجة النقل وجدل العقل: رضا بن زكريا حميدة: ٨٤- ٨٥.

(١) الرسول والوحي: د.محمد سيد أحمد المسير: ٣١٨، اكتساب المناعة في إثبات الشفاعة: أمير فتوح عبد العليم شيشي: ٥٥.

(٢) مشكلات الأحاديث النبوية وبيانها: القصيمي: ٥٨- ٥٩، حديث السحر في الميزان: د.سعد المرصفي: ٤٢- ٤٣، رد شبهات حول عصمة النبي ﷺ في ضوء الكتاب والسنة: د.عماد السيد الشربيني: ٢٥١.

(٣) مناهل العرفان في علوم القرآن: الشيخ محمد عبد العظيم الزرقاني: ١/ ١٩٨، دار إحياء الكتب العربية: القاهرة.

قول آخر، وإذا كان بعضهم يرجّح أن المعوذتين مكيّتان، فقد رأى غيره ترجيح كونهما مدنيتين.

٢- على فرض أن المعوذتين مكيتان كما رجّحه بعضهم، فما المانع أن تكون السورتان علاجاً للسحر عموماً، ولسحر رسول الله خصوصاً؟[١].

الخامس: الرد على شبهة أن السحر من عمل الشيطان وهو لا يناسب مقام النبوة:

١- هذه الشبهة مردودة بما ورد في القرآن من آيات تثبت تعرّض الشيطان للأنبياء بأنواع الإفساد والإغواء، ومع ذلك عصمهم الله تعالى بعدم تمكّنه من إغوائهم، أو إلحاق ضرر بهم يضر بالدين، فقد قال الله تعالى في حق سيدنا أيوب عليه السلام: ﴿وَٱذْكُرْ عَبْدَنَآ أَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَسَّنِىَ ٱلشَّيْطَٰنُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ ﴿٤١﴾﴾ [ص: ٤١]، وقوله تعالى في حق آدم عليه السلام وزوجته: ﴿فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ﴾ [البقرة: ٣٦]، ومن هنا لا يلزم من وقوع السحر في حق الأنبياء، إضلالهم وإغوائهم، فإن ذلك ظن فاسد، وفي قوله تعالى: ﴿قَالَ بَلْ أَلْقُوا۟ ۖ فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَىٰ ﴿٦٦﴾ فَأَوْجَسَ فِى نَفْسِهِۦ خِيفَةً مُّوسَىٰ ﴿٦٧﴾ قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٦٨﴾ وَأَلْقِ مَا فِى يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوٓا۟ ۖ إِنَّمَا صَنَعُوا۟ كَيْدُ سَٰحِرٍ ۖ وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ ﴿٦٩﴾﴾ [طه: ٦٦-٦٩]، فقد صرحت الآيات بأن سحر أولئك السحرة، قد أوقع سيدنا موسى عليه السلام في التخييل، حتى تغيرت أمامه الحقائق، فحسب الحبال حيات، وقد عصمه الله تعالى بالوحي إليه بعدم الخوف[٢].

٢- أن إذن الله تعالى في تأثير السحر في ظاهر جسده ﷺ لحكمة يعلمها، وهي:

أ - ابتلاء رسول الله ﷺ بذلك ليصبر، ويكون أسوة حسنة لمن يصاب بمثل ذلك، وهو تعليم لأمته.

---

(١) حديث السحر النبوي بين حجة النقل وجدل العقل: رضا بن زكريا حميدة: ٨٨- ٨٩.

(٢) رد شبهات حول عصمة النبي ﷺ في ضوء الكتاب والسنة: د. عماد السيد الشربيني: ٢٥٢، مشكلات الأحاديث النبوية وبيانها: القصيمي: ٦٢- ٦٤، مشكلات الأحاديث والجمع بين النصوص المتعارضة: جماعة من نوابغ العلماء: ٢٠٣، مكتبة المتنبي: القاهرة.

ب ـ التأكيد على بشريته حتى لا يغلو فيه بعض أفراد أمته، كما غالى النصارى في عيسى عليه السلام.

ج ـ الالتزام بكثرة الدعاء في مثل هذه الحالة؛ حتى يفرج الله تعالى هذه الكربة.

د ـ الرقية وتكون بتلاوة سورتي الفلق والناس[١].

السادس: الرد على شبهة أن علماء الحديث نقدوا سند حديث سحر النبي ﷺ دون متنه:

هذه الشبهة أول من أثارها هم المستشرقون[٢]، ثم تبعهم في ذلك بعض المسلمين[٣]، والرد عليها بما يلي:

١ـ إن نقد الإسناد والرجال، وتقنين الرواية، جعل المتن مصاناً، ولم يتداول المحدِّثون إلا ما صح منه، فلم تدع الحاجة إلى نقد المتن بمثل نقد الإسناد.

٢ـ تم تحديد مقاييس من طرف المحدثين في نقد متن الحديث، تتمثل في عرض الحديث على القرآن الكريم، ومقارنة روايات الحديث بعضها ببعض، وعرضه على الوقائع والمعلومات التاريخية، وعرضه على المسلمات العقلية[٤].

---

(١) حديث السحر النبوي بين حجة النقل وجدل العقل: رضا بن زكريا حميدة: ٩١- ٩٢، ١٣٤، دفع الشبهات عن السنة النبوية: د.عبد المهدي عبد القادر عبد الهادي: ٩٣- ٩٤، مكتبة الإيمان: القاهرة، السنة النبوية في كتابات أعداء الإسلام: مناقشتها والرد عليها: د.عماد السيد الشربيني: ٢/ ٣١٨.

(٢) انظر للتوسع: اهتمام المحدثين بنقد الحديث سنداً ومتناً ودحض مزاعم المستشرقين وأتباعهم: د.محمد لقمان السلفي: ٤٦٧- ٤٧١، دار الداعي: الرياض، جهود المحدثين في نقد متن الحديث النبوي الشريف: د.محمد طاهر الجوابي: ٤٤٩- ٤٥١، مؤسسة عبد الكريم ابن عبد الله: تونس.

(٣) انظر للتوسع: اهتمام المحدثين بنقد الحديث سنداً ومتناً ودحض مزاعم المستشرقين وأتباعهم: د.محمد لقمان السلفي: ٤٧١- ٤٧٣، جهود المحدثين في نقد متن الحديث النبوي الشريف: د.محمد طاهر الجوابي: ٤٥١- ٤٥٢.

(٤) جهود المحدثين في نقد متن الحديث النبوي الشريف: د.محمد طاهر الجوابي: ٤٥٣، ٤٥٦، نقد المتن بين صناعة المحدثين ومطاعن المستشرقين: د.نجم عبد الرحمن خلف: ٣٠- ٤٠، مكتبة الرشد: الرياض.

٣- إن عدد علامات نقد المتن أكثر من عدد علامات نقد السند.

٤- لا تلازم بين صحة السند وصحة المتن، فقد يكون السند صحيحاً دون المتن لما فيه من شذوذ أو علة.

٥- لا يمكن الاعتماد على النظر في المتن وحده.

٦- القرارات التي اتخذها النقاد حول الرواة، وعدم قبول رواياتهم لم تكن نتيجة النظر في أحوالهم الشخصية الفردية، وإنما كانت نتيجة النظر في المتون الغريبة التي رويت بواسطتهم[1].

(١) اهتمام المحدثين بنقد الحديث سنداً ومتناً ودحض مزاعم المستشرقين وأتباعهم: د. محمد لقمان السلفي: ٤٧٦.

المبحث الثالث

رأي الاتجاه العقلي في مسألة حد الردة كنموذج لأحاديث الأحكام

المطلب الأول: رأي أصحاب الاتجاه العقلي وأدلتهم في رد أحاديث حد الردة:

لقد تبنّى هذا الاتجاه إنكار أحاديث حد الردة؛ لغلبة المنحى العقلي على تفكيرهم، وادعاءً منهم أنه يتنافى مع حرية الاعتقاد والتفكير، وبكون الحديث الوارد فيه آحاداً؛ وفي هذا المبحث سأعرض لأقوالهم وأدلتهم ورد العلماء عليهم.

أولاً: رأي أصحاب الاتجاه العقلي في رد أحاديث حد الردة[1]:

وسأذكر هنا أهم أقوال هذا الاتجاه في ذلك، ثم أورد من تأثر بهم من أصحاب الاتجاه المنحرف:

الأول: أقوال أصحاب الاتجاه العقلي في رد أحاديث حد الردة:

١- قال الشيخ محمد رشيد رضا: «لا يوجد في القرآن نص بقتل المرتد»[2].

٢- قال أ. جمال البنا: «نحن نرفض رفضاً باتاً، قلباً وقالباً، كل فكرة عن تكفير مرتد، أو إقامة حد عليه، أو تعزير، بل نحن نرفض مبدأ التكفير أصلاً من باب عدم الاختصاص، ونرى أن الادعاءات عن حد للمرتد لا تقوم على قرآن أو سنة؛ ولكنها من وضع الفقهاء، طبقاً لاجتهاداتهم، وفي ضوء ظروف معينة تحكّمت فيهم»[3].

---

(١) الردة: «هي رجوع المسلم، العاقل البالغ، عن الإسلام إلى الكفر، باختياره دون إكراه من أحد، سواء في ذلك الذكور والإناث». انظر: الردة: الشيخ السيد سابق: ٣، دار الفتح للإعلام العربي: القاهرة.

(٢) تفسير المنار: الشيخ محمد رشيد رضا: ٥/ ٢٦٦.

(٣) كلا ثم كلا، كلا لفقهاء التقليد كلا لأدعياء التنوير: جمال البنا: ٦٢.

وهذا ما قال به الشيخ محمود شلتوت[١]، ود. محمد سليم العوا[٢]، ود. محمد عمارة[٣]، ود. طه جابر العلواني[٤]، ود. حسن الترابي[٥]، ود. رضوان السيد[٦]، ومحمد جلال كشك[٧].

الثاني: أقوال أصحاب الاتجاه المنحرف في رد أحاديث حد الردة:

١- قال د. أحمد صبحي منصور: «قام حد الردة المزعوم على مجرد حديثين، أثبتنا كذبهما بمعايير الجرح والتعديل، ومن خلال أدلة من كتب التراث نفسها، كما أثبتنا من قبل تناقضهما مع تشريع الإسلام الحقيقي في القرآن؛ الذي هو الفيصل في سنة الرسول ﷺ»[٨].

٢- قال محمد منير إدلبي: «هكذا يتبين معنا أن الحديث الشريف أيضاً؛ يؤكد عدم حل قتل المرتد، وهو يؤيد بذلك القرآن الكريم، وها نحن نجد بكل وضوح ساطع كالشمس في رابعة النهار، أن الله تعالى لم يأمر بقتل المرتد، وأن رسوله ﷺ أيضاً لم يشرع قتل المرتد، وهذا يعني أن الإسلام قد اعتبر قتل المرتد جريمة»[٩].

---

(١) الإسلام عقيدة وشريعة: محمود شلتوت: ٢٨٠- ٢٨١.

(٢) الإسلام وحرية الفكر: جمال البنا: ١٧٨، دار الفكر الإسلامي: القاهرة، النظرية السياسية الإسلامية في حقوق الإنسان الشرعية: دراسة مقارنة: د. محمد أحمد مفتي، د. سامي صالح الوكيل: ١٠٧، العدد (٢٥)، (١٤١٠هـ، ١٩٩٠)، كتاب الأمة: الدوحة.

(٣) التفسير الماركسي للإسلام: د. محمد عمارة: ١١، دار الشروق: القاهرة.

(٤) لا إكراه في الدين: إشكالية الردة والمرتدين من صدر الإسلام حتى اليوم: د. طه جابر العلواني: ٨٤، مكتبة الشروق الدولية: القاهرة.

(٥) التراث الإسلامي بين تأويل الجاهلين وانتحال المبطلين: د. الحسن العلمي: ٢١١- ٢١٢، مكتبة التراث الإسلامي: القاهرة، تجديد الفكر الإسلامي: د. الحسن العلمي: ٢٣٣.

(٦) التراث الإسلامي بين تأويل الجاهلين وانتحال المبطلين: د. الحسن العلمي: ٢٠٨.

(٧) محاكمة المرتدين: أحمد السيوفي: ٤٧.

(٨) حد الردة: دراسة أصولية تاريخية: د. أحمد صبحي منصور: ٨٨.

(٩) قتل المرتد الجريمة التي حرمها الإسلام: محمد منير إدلبي: ١١٧.

وهذا ما قال به د. محمد توفيق صدقي[١]، ومحمد سعيد العشماوي[٢]، ود. سيد القمني[٣]، وحسن غريب[٤]، ود. رفعت السعيد، ود. محمد أحمد خلف الله، وعبد الستار طويلة[٥].

ثانياً: أدلة أصحاب الاتجاه العقلي في رد أحاديث حد الردة:

استدل هؤلاء على إنكار أحاديث الردة بالعقل، وذلك من خلال الأمور التالية:

الأول: أن القرآن الكريم لم يرتب عقوبة دنيوية للمرتد مما يتعارض مع أحاديث الردة:

أشار القرآن إلى عدد من الآيات للارتداد عن الإسلام؛ دون ترتيب عقوبة دنيوية على المرتد، ومن ذلك ما يلي:

١- قول الله تعالى: ﴿وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُوْلَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ [البقرة: ٢١٧].

٢- قول الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن تُطِيعُوا۟ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يَرُدُّوكُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ فَتَنقَلِبُوا۟ خَٰسِرِينَ ﴿١٤٩﴾﴾ [آل عمران: ١٤٩].

٣- قول الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾ [المائدة: ٥٤].

٤- قول الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱرْتَدُّوا۟ عَلَىٰٓ أَدْبَٰرِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْهُدَى ۙ ٱلشَّيْطَٰنُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمْلَىٰ لَهُمْ ﴿٢٥﴾﴾ [محمد: ٢٥].

---

(١) مجلة المنار: بحث الإسلام هو القرآن وحده: د. محمد توفيق صدقي: ٩/ ٥٢٣، (١٣٢٤هـ، ١٩٠٦م)، مطبعة المنار: القاهرة.

(٢) أصول الشريعة: محمد سعيد العشماوي: ١٢٧، مكتبة مدبولي: القاهرة.

(٣) بحث: حد الردة والتجديد في الفقه الإسلامي: د. سيد القمني: ٥١- ٥٤، العدد (٢٢)، (٢٠٠٢م)، مجلة الكشكول: بيروت.

(٤) الردة في الإسلام: قراءة تاريخية وفكرية في الأصول والاتجاهات والنتائج: حسن غريب: ٦٥، ٤٧٧، دار الكنوز الأدبية: بيروت.

(٥) محاكمة المرتدين: أحمد السيوفي: ٨٨، ٩٣، ١٠١.

٥- قول الله تعالى: ﴿مَن كَفَرَ بِاللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ إِيمَٰنِهِۦٓ إِلَّا مَنۡ أُكۡرِهَ وَقَلۡبُهُۥ مُطۡمَئِنُّۢ بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَٰكِن مَّن شَرَحَ بِٱلۡكُفۡرِ صَدۡرٗا فَعَلَيۡهِمۡ غَضَبٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَلَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ ١٠٦﴾ [النحل: ١٠٦].

٦- قول الله تعالى: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسۡتَخۡلِفَنَّهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ كَمَا ٱسۡتَخۡلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمۡ دِينَهُمُ ٱلَّذِي ٱرۡتَضَىٰ لَهُمۡ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعۡدِ خَوۡفِهِمۡ أَمۡنٗاۚ يَعۡبُدُونَنِي لَا يُشۡرِكُونَ بِي شَيۡـٔٗاۚ وَمَن كَفَرَ بَعۡدَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ٥٥﴾ [النور: ٥٥].

والآيتان الأخيرتان لم تستخدما فعل ارتد، ولكنها تضمنت نفس المعنى، وهذه الآيات صريحة في إشارتها إلى الردة بعد الإسلام، ومع هذا فلم تشر أقل إشارة إلى عذاب دنيوي، أو حد يوقع على المرتد؛ كما يوقع على السارق أو القاتل، وإنما كان العقاب المروّع المخوّف هو غضب الله...[(١)]، إذاً لا يوجد في القرآن نص بقتل المرتد[(٢)].

٧- قول الله تعالى: ﴿لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّۚ﴾ [البقرة: ٢٥٦].

٨- قول الله تعالى: ﴿أَفَأَنتَ تُكۡرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُواْ مُؤۡمِنِينَ﴾ [يونس: ٩٩].

وأن ظواهر القرآن الكريم في كثير من الآيات؛ تأبى الإكراه على الدين[(٣)].

الثاني: الحدود لا تثبت بحديث الآحاد، وبالتالي لا يصح إقامة حد الردة بأحاديث آحاد[(٤)].

---

(١) الإسلام وحرية الفكر: جمال البنا: ٣٥- ٣٦، ١٤٢، ١٧٦- ١٨٠، الردة في الإسلام: حسن غريب: ٣٩- ٤٧.

(٢) تفسير المنار: الشيخ محمد رشيد رضا: ٥/ ٢٦٦، لا إكراه في الدين: إشكالية الردة والمرتدين من صدر الإسلام حتى اليوم: د. طه جابر العلواني: ٥٥- ٦٣.

(٣) مجلة المنار: بحث الإسلام هو القرآن وحده: د. محمد توفيق صدقي: ٩/ ٥٢٣، (١٣٢٤هـ، ١٩٠٦م)، الإسلام عقيدة وشريعة: محمود شلتوت: ٢٨١، أصول الشريعة: محمد سعيد العشماوي: ١٢٨، حد الردة: دراسة أصولية تاريخية: د. أحمد صبحي منصور: ٤٠- ٤٤، قتل المرتد الجريمة التي حرمها الإسلام: محمد منير إدلبي: ٤٩- ٥٥، ٩١- ١٠٤.

(٤) الإسلام عقيدة وشريعة: محمود شلتوت: ٢٨١، تفسير المنار: الشيخ محمد رشيد رضا: ٥/ ٢٦٦، لا إكراه في الدين: إشكالية الردة والمرتدين من صدر الإسلام حتى اليوم: د. طه =

الثالث: أن الكفر بنفسه ليس مبيحاً لتطبيق حد الردة؛ وإنما المبيح لتطبيق حد الردة هو إما محاربة المرتد للمسلمين، والعدوان عليهم، ومحاولة فتنتهم عن دينهم، لا للردة نفسها، أي قيام المحاربة جنباً إلى جنب مع الارتداد[١]، وإما بمعنى أن قتل المرتد كان له سبب سياسي اجتماعي؛ كمنع العبث بالإسلام[٢]، وإما قتل المرتد يكون بعقوبة تعزيرية مفوضة إلى الحاكم، أي يباح قتله ولا يجب، وبالتالي لا تعتبر الردة حداً من الحدود[٣].

الرابع: النص النبوي يمكن أن يلحق به التغيير؛ فهو قد يكون محكوماً بمرحلة، أو ظرف، أو موقف، تقتضيه مصلحة الدفاع عن قيم، أو مصالح عامة في ظرف من الظروف الخاصة، وبالتالي فإن قتل المرتد يخضع لهذه الظروف؛ وهو حكم متغير ومرحلي، ويجب علينا عند تطبيق أي حديث، كمبدأ عام، أن نتقصى غاية التقصي، وأن نلم بملابسات الحديث كله، ومع عدم الإلمام بالملابسات التي قد تجعله حكماً خاصاً[٤].

الخامس: يجب علينا أن نتأكد من أن أحاديث الردة قد رويت بالحرف وليس بالمعنى؛ لأنه لا يجوز أن نبيح الدماء، مع احتمال الرواية بالمعنى، وأن هذا قد يغير المقصود[٥].

السادس: لم يثبت أن النبي ﷺ أقام حد الردة على أحد[٦].

= جابر العلواني: ٧٠، ٧٧، حد الردة: دراسة أصولية تاريخية: د.أحمد صبحي منصور: ٨٨- ٩٨، قتل المرتد الجريمة التي حرمها الإسلام: محمد منير إدلبي: ١٠٧- ١٠٨.

(١) الإسلام عقيدة وشريعة: محمود شلتوت: ٢٨١، الإسلام وحرية الفكر: جمال البنا: ٣٧، ٤٠، ١٥٣، قتل المرتد الجريمة التي حرمها الإسلام: محمد منير إدلبي: ١١٢، ١٣٤.

(٢) تفسير المنار: الشيخ محمد رشيد رضا: ٩/ ٥٥٣.

(٣) وهو رأي د.محمد سليم العوا. انظر للتوسع: الإسلام وحرية الفكر: جمال البنا: ١٨٠- ١٩٠.

(٤) الردة في الإسلام: قراءة تاريخية وفكرية في الأصول والاتجاهات والنتائج: حسن غريب: ٧٥- ٧٦، الإسلام وحرية الفكر: جمال البنا: ٤٠.

(٥) الإسلام وحرية الفكر: جمال البنا: ٤٠.

(٦) لا إكراه في الدين: إشكالية الردة والمرتدين من صدر الإسلام حتى اليوم: د.طه جابر العلواني: ٨٠، الإسلام وحرية الفكر: جمال البنا: ١٥١، أصول الشريعة: محمد سعيد العشماوي: ١٢٨، حد الردة: دراسة أصولية تاريخية: د.أحمد صبحي منصور: ٥٣- ٥٦.

السابع: تعتبر أحاديث حد الردة المروية في صحيح البخاري ومسلم أحاديث ضعيفة(١)، أو أنها مكذوبة وغير صحيحة(٢).

الثامن: بطلان الإجماع على حد الردة، وذلك بالأمور التالية:

١- فقد ورد أن أبا بكر الصديق رضي الله عنه قد أخذ بعض المرتدين أسرى، وأنه لم ينفذ فيهم أي حكم بالقتل، كما كان يتوجب عليه أن يفعل؛ لو كان هناك حكم شرعي يجب تنفيذه(٣).

٢- كذلك قال ابن عباس رضي الله عنهما: «المرتدة في الإسلام تُحبس ولا تقتل»(٤)، وهو مذهب الحنفية(٥)، قياساً على النهي عن قتل النساء الكافرات عموماً كما جاء في حديث: **«أن رسول الله ﷺ نهى عن قتل النساء»**(٦).

٣- أن إبراهيم النخعي قال: «إن المرتد يستتاب أبداً»(٧)، أي حتى موته، ولا يقتل، وكل ذلك يتعارض مع الزعم بالإجماع(٨).

---

(١) الإسلام وحرية الفكر: جمال البنا: ١٤٨- ١٥٠.

(٢) حد الردة: دراسة أصولية تاريخية: د. أحمد صبحي منصور: ٦١- ٨٨.

(٣) قتل المرتد الجريمة التي حرمها الإسلام: محمد منير إدلبي: ١٣٨.

(٤) رواه الدارقطني في سننه في كتاب: الحدود والديات وغيره، (الحديث: ١٢٠): ٣/ ١١٨، من طريق عاصم بن بهدلة أبي النجود، عن أبي رزين مسعود بن مالك الأسدي، عن ابن عباس رضي الله عنهما، وإسناده ضعيف؛ لأن عاصماً صدوق له أوهام. انظر: تقريب التهذيب: ابن حجر: ٢٨٥.

(٥) انظر: بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع: علاء الدين بن مسعود الكاساني: ٧/ ١٣٤، دار الكتب العلمي: بيروت.

(٦) رواه البخاري في كتاب: الجهاد والسير، باب: قتل النساء في الحرب، (الحديث: ٣٠١٥): ٢/ ٣٦٢، واللفظ له، ورواه مسلم في كتاب: الجهاد والسير، باب: تحريم قتل النساء والصبيان في الحرب، (الحديث: ١٧٤٤): ٣/ ١٣٦٤.

(٧) رواه عبد الرزاق في مصنفه في كتاب: اللقطة، باب: في الكفر بعد الإيمان، (الأثر: ١٨٦٩٧): ١٠/ ١٦٦، من طريق الثوري، عن عمرو بن قيس الملائي، عن إبراهيم النخعي، والأثر صحيح؛ لأن رجاله ثقات، ورواه البيهقي في السنن الكبرى في كتاب: المرتد، باب: ما يحرم به الدم من الإسلام زنديقاً كان أو غيره، (الأثر: ١٦٨٣٣): ٨/ ٣٤٢- ٣٤٣، من طريق الثوري، عن عمرو بن قيس الملائي، عن رجل، عن إبراهيم النخعي، قال ابن وهب: «قال لي مالك: هذا منقطع، وروي من وجه آخر موصولاً وليس بشيء».

(٨) انظر للتوسع: قتل المرتد الجريمة التي حرمها الإسلام: محمد منير إدلبي: ١٣٨- ١٤٢.

المطلب الثاني: أدلة العلماء في إثبات حد الردة والرد على أدلة الاتجاه العقلي:

أولاً: أدلة العلماء في إثبات حد الردة:

استدل علماء المسلمين على إثبات حد الردة من السنة النبوية الصحيحة الصريحة، وعمل الصحابة ﷺ، والإجماع، وذلك بما يلي:

الأول: السنة النبوية:

١- ما رواه عبد الله بن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «**من بدّل دينه فاقتلوه**»(١).

٢- ما رواه عبد الله بن مسعود ﷺ أنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا يحل دم امرىء مسلم يشهد أن لا إله إلا الله؛ إلا بإحدى ثلاث: النفس بالنفس، والثيب الزاني، والمفارق لدينه التارك للجماعة**»(٢).

---

(١) رواه البخاري في كتاب: استتابة المرتدين والمعاندين وقتالهم، باب: حكم المرتد والمرتدة واستتابتهم، (الحديث: ٦٩٢٢): ٤/ ٢٧٩، واللفظ له، ورواه أبو داود في كتاب: الحدود، باب: الحكم فيمن ارتد، (الحديث: ٤٣٥١): ٤/ ٥٢٠، ورواه الترمذي في كتاب: الحدود، باب: ما جاء في المرتد، (الحديث: ١٤٥٨): ٣/ ١٢٦، وقال: «حديث حسن صحيح، والعمل على هذا عند أهل العلم في المرتد، واختلفوا في المرأة إذا ارتدت عن الإسلام»، ورواه النسائي في كتاب: تحريم الدم، باب: الحكم في المرتد، (الحديث: ٤٠٥٩): ٧/ ١٠٤، ورواه ابن ماجه في كتاب: الحدود، باب: المرتد عن دينه، (الحديث: ٢٥٣٥): ٤/ ١٥٤- ١٥٥، ورواه أحمد في مسند ابن عباس رضي الله عنهما، (الحديث: ١٨٧١): ٣/ ٣٦٤- ٣٦٥، ورواه ابن حبان في صحيحه في كتاب: الحدود، باب: الردة، (الحديث: ٤٤٧٥): ١٠/ ٣٢٧.

(٢) رواه البخاري في كتاب: الديات، باب: قول الله تعالى: «أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ» المائدة: ٤٥، (الحديث: ٦٨٧٨): ٤/ ٢٦٨، واللفظ له، ورواه مسلم في كتاب: القسامة، باب: ما يباح به دم المسلم، (الحديث: ١٦٧٦): ٣/ ١٣٠٢- ١٣٠٣، ورواه أبو داود في كتاب: الحدود، باب: الحكم فيمن ارتد، (الحديث: ٤٣٥٢): ٤/ ٥٢٢، ورواه الترمذي في كتاب: الديات، باب: ما جاء لا يحل دم امرئ مسلم إلا بإحدى ثلاث، (الحديث: ١٤٠٢): ٣/ ٧٣- ٧٤، ورواه النسائي في كتاب: تحريم الدم، باب: الحكم في المرتد، (الحديث: ٤٠٥٨): ٧/ ١٠٣- ١٠٤، ورواه ابن ماجه في كتاب: الحدود، باب: لا يحل دم امرئ مسلم إلا في ثلاث، (الحديث: ٢٥٣٤): ٤/ ١٥٤، ورواه أحمد في مسند عبد الله =

٣- حديث أبي موسى ﷺ أن رسول الله ﷺ قال له: «**لن أو لا نستعمل على عملنا من أراده، ولكن اذهب أنت يا أبا موسى أو يا عبد الله بن قيس إلى اليمن، ثم أتبعه معاذ بن جبل ﷺ، فلما قدم عليه، ألقى له وسادة، قال: أنزل، فإذا رجل عنده موثق، قال: ما هذا؟ قال: كان يهودياً فأسلم، ثم تهود، قال: اجلس، قال: لا أجلس حتى يقتل، قضاء الله ورسوله - ثلاث مرات - فأُمر به فقتل...**»[(١)].

٤- حديث معاذ بن جبل ﷺ أن رسول الله ﷺ قال له حين بعثه إلى اليمن: «**أيما رجل ارتد عن الإسلام فادعه؛ فإن تاب فاقبل منه، وإن لم يتب فاضرب عنقه، وأيما امرأة ارتدت فادعها، فإن تابت، فاقبل منها، وإن أبت فاستتبها**»[(٢)].

قال ابن حجر معلقاً على الحديث: «سنده حسن، وهو نص في موضوع النزاع[(٣)]، فيجب المصير إليه»[(٤)].

٥- حديث جابر ﷺ أن امرأة يقال لها: أم مروان ارتدت، فأمر النبي ﷺ أن يعرض عليها الإسلام: «**فإن رجعت وإلا قتلت**»[(٥)].

= ابن مسعود ﷺ، (الحديث: ٣٦٢١): ٦/ ١١٩- ١٢٠، ورواه ابن حبان في صحيحه في كتاب: الجنايات، (الحديث: ٥٩٧٧): ١٣/ ٣١٦.

(١) رواه البخاري في كتاب: استتابة المرتدين والمعاندين وقتالهم، باب: حكم المرتد والمرتدة واستتابتهم، (الحديث: ٦٩٢٣): ٤/ ٢٧٩، واللفظ له، ورواه مسلم في كتاب: الإمارة، باب: النهي عن طلب الإمارة والحرص عليها، (الحديث: ١٥): ٣/ ١٤٥٦- ١٤٥٧، ورواه أبو داود في كتاب: الحدود، باب: الحكم فيمن ارتد، (الحديث: ٤٣٥٤): ٤/ ٥٢٣- ٥٢٤.

(٢) رواه الطبراني في المعجم الكبير كما في مجمع الزوائد ومنبع الفوائد: الهيثمي: ٦/ ٢٦٣، ونصب الراية لأحاديث الهداية: الزيلعي: ٣/ ٤٥٧.

(٣) أي خلاف الحنفية مع جمهور العلماء في قتل المرتدة، وهذا الحديث حجة على الحنفية الذين لا يجيزون قتل المرأة المرتدة.

(٤) فتح الباري بشرح صحيح البخاري: ابن حجر: ١٢/ ٢٨٤.

(٥) رواه البيهقي في السنن الكبرى في كتاب: المرتد، باب: قتل من ارتد عن الإسلام، (الحديث: ١٦٨٦٦): ٨/ ٣٥٣، واللفظ له، ورواه الدارقطني في السنن في كتاب: الحدود والديات وغيره، (الحديث: ١٢٢): ٣/ ١١٨- ١١٩، وقال ابن حجر: «وإسنادهما ضعيفان». انظر: تلخيص الحبير في تخريج أحاديث الرافعي الكبير: ابن حجر: ٤/ ٩٢.

الثاني: عمل الصحابة ﷺ:

١- قتال أبو بكر الصديق ﷺ المرتدين من العرب حتى رجعوا إلى الإسلام، هو أضخم حدث تاريخي وقع بعد وفاة النبي ﷺ[(١)].

٢- أن أبا بكر الصديق ﷺ قتل امرأة يقال لها: أم قرفة في الردة[(٢)].

٣- أخذ عبد الله بن مسعود ﷺ قوماً ارتدوا عن الإسلام من أهل العراق، فكتب فيهم إلى عمر ﷺ، فكتب إليه: أن أعرض عليهم دين الحق، وشهادة أن لا إله إلا الله، فإن قبلوها فخلّ عنهم، وإذا لم يقبلوها فاقتلهم.. فقبلها بعضهم فتركه، ولم يقبلها بعضهم فقتله[(٣)].

٤- نفّذ علي ﷺ عقوبة الردة بزنادقة فأحرقهم[(٤)].

الثالث: الإجماع:

من خلال عمل الصحابة ﷺ، نلاحظ أنهم اتفقوا على قتل من ارتد عن الإسلام، فكان إجماعاً منهم على ذلك[(٥)].

ثانياً: الرد على أدلة أصحاب الاتجاه العقلي في إنكار أحاديث حد الردة:

الأول: الرد على شبهة أن القرآن الكريم لم يرتب عقوبة للمرتد مما يتعارض مع أحاديث الردة:

---

(١) عقوبة الارتداد عن الدين بين الأدلة الشرعية وشبهات المنكرين: د. عبد العظيم إبراهيم المطعني: ٦٠، مكتبة وهبة: القاهرة، جريمة الردة وعقوبة المرتد: د. يوسف القرضاوي: ٤٦، مكتبة وهبة: القاهرة، الردة: الشيخ السيد سابق: ١٩.

(٢) رواه البيهقي في السنن الكبرى في كتاب: المرتد، باب: قتل من ارتد عن الإسلام، (الحديث: ١٦٨٧٢): ٨/ ٣٥٤، واللفظ له، ورواه الدارقطني في السنن في كتاب: الحدود والديات وغيره، (الحديث: ١١٠): ٣/ ١١٤، قال ابن حجر: «أخرج الدارقطني أثر أبي بكر ﷺ من وجه حسن». انظر: فتح الباري بشرح صحيح البخاري: ابن حجر: ١٢/ ٢٨٤.

(٣) رواه عبد الرزاق في مصنفه، (الأثر: ١٨٧٠٧): ١٠/ ١٦٨، وإسناده صحيح؛ لأن رجاله ثقات.

(٤) رواه البخاري في كتاب: استتابة المرتدين والمعاندين وقتالهم، باب: حكم المرتد والمرتدة واستتابتهم، (الحديث: ٦٩٢٢): ٤/ ٢٧٩.

(٥) انظر: المغني: ابن قدامة المقدسي: ١٢/ ٢٦٥، دار عالم الكتب: بيروت.

١ـ لا تعارض بين الآيات القرآنية؛ وبين أحاديث الردة، فلا إكراه في دخول الإسلام ابتداء، أما بعد أن يدخل فيه، فهذا وضع آخر[١].

٢ـ أن استدلالهم بالقرآن الكريم فقط؛ فيه انزلاق خطير، وقصور في الفهم والاستدلال؛ لأنه يقوم على إهدار دور السنة النبوية في التشريع، وهي بإجماع العلماء، المصدر الثاني في التشريع الإسلامي.

٣ـ لو كانت الآيات القرآنية تفيد إنكار حد الردة من قريب أو من بعيد؛ لكان علماء السلف وفقهاؤه ومفسروه أسرع الناس إلى القول به وإعلانه، وهم يستنبطون الأحكام من القرآن الكريم، وكانوا على بصيرة من الآيات، يعرفون عامها وخاصها، ومطلقها ومقيدها، وناسخها ومنسوخها...

٤ـ أن السنة النبوية حين حدّدت عقوبة المرتد قتلاً، لم تخرج عن صلتها بالقرآن أبداً، وأن هناك انسجاماً تاماً بين السنة والقرآن[٢].

الثاني: الرد على شبهة أن أحاديث الردة آحاد، والحديث الآحاد لا يؤخذ به:

فهي شبهة قديمة حديثة، والأخبار كثيرة باحتجاج الأئمة بخبر الواحد والعمل به من غير نكير، وهي شبهة مردودة بما أثبتناه من حجية خبر الواحد في الفصل الثاني من هذا الباب.

الثالث: الرد على شبهة تأويل أحاديث قتل المرتد بأنه يقتل محاربة أو سياسة أو تعزيراً وليس حداً:

١ـ أن الأحاديث في قتل المرتد واضحة لا تحتاج إلى تأويل؛ لأن هذه النصوص غنية عن التأويل، وعلماء الأمة متفقون على أن النص الواضح الذي لا يمنع من العمل بظاهره مانع شرعي أو عقلي؛ يجب بقاؤه على ظاهره؛ ولا يجوز صرفه عن ظاهره أبداً.

---

(١) قراءة نقدية في فكر محمد سعيد العشماوي والرد على افتراءاته: د. عمر عبد الله كامل: ١١٠، دار بيسان: بيروت.

(٢) عقوبة الارتداد عن الدين بين الأدلة الشرعية وشبهات المنكرين: د. عبد العظيم إبراهيم المطعني: ١١، ١٨، ٢٩.

٢- المحاربة لا تستلزم الردة عن الإسلام، فكل منهما مستقل عن الآخر، وهما موضوعان مختلفان، وهذا الراجح؛ وعليه علماء المسلمين[١].

الرابع: الرد على شبهة أن أحاديث حد الردة خاصة بالعهد النبوي وليست عامة:

أن أحكام الشريعة الإسلامية أحكام كلّية، فالنبي ﷺ أُرسل إلى الناس جميعاً، ودعوته عامة لكل البشر، ومنها قتل المرتد حكمه عام؛ وليس خاصاً بظرف معين، أو حادثة معينة[٢].

الخامس: الرد على شبهة أن أحاديث حد الردة رويت بالمعنى ولم ترو باللفظ:

١- أكثر ما ترد الرواية باللفظ في الأحاديث القصيرة، على أن ورود الرواية بالمعنى في الأحاديث الطويلة إنما تكون في الكلمة والكلمتين والثلاث، وقلما تكون الرواية بالمعنى في جميع ألفاظ الحديث.

٢- إن هذه الشبهة تصدر عمن غفل عن العوامل الدينية والنفسية والخلقية؛ التي اتصف بها الرواة من الصحابة رضي الله عنهم، ومن بعدهم من التابعين وتابعيهم، فهم خير الناس بشهادة النبي ﷺ، وشهادة الواقع التاريخي، فهم يعلمون حق العلم أنهم يروون نصاً يعتبر مرجعاً في الدين، وأن أي تبديل أو تحريف يؤدي بهم إلى أن يتبوؤوا مقاعدهم في النار، وهم إلى ذلك ذوو حوافظ قوية، وأذهان سيالة، ووجدان حي، وقلوب عاقلة واعية، وإنكار هذه الخصائص أو بعضها؛ إنكار للحق الثابت، والواقع الملموس.

٣- الرواية بالمعنى لم تدخل ضرراً على الدين، وهي مكسب للسنة النبوية[٣].

السادس: الرد على شبهة أن حد الردة لم يطبق في العهد النبوي:

١- هذه الدعوى غير صحيحة؛ حيث إن الأسود العنسي كاهن اليمن قد ادعى أنه نبي، ودعا الناس إلى اتباعه، فارتد بعض أهل اليمن عن الإسلام، فلما علم النبي ﷺ بهذا الحدث الخطير؛ بعث إلى المسلمين من أهل اليمن رسولاً،

---

(١) عقوبة الارتداد عن الدين بين الأدلة الشرعية وشبهات المنكرين: د. عبد العظيم إبراهيم المطعني: ٣٨- ٤٢.

(٢) قراءة نقدية في فكر محمد سعيد العشماوي والرد على افتراءاته: د. عمر عبد الله كامل: ١١٠.

(٣) دفاع عن السنة ورد شبه المستشرقين والكتاب المعاصرين: د. محمد أبو شهبة: ٤٦، ٥٥- ٥٧.

ودعاهم إلى القضاء على هذه الفتنة، وأن يقاتلوا الأسود، ومن ارتد معه، فأدى المسلمون الواجب، وتمكنوا من قتل الأسود، وخمدت الفتنة، وعلم النبي ﷺ بقتل الأسود في إحدى روايتين، وبشر المسلمين بقتله[١].

٢- في عام الفتح أمر ﷺ بقتل ابن خَطَل، وكان مسلماً ثم ارتد، ورجع إلى مكة، ولما علم بقدوم موكب الفتح بقيادة النبي ﷺ ؛ هُرع إلى المسجد الحرام، وتعلق بأستار الكعبة، ورغم هذه الحيلة أمر النبي ﷺ بقتله، فقتل حداً للارتداد عن الدين[٢].

٣- السبب في قلة تطبيق عقوبة الردة في حياة النبي ﷺ ؛ ليس لأن الردة لا تبيح القتل كما يقولون؛ بل لأن حدوث ردة ظاهرة من مسلمين لم يقع كثيراً[٣].

السابع: الرد على شبهة أن أحاديث حد الردة ضعيفة أو موضوعة:

هذه الشبهة منحرفة وخاطئة، وغير واقعية بما ثبت من صحة وصراحة أحاديث حد الردة، وليس الهدف من هذه الشبهة إلا النيل من مكانة السنة النبوية في نفوس المسلمين، وخاصة صحيحي البخاري ومسلم[٤].

الثامن: الرد على شبهة بطلان الإجماع على حد الردة:

١- قتال أبو بكر الصديق رضي الله عنه المرتدين من العرب حتى رجعوا إلى الإسلام، هو أضخم حدث تاريخي وقع بعد وفاة النبي ﷺ، وهو إجماع مع عمل ضخم بكل مقياس لهذه الاعتبارات، واستمرت حروب الردة قرابة السنتين[٥].

٢- ما قاله المذهب الحنفي لا يقدح في تقرير أصل العقوبة؛ وهي قتل المرتد، فهم مسَلِّمون بهذا، وإنما خصصوا هذا العموم باستثناء المرأة إذا ارتدت؛

---

(١) فتح الباري بشرح صحيح البخاري: ابن حجر: ٧/ ٦٩٥.

(٢) رواه مسلم في كتاب: الحج، باب: جواز دخول مكة بغير إحرام، (الحديث: ١٣٥٧): ٢/ ٩٨٩- ٩٩٠.

(٣) عقوبة الارتداد عن الدين بين الأدلة الشرعية وشبهات المنكرين: د. عبد العظيم إبراهيم المطعني: ٥٨- ٥٩، جريمة الردة وعقوبة المرتد: د. يوسف القرضاوي: ٥٠.

(٤) مكانة الصحيحين: د. خليل إبراهيم ملا خاطر: ٣٠١- ٣٠٣، ٤٧١، دار القبلة: جدة.

(٥) عقوبة الارتداد عن الدين بين الأدلة الشرعية وشبهات المنكرين: د. عبد العظيم إبراهيم المطعني: ٥٢- ٥٣، ٦٠، جريمة الردة وعقوبة المرتد: د. يوسف القرضاوي: ٤٦، الردة: الشيخ السيد سابق: ١٩.

فإنها عندهم لا تقتل، وإنما يقتل الرجل فحسب، وسبب هذا الاستثناء عندهم؛ قياس المرأة المرتدة على المرأة الحربية، كما ورد في الحديث: «**أن رسول الله ﷺ نهى عن قتل النساء**»[١].

وقد خالف الحنفية في هذا فقهاء المذاهب الأخرى الذين سوَّوا في القتل بين المرأة والرجل إذا ارتدا ولم يتوبا، وأياً كان الأمر فليس في مذهب الحنفية دليل لمنكري حد الردة؛ لأنهم لم ينازعوا في أصل العقوبة؛ وإنما نازعوا في هل تطبق على الرجال والنساء؟ أم أن للنساء حكماً آخر، وهو الحبس مدى الحياة، مع عرض الإسلام عليها حتى آخر لحظة من حياتها[٢].

٣- بعض العلماء المعاصرين مال إلى أنه يجب أن نفرّق بين الردة الغليظة والخفيفة، وفي أمر المرتدين بين الداعية وغير الداعية، فالردة المغلظة هي كون المرتد داعية إلى بدعته بلسانه أو قلمه، فالأولى في ذلك؛ التغليظ في العقوبة، والأخذ بقول جمهور الأمة، وظاهر الأحاديث، استئصالاً للشر، وسداً لباب الفتنة، وإلا فيمكن الأخذ بقول إبراهيم النخعي[٣].

٤- اعتبر بعض العلماء قول إبراهيم النخعي في استتابة المرتد بأنه قول شاذ، مخالف للسنة والإجماع[٤].

٥- أن ما روي عن إبراهيم النخعي غير معقول؛ لأنه يعني ذلك أن المرتد لا يقتل أبداً، ويستمر عرض التوبة عليه، وهذا مناقض للنص الصريح في قوله ﷺ: «**من بدل دينه فاقتلوه**»[٥]،[٦].

(١) تقدم تخريجه ص: ٥٥١، الهامش: ٦.

(٢) عقوبة الارتداد عن الدين بين الأدلة الشرعية وشبهات المنكرين: د. عبد العظيم إبراهيم المطعني: ٣١.

(٣) جريمة الردة وعقوبة المرتد: د. يوسف القرضاوي: ٥٢.

(٤) المغني: ابن قدامة المقدسي: ١٢/ ٢٦٨.

(٥) تقدم تخريجه ص: ٥٥٢، الهامش: ١.

(٦) حديث حد الردة في ضوء أصول التحديث رواية ودراية: د. سعد المرصفي: ٥١، مكتبة المنار الإسلامية: الكويت.

الباب الرابع

الاتجاه المنحرف ودراسته للسنة النبوية

الفصل الأول : تعريف الاتجاه المنحرف وجذوره وتياراته ومبادئه.

المبحث الأول : تعريف الاتجاه المنحرف.

المبحث الثاني : جذور الاتجاه المنحرف.

المبحث الثالث : أبرز تيارات الاتجاه المنحرف المعاصرة.

المبحث الرابع : مبادئ الاتجاه المنحرف.

الفصل الثاني : شبهات أصحاب الاتجاه المنحرف في عدم حجية السنة النبوية والرد عليها.

المبحث الأول : مزاعم أصحاب الاتجاه المنحرف وشبهاتهم في عدم حجية السنة النبوية والرد عليها.

المبحث الثاني : أدلة العلماء في حجية السنة النبوية.

الفصل الثالث : أبرز شبهات أصحاب الاتجاه المنحرف في السنة النبوية والرد عليها.

المبحث الأول : زعم أصحاب الاتجاه المنحرف وشبهتهم بالنهي عن كتابة السنة النبوية والرد عليها.

المبحث الثاني : زعم أصحاب الاتجاه المنحرف وشبهتهم بتأخير تدوين السنة النبوية والرد عليها.

الفصل الأول

تعريف الاتجاه المنحرف وجذوره وتياراته ومبادئه

المبحث الأول : تعريف الاتجاه المنحرف.

المطلب الأول : تعريف الانحراف في اللغة العربية.

المطلب الثاني : تعريف الانحراف عند بعض العلماء المتقدمين والمعاصرين.

المبحث الثاني : جذور الاتجاه المنحرف.

المطلب الأول: البعثات العلمية إلى أوروبا.

المطلب الثاني: الغزو العسكري الأوروبي.

المطلب الثالث: الاستشراق.

المبحث الثالث : أبرز تيارات الاتجاه المنحرف المعاصرة.

المطلب الأول : التيار التغريبي.

المطلب الثاني : التيار العلماني.

المطلب الثالث : التيار الماركسي.

المطلب الرابع : التيار الحداثي.

المبحث الرابع : مبادئ الاتجاه المنحرف.

المطلب الأول : مبادئ الاتجاه المنحرف العامة.

المطلب الثاني : مبادئ الاتجاه المنحرف الخاصة بالسنة النبوية.

المبحث الأول

تعريف الاتجاه المنحرف

قبل أن أبدأ بتعريف الاتجاه المنحرف أود أن أذكر الأسباب التي جعلتني اعتبر الاتجاه المنحرف أحد الاتجاهات المعاصرة في دراسة السنة النبوية، وهي:

١- اعتبار كثير من المفكرين(١)، وعلماء التفسير(٢)، والسيرة النبوية(٣)، والفلسفة الإسلامية(٤)؛ والاجتماع(٥)، والأدب(٦)، أن الاتجاه المنحرف بتياراته أحد الاتجاهات المفروضة في حياتنا المعاصرة.

٢- تأملي في الواقع الإسلامي المعاصر، وفي المؤلفات المعاصرة وخاصة كتب الاتجاه المنحرف.

---

(١) اتجاهات الفكر الإسلامي المعاصر في مصر في النصف الأول من القرن الرابع عشر الهجري: د. حمد بن صادق الجمال: ١/ ١٦.

(٢) الاتجاهات المنحرفة في تفسير القرآن الكريم: دوافعها ودفعها: د. محمد حسين الذهبي: ٧، مكتبة وهبة: القاهرة، اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر: د. فهد بن عبد الرحمن بن سليمان الرومي: ١/ ١٤.

(٣) الاتجاهات المعاصرة في كتابة السيرة النبوية: د. عبد الرزاق بن إسماعيل هرماس: ٨٩، مجلة الشريعة والدراسات الإسلامية، العدد (٥٥)، شوال ١٤٢٤هـ، ديسمبر ٢٠٠٣، الكويت.

(٤) فلسفة المشروع الحضاري بين الإحياء الإسلامي والتحديث الغربي: د. أحمد جاد عبد الرازق: ١/ ٢٦٩، مدارس الفكر العربي الإسلامي المعاصر تأملات في المنطلق والمصب: د. عبد الرزاق قسوم: ٣، الانحرافات العقدية والعلمية في القرنين الثالث عشر والرابع عشر الهجريين وآثارهما في حياة الأمة: علي بن بخيت الزهراني: ١/ ١٦، مشكلة الافتراق في الفكر الإسلامي أسبابها وطرق علاجها مع التركيز على فكر القرنين الأول والرابع عشر الهجريين: جمعان ظاهر ماضي الحربش: ٢/ ٦٤٤.

(٥) الاتجاهات الفكرية والسياسية في الوطن العربي: عبد الله الشاهر: ١٥٤.

(٦) الانحراف العقدي في أدب الحداثة وفكرها: دراسة نقدية شرعية: د. سعيد بن ناصر الغامدي: ١/ ٧، دار الأندلس الخضراء: جدة.

المطلب الأول : تعريف الانحراف في اللغة العربية:

الانحراف هو الميل عن الشيء، أو هو تغيير الكلام وصرفه عن معانيه، كما قال الله تعالى في شأن اليهود الذين كانوا يغيرون معاني التوراة: ﴿مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ﴾ [النِّسَاء: ٤٦]، والأصل في الحرف: الطرف والجانب، والمُحارَف: هو المحروم الذي إذا طلب لا يرزق، أو لا يسعى في الكسب، وقد حُورِف كسب فلان إذا شُدِّد عليه في معاشه وضُيِّق، كأنه مِيلَ برزقه عنه، من الانحراف عن الشيء وهو الميل عنه، والمحارفة: هو التشديد في المعاش، ويقال: لا تحارف أخاك بالسوء: أي لا تجازه، وأحرفَ الرجل إذا جازى على خير أو شر، والحُرْف والحُراف: حية مظلمة اللون يضرب إلى السواد؛ إذا أخذ الإنسان لم يبق فيه دم إلا خرج، والحَرافة: طعم يحرق اللسان والفم[(١)].

المطلب الثاني : تعريف الانحراف عند بعض العلماء المتقدمين والمعاصرين:

أولاً: تعريف الانحراف عند بعض العلماء المتقدمين:

إن مصطلح الانحراف يرادف مصطلح التأويل الفاسد عند بعض العلماء المتقدمين، فقد قال ابن تيمية: «فتأويل هؤلاء المتأخرين عند الأئمة تحريف فاسد»[(٢)]، والتأويل الفاسد هو صرف ظاهر اللفظ إلى غيره بدون دليل، وكل صرف للفظ عن ظاهره مجرد عن الدليل فهو تأويل فاسد ومردود، ولهذا قال ابن تيمية: «التأويل المردود هو صرف الكلام عن ظاهره إلى ما يخالف ظاهره»[(٣)].

ونخرج من هذا أن التأويل الفاسد هو: «إخراج اللفظ عن الظاهر الراجح إلى ظاهر مرجوح بدون دليل شرعي من الكتاب والسنة»، وهذا ما وقع فيه كثير من المتأخرين والمتكلمين اعتماداً على العقل والفلسفة، وبعض معاني اللغة دون النظر في الكتاب والسنة وهدي السلف الصالح.

---

(١) انظر: لسان العرب: ابن منظور: مادة حرف، المعجم الوجيز: مجمع اللغة العربية: مادة حرف، النهاية في غريب الحديث والأثر: ابن الأثير الجزري: ١٩٩.

(٢) مجموع الفتاوى: ابن تيمية: ١٣/ ٢٩٥.

(٣) مجموع الفتاوى: ابن تيمية: ١٣/ ٢٩٦.

والتعبير بلفظ التحريف أولى من لفظ التأويل الفاسد؛ لأن التحريف يأتي بمعنيين:

١- التحريف في اللفظ: وهذا لا يوجد في الكتاب والسنة؛ لأن الله تعالى قال: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ۝٩﴾ [الحجر: ٩].

٢- التحريف في المعنى: وهذا يأتي كثيراً؛ لعدم فهم الآيات القرآنية أو الأحاديث النبوية، أو عدم استخدام الدليل الشرعي على ذلك.

ولأن التأويل الفاسد جاء أصلاً من أناس اتخذوا الإسلام جداراً كي يدخلوا على أهله باسم الإسلام، ويقولوا ما شاؤوا دون إنكار من أحد، وهذا موجود في الفرق التي دخلت الإسلام من أصل يهودي أو مجوسي أو غير ذلك، فإنهم في هذه الحالة لم يستخدموا لفظ التحريف، وإنما استخدموا لفظ التأويل التي يقبلها المسلمون، وسموا أنفسهم بأهل التأويل حتى يكون لهم القبول عند الناس، ولذلك فالتعبير بلفظ التحريف أولى من لفظ التأويل الفاسد، وهذا الكلام مستفاد من كلام شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى[(١)].

ثانياً: تعريف الانحراف عند بعض العلماء المعاصرين:

المنحرف: «هو الذي يميل إلى أحد الحرفين؛ أي جانبي الجادة الممهدة، ولا شك أن السير فيه شاق غير مرغوب فيه».

ومن التعبيرات الحديثة عن الانحراف: أنه انسلاخ شريحة من المجتمع عن المجرى الرئيسي لحياة المجتمع، وينقسم الانحراف إلى نوعين:

١- الانحراف الفكري: وهو بدوره له وجهان هما:

أ - الانحراف في الرأي: هو وصول الفكرة للشخص عند عدم وضوح الرؤية؛ إما عن طريق الدليل الأقوى حسب ظنه، وإما عن مؤثر آخر من المؤثرات الكثيرة التي تتدخل في عمل العقل، ومن السهل الانتقال من الرأي إلى رأي آخر، ومثاله:

---

(١) التأويل الفاسد وأثره السيئ على الأمة: محمد الدرديري: ٤١- ٤٤، مكتبة أولاد الشيخ للتراث: القاهرة.

إنكار السنة النبوية كلياً أو جزئياً، أو القول بعدم صلاحية الشريعة الإسلامية للعصر الذي نعيش فيه كلياً أو جزئياً.

ب ـ الانحراف في العقيدة: هو الاقتناع بالرأي وتحرّك الوجدان نحوه وانفعال النفس به؛ انفعالاً يظهر أثره في القلب حباً أو كراهية، ومن الصعب العدول عنها، فهي تحتاج إلى حجة أقوى ومعالجة أشد، وقد تزداد عمقاً ورسوخاً في النفس إذا مر عليها زمن طويل وصارت تقليداً موروثاً، ومثاله: كالاعتقاد أن القرآن أو السنة منتج ثقافي وليس وحياً؛ والتعامل بهما على هذا الأساس، أو ما يعبر بالأنسنة، أو الاعتقاد بلزوم فصل الإسلام عن الحياة كلها، وغير ذلك.

٢. **الانحراف السلوكي:** وهو إما قول باللسان؛ وما يقوم مقامه من إشارة وكتابة ونحوهما، وإما عمل بالجوارح بطريق مباشر أو غير مباشر، وهذا الانحراف له وجهان هما:

أ ـ الانحراف في الترك: ومثاله: كترك تطبيق الشريعة الإسلامية في الحياة كلها أو بعضها.

ب ـ الانحراف في الفعل: ومثاله: كتطبيق الشريعة الإسلامية بصورة مشوهة أو تطبيقها بتعصب أو تزمت.

وأخطر أنواع الانحراف؛ هو انحراف الفكر والبعد به عن القصد، ذلك أن السلوك نابع منه ومتأثر به، ومن أجل هذا كانت العناية بتقويم الفكر وتصحيح الاعتقاد؛ هي أول نقطة في برنامج كل إصلاح جاء به نبي من الأنبياء، أو نادى به قائد من القواد، وهي في حاجة إلى مدة طويلة؛ ومتابعة مستمرة بالوسائل المتعددة لتحويل الفكر إلى مساره الصحيح.

والانحراف الفكري بطرفيه، في الرأي والفكر يضر صاحبه، والله وحده هو الذي يجازيه عليه ما دام لم يتعد نطاق الإنسان نفسه، لكن خطورته التي يجب أن يتنبه إليها تكون عندما يجهر به؛ ويحاول أن يفرضه على غيره أو يستميله إليه، وهذا إضرار لا يقره الإسلام ويقاومه بوسائل شتى.

وكذلك الانحراف السلوكي بشقيه، يضر صاحبه فقط إذا لم تكن صفة اجتماعية تؤثر في علاقته بالغير، وإن كان له تأثير ضار إلى حد ما إذا كان في مقام القدوة كالأب في الأسرة، والمربي مع تلاميذه، والرئيس مع مرؤوسيه، فالمحاكاة والتقليد من أهم وسائل التربية والتأثير في السلوك، فإن تعدى الانحراف إلى الإضرار بالغير كانت خطورته التي يجب أن تقاوم[١].

ثالثاً: أهم مخاطر الانحراف:

لقد نبه العلماء إلى خطر الانحراف إذ يؤثر في المعتقدات، ويفسد العقول مما يؤدي إلى فساد الدين عند الناس، وظهور المفتريات على الدين الحنيف؛ بالتحريفات التي لا أصل لها في الإسلام، وفيما يلي أهم مخاطر الانحراف:

١- يناقض الإيمان بأخبار النبي ﷺ.

٢- يقدح في القرآن الكريم والسنة النبوية بأن فيهما ما ظاهره خطأ وباطل.

٣- يلزم منه اتهام الشرع بكتمان الحق، وعدم نصح الخلق.

٤- فيه إعراض عن القرآن الكريم والسنة النبوية كما فهمها الصحابة رضي الله عنهم والسلف الصالح.

٥- هو أصل كل بدعة ظهرت في الإسلام.

٦- يفتح باب الجرأة على القرآن الكريم والسنة النبوية بحيث يؤدي إلى الفوضى وتفريق الأمة.

٧- يؤدي الانحراف إلى عدم المبالاة بالتكاليف الشرعية.

٨- الانحراف فيه تشبه بأهل الكتاب الذين حرفوا كتبهم ودينهم[٢].

(١) بيان من الأزهر الشريف: الشيخ جاد الحق علي جاد الحق: ١/ ١١- ١٥، مطبعة الأزهر: القاهرة.

(٢) انظر للتوسع: التأويل الفاسد وأثره السيئ على الأمة: محمد الدرديري: ٧٧- ٨٩.

المبحث الثاني

جذور الاتجاه المنحرف

إن الأفكار المنحرفة التي تسللت إلى بعض المسلمين لها قنوات عبرت من خلالها إليهم، والتي يمكن تقسيمها إلى ثلاث قنوات، وهي البعثات العلمية، والغزو العسكري، والاستشراق، وهي ما يلي:

المطلب الأول: البعثات العلمية إلى أوروبا:

أولاً: في مصر:

لقد بدأت هذه البعثات من مصر إلى أوربا وخاصة فرنسا في بداية القرن الثالث عشر الهجري والقرن التاسع عشر الميلادي (١٢١٩هـ، ١٨٠٥م) في عهد محمد علي واستمرت في عهد خلفائه حتى وقع الغزو الإنكليزي على مصر عام (١٢٩٩هـ، ١٨٨٢م)؛ وقد كانت هذه البعثات تلبية لحاجة من حاجات التعليم المصري، وحاجات النهضة الحضارية بوجه عام، ولكنها شكلت على كل حال أداة مهمة من أدوات نقل علم الغرب إلى الشرق[١]، ولابد من الإشارة إلى بعض الحقائق عن هذه البعثات وخاصة ما يتصل بفكر الشيخ رفاعة رافع الطهطاوي (١٨٠١، ١٨٧٣م):

١- أن رفاعة الطهطاوي ليس علمانياً[٢] كما قاله د.لويس عوض، وإنما هو دعا إلى الاستفادة من الحضارات الأخرى، ومن المتحضرين الآخرين، حتى ولو

---

(١) انظر للتوسع: فلسفة المشروع الحضاري بين الإحياء الإسلامي والتحديث الغربي: د.أحمد جاد عبد الرازق: ١/ ٢١٢- ٢٢٤.

(٢) العلمانية: " تعني عزل الدين عن حياة الإنسان، فرداً كان أو مجتمعاً، بحيث لا يكون للدين سلطان في توجيهه أو تثقيفه أو تربيته أو التشريع له، وإنما ينطلق في مسيرة الحياة بوحي عقله وغرائزه أو دوافعه النفسية" .انظر: التطرف العلماني في مواجهة الإسلام: د.يوسف القرضاوي: ١٥- ١٦، دار أندلسية: المنصورة.

كانوا غير مسلمين، وذلك دون أن يتخلى الشيخ عن الإطار المرجعي المتميز للحضارة العربية الإسلامية، أو يتبنى الإطار المرجعي المتميز للحضارة الغربية العلمانية[١].

٢- أن هذه البعثات كانت أساساً لجلب البذور الغربية التي ألقيت في التربة الإسلامية، وهذا ما مثله الشيخ رفاعة الطهطاوي الذي طرأت على تفكيره الإسلامي عناصر جديدة أحدثت في قيمه وموازينه تطوراً خطيراً، يبدو فيما كتبه عن النزعة العقلية المتحررة، التي سادت فرنسا في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر، في مظهره القانوني والاجتماعي[٢].

وفي فترة الاحتلال الإنكليزي لمصر (١٢٩٩- ١٣٧٢هـ، ١٨٨٢- ١٩٥٢م) أصبحت البعثات العلمية قليلة، في حين كثر إرسال الطلاب على نفقة الأهلين، ولم تفلح سياسة الاحتلال في الواقع في منع المصريين من السفر للخارج.

وفيما بعد انتهاء الاحتلال الإنكليزي لمصر عام (١٣٧٢هـ، ١٩٥٢م) حتى يومنا هذا (١٤٢٦هـ، ٢٠٠٥م)، تم إرسال بعثات علمية إلى أوربا وروسيا (الإتحاد السوفيتي سابقاً) والولايات المتحدة الأمريكية كانت لها الأثر الكبير في نقل المفاهيم الغربية والشيوعية لمصر، وقد ساعدت أيضاً على جلب بعض التطورات الحديثة[٣].

---

(١) انظر للتوسع: نهضتنا الحديثة بين العلمانية والإسلام: د.محمد عمارة: ١٤٠- ١٤٤، دار الرشاد: القاهرة، التغريب طوفان من الغرب: أحمد عبد الوهاب: ٢٨- ٤٢، مكتبة التراث الإسلامي: القاهرة.

(٢) انظر للتوسع: الإسلام والحضارة الغربية: د.محمد محمد حسين: ١٨- ٤٠، دار الفرقان: القاهرة، جذور الانحراف في الفكر الإسلامي الحديث: جمال سلطان: ١٤- ١٨، دار الاعتصام: القاهرة، الإسلام في مواجهة المادية: غازي بن سعد المغلوث: ٤٩- ٥٥، دار المعالم الثقافية: الإحساء.

(٣) فلسفة المشروع الحضاري بين الإحياء الإسلامي والتحديث الغربي: د.أحمد جاد عبد الرازق: ١/ ٢٢٥- ٢٢٧.

ثانياً: في بلاد الشام:

أما في بلاد الشام، فقد كان اهتمام الدول الغربية بالأقليات المسيحية في لبنان على وجه الخصوص، وفي بلاد الشام كلها على وجه العموم، تحركه طائفة من الأطماع والغايات، وقد احتضنت العديد من الجامعات والمدارس في إيطاليا وفرنسا طلبة مشرقيين مسيحيين، ووجدت روابط قوية بين الكنيسة الكاثوليكية الغربية، والكنيسة الأرثوذكسية الشرقية رغم الاختلاف بينهما، ويعود تاريخ الإرساليات التبشيرية الأجنبية من بلاد الشام إلى القرن السابع عشر، وكان اليسوعيون أنشط هذه الجمعيات، وتعود صلتهم ببلاد الشام إلى سنة ١٦٢٥م، وقد آلت السلطة بعد ذلك في لبنان إلى البطارقة والأساقفة المنتمين إلى الطوائف الدينية المتنوعة، وكان هؤلاء الطلبة على حظ كبير من المعرفة والاطلاع على علوم الغرب، وكانوا ثمرة الإرساليات الآتية من أوربا وفرنسا خصوصاً ثم من أمريكا، ثم أصبحوا بعد ذلك ـ في نظر العلمانيين العرب ـ أركان النهضة وطلائع التنوير.

ولم يمض وقت طويل حتى انتشرت المطابع، ونقلت البعثة التبشيرية الأمريكية مطبعتها من مالطا إلى بيروت، ثم أسست الجامعة الأمريكية البروتستانتية في بيروت سنة (١٨٦٦م)، وتأيدت بمطبعة، وأصبحت أحد المراكز الرئيسة في الشرق، والتي كان هدفها الأساسي هو بعث الأفكار التنصيرية وإشاعة الثقافة الغربية في الوسط المسيحي أولاً، والإسلامي ثانياً؛ وكان الرهط الأول من العلمانيين قد تخرجوا منها، ومن هؤلاء شبلي شميل، ويعقوب صروف، وفارس نمر، وجرجي زيدان.

وبعد الفتنة الطائفية في لبنان عام (١٨٦٠م) هاجر كثير من المثقفين المسيحيين إلى مصر مثل فرانسيس مراش، وخليل سعادة، ونجيب حداد، وشبلي شميل (١٢٧٦- ١٣٣٥هـ)، وفرح أنطون (١٢٩١- ١٣٤٠هـ)، ويعقوب صروف (١٢٦٨- ١٣٤٥هـ)، ونقولا حداد (١٢٧٦- ١٣٧٣هـ)، وفارس نمر (١٢٧٢- ١٣٧٠هـ)، وجرجي زيدان (١٢٧٧- ١٣٣٢هـ)، وغيرهم[١].

---

(١) انظر للتوسع: موقف الفكر العربي العلماني من النص القرآني: دعوى تاريخية النص نموذجاً: أحمد إدريس الطعان الحاج: ٨٩- ٩٢، رسالة دكتوراه، جامعة القاهرة: كلية دار العلوم، العلمانية وطلائعها في مصر: فتحي القاسمي: ١٢٢- ١٣٤، دار المستقبل: القاهرة.

من خلال ما ذكرناه نعلم دور هؤلاء في نقل ثقافة الغرب بكل علومه الجيدة والسيئة إلى الشرق، ولم تنته البعثات في زمن الاحتلال الفرنسي والإنكليزي لبلاد الشام (١٣٤٠- ١٣٦٦هـ، ١٩٢٠- ١٩٤٦م) فكثير من الآباء كان يرسل أولادهم للتعلم في أوروبا وخاصة فرنسا.

وبعد انتهاء الاحتلال عن بلاد الشام (١٣٦٦هـ، ١٩٤٦م) حتى يومنا هذا (١٤٢٦هـ، ٢٠٠٥م)، استمرت البعثات العلمية إلى أوربا وروسيا (الإتحاد السوفيتي سابقاً) خاصة، والولايات المتحدة الأمريكية، والتي كانت لها الأثر الكبير في نقل المفاهيم الغربية والشيوعية إلى هذه البلاد.

المطلب الثاني: الغزو العسكري الأوروبي:

أولاً: في مصر:

إن الاحتلال العسكري الإنكليزي لمصر (١٢٩٩- ١٣٧٢هـ، ١٨٨٢- ١٩٥٢م)، أدى إلى فرض أفكاره التغريبية[١] الأوربية بقوة السلاح، وكان أول عمل قام به هذا المحتل الغاصب هو فرض قوانينه على البلاد، مما أدى إلى إقصاء القانون الإسلامي عن الحكم؛ وفرض العلمانية في كل مجالات الحياة بقدر استطاعته سياسياً، وعسكرياً، وإعلامياً، واجتماعياً، واقتصادياً، وثقافياً[٢].

وكارثة الاحتلال الإنكليزي أدت إلى ازدواجية الفكر والثقافة في مصر، وبصفة خاصة في مجال التعليم، حيث ظهر تياران: أحدهما، ينظر إلى قديم المسلمين والعرب يتغنى به ويستوحيه، وآخر متأثر بالثقافة الغربية، ينظر إلى ما حققه الغرب

(١) التغريب: «هو حمل المسلمين والعرب على قبول ذهنية الغرب الأوروبي، ومحاولة غرس مبادئ التربية الغربية في نفوس المسلمين، حتى يشبوا مستغربين في حياتهم وتفكيرهم، وحتى تجف في أنفسهم موازين القيم الإسلامية». انظر: الشبهات والأخطاء الشائعة في الفكر الإسلامي: أنور الجندي: ٢٢٣.

(٢) انظر للتوسع: نهضتنا الحديثة بين العلمانية والإسلام: د.محمد عمارة: ١٦٣- ١٨٥، بيان من الأزهر الشريف: الشيخ جاد الحق علي جاد الحق: ١/ ٣٥- ٣٦، الإسلام في مواجهة المادية: غازي بن سعد المغلوث: ٦٨.

في حاضره من تفوق، ويزينه للمسلمين، ويدعوهم إلى احتذائه، وتصارع هذان التياران في كل شؤون الحياة، وقد كان هناك معتدلون ومتطرفون في كلا التيارين، وما زالت آثاره إلى يومنا هذا[١].

وإثر هذا الاحتلال وانتشار الحضارة الغربية شاع في المجتمع المصري عادات وتقاليد غربية لم يعرفها المجتمع الإسلامي والمصري قبل ذلك بشكل سافر، فأدى إلى فساد خلقي وديني واجتماعي وعقلي، وذلك نتيجة عملية التغريب التي قام بها الاستعمار، وعمل الاستعمار إلى تأسيس صحف موالية له لنشر أفكاره وثقافته؛ مثل: صحيفة الأهرام والمقطم والمقتطف، وكانت دعوى المستغربين في الهجوم على الدين الإسلامي هو اتهامه بأنه العقبة في رقي المسلمين وتقدمهم، وذلك حتى تنفذ سموم التغريب إلى المسلمين بلا مقاومة[٢].

ثانياً: في بلاد الشام:

وكذلك فعل الاحتلال الفرنسي والإنكليزي في بلاد الشام (١٣٤٠- ١٣٦٦هـ، ١٩٢٠- ١٩٤٦م)، والذي تبرز أعماله بما يلي:

١- فصل الدين عن الدولة وسائر الأمور السياسية، وإلغاء الحكم الإسلامي نهائياً.

٢- افتتاح المدارس العلمانية في صورتيها المعادية للدين صراحة، والمتظاهرة بالحياد.

٣- التخطيط للتعليم العلماني في المؤسسات التعليمية الوطنية، وإبعاد كل تعليم إسلامي عنها.

٤- إخضاع نظم البلاد للقوانين الوضعية الغربية بدل أحكام الشريعة الإسلامية.

٥- إفساد أخلاق الشعوب المسلمة، ونشر أسلوب الحياة الغربية الإباحية.

---

(١) انظر للتوسع: فلسفة المشروع الحضاري بين الإحياء الإسلامي والتحديث الغربي: د.أحمد جاد عبد الرازق: ١/ ٢٤٦- ٢٥٠.

(٢) انظر للتوسع: صحافة الاتجاه الإسلامي في مصر منذ القرن العشرين حتى نشوب الحرب العالمية الأولى: د.جمال عبد الحي عمر النجار: ١٨١- ١٨٦، دار الوفاء: المنصورة.

٦- نشر لغة المحتل للبلاد، ومحاربة اللغة العربية، لغة القرآن الكريم والسنة النبوية.

٧- وضع السلطات الإدارية الفعالة في البلاد في أيدي النصارى الوطنيين، وتمكينهم من السيطرة على اقتصاد تلك البلاد.

٨- تقسيم البلاد وتجزئتها إلى دويلات صغيرة فقد كانت بلاد الشام دولة واحدة قبل الاحتلال، ثم أصبحت أربع دول بعد الاحتلال[١].

المطلب الثالث: الاستشراق:

إن الاستشراق في حقيقة الأمر كان ولا يزال جزءاً من قضية الصراع الحضاري بين العالم الإسلامي والعالم الغربي، بل يمكن أن نذهب إلى أبعد من ذلك ونقول: إن الاستشراق يمثل الخلفية الفكرية لهذا الصراع، ولهذا فلا يجوز التقليل من شأنه بالنظر إليه على أنه قضية منفصلة عن باقي دوائر هذا الصراع الحضاري، فقد كان للاستشراق من غير شك أكبر الأثر في صياغة التصورات الأوروبية عن الإسلام.

والواقع الذي لا يمكن إنكاره هو أن الاستشراق له تأثيراته القوية في الفكر الإسلامي الحديث إيجاباً أو سلباً أردنا أم لم نرد[٢].

وقد اشتمل الاستشراق على كل فروع العلوم الإسلامية، وسأقتصر على أبرز آراء المستشرقين المرفوضة في السنة النبوية، لنرى مدى حقدهم على الإسلام والمسلمين، وكيف أن بعض المسلمين قد تأثر بهم بل مجدهم أمثال: محمود أبو رية[٣]، ود. عاطف العراقي[٤]، وذلك بما يلي:

---

(١) انظر للتوسع: أجنحة المكر الثلاثة وخوافيها: التبشير، الاستشراق، الاستعمار: دراسة وتحليل وتوجيه: الشيخ عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني: ١٨١- ١٨٦.

(٢) الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري: د. محمود حمدي زقزوق: ١٩- ٢٠، دار المنار: القاهرة.

(٣) انظر: شيخ المضيرة أبو هريرة: محمود أبو رية: ٢٨، مؤسسة الأعلمي: بيروت.

(٤) انظر: العقل والتنوير في الفكر العربي المعاصر: قضايا ومذاهب وشخصيات: د. عاطف العراقي: ١٠٥- ١٠٨، دار قباء: القاهرة.

١- اعتبر المستشرقون أن النبي ﷺ استفاد من علوم اليهود والنصارى، وليس موحى إليه، وبالتالي ينفون عنه النبوة والرسالة[١].

٢- تأثير الفكر الشيوعي في فهم بعض المؤرخين والمستشرقين الجدليين، أمثال أرنولد توينبي، ورودنسون، للمباحث التي فسروا فيها نبوة ورسالة سيدنا محمد ﷺ، وبعض المستشرقين مثل: وات، وبلاشير فسر النبوة بالعامل السياسي، باعتباره العامل الفاعل في اتخاذ النبي ﷺ قرار إنجاز عمل موحد يرفع العرب إلى مستوى الأمم المتمدنة[٢]، وهذا ما تأثر به بعض المسلمين أمثال: د. محمد عبد الحي شعبان[٣]، ود. سيد القمني[٤]، وغيرهم.

٣- ذهب المستشرقون أمثال: كايتاني، وجولدتسهير، وغاستون ويت، وفنسنك إلى أن المحدثين نقدوا سند الحديث النبوي ولم ينقدوا متنه[٥]، وقد تأثر بذلك أحمد أمين[٦]، وغيره.

٤- تشكيك المستشرقين أمثال: جولدتسهير، وشبرنجر في الأحاديث التي رواها الصحابي الجليل أبو هريرة رضي الله عنه[٧]، وقد تأثر بذلك محمود أبو رية[٨]، وغيره. وهناك أمثلة كثيرة مثل ذلك[٩].

(١) انظر للتوسع: نبوة محمد ﷺ في الفكر الاستشراقي المعاصر: د. لخضر شايب: ٤٤١- ٤٥٤، مكتبة العبيكان: الرياض.

(٢) نبوة محمد ﷺ في الفكر الاستشراقي المعاصر: د. لخضر شايب: ٤٥٥- ٤٥٧.

(٣) من مسلسل الهجوم على الإسلام من أبنائه: أستاذ جامعي يزعم أن محمداً لم يكن إلا تاجراً: د. إبراهيم عوض: ١٩، ٣٨- ٤١، مكتبة زهراء الشرق: القاهرة.

(٤) مركسة الإسلام: منصور أبو شافعي: ٢١- ٤٠، دار نهضة مصر: القاهرة.

(٥) المستشرقون والحديث النبوي: د. محمد بهاء الدين: ١٢٩، ١٤٥، ١٦١، ١٦٣، دار النفائس: عمان.

(٦) فجر الإسلام: أحمد أمين: ٣٤٥.

(٧) المستشرقون والحديث النبوي: د. محمد بهاء الدين: ١٩٧.

(٨) شيخ المضيرة أبو هريرة: محمود أبو رية: ١٣٢- ١٣٤.

(٩) انظر للتوسع: الظاهرة الاستشراقية وأثرها على الدراسات الإسلامية: د. ساسي سالم الحاج:
=

المبحث الثالث

أبرز تيارات الاتجاه المنحرف المعاصرة

أهم ما يميز ويجمع هذه التيارات أنها كلها مستوردة من خارج الفكر العربي والإسلامي؛ سواء كانت من الغرب أم الشرق، وهي تيارات غريبة عن ديننا وحضارتنا وفكرنا، ونبتت وترعرعت في بيئة مختلفة عن بيئتنا، وهي وإن نجح تطبيقها في بيئتها فليس بالضرورة أن تنجح في بيئة أخرى، فلكل أمة نسقها الديني والحضاري والفكري، فلذلك على مدى قرن من الزمن تقريباً لم تنجح هذه التيارات في بث النهضة ـ التي تدَّعيها ـ في أمتنا رغم كل الإمكانات المسخرة لها[(١)].

وقد كثرت هذه التيارات خلال العصر الراهن، واتخذت ألواناً شتى، وقد ساهم في ظهور العديد منها رواج مختلف الفلسفات التغريبية التي غزت العالم الإسلامي خلال العقود الأخيرة، وإذا نظرنا نظرة متأنية في نشأة وتطور هذه التيارات المنحرفة فسنجد انحرافها يرجع للأسباب الرئيسة التالية:

١ـ التعصب للمذهب العقدي. ٢ـ الجهل بالعلم.

٣ـ الرغبة في نشر مدنية التغريب. ٤ـ السعي إلى هدم الإسلام ونقض عراه[(٢)].

= ٢/ ٤٦٣- ٦٣٢، ٣/ ٧- ٢١٦، مركز دراسات العالم الإسلامي: مالطا، المستشرقون والسنة: د. سعد المرصفي: ٢٤- ٥٩، مكتبة المنار الإسلامية: الكويت، الاستشراق في السيرة النبوية: عبد الله محمد الأمين النعيم: ٣٣- ٢٨٦، المعهد العالمي للفكر الإسلامي: فيرجينيا، الرسول ﷺ في كتابات المستشرقين: نذير حمدان: ٣٤- ١٧٧، رابطة العالم الإسلامي: مكة.

(١) انظر: الإسلام ومشروعات النهضة الحديثة: كتاب المؤتمر الدولي السادس للفلسفة الإسلامية بكلية دار العلوم بجامعة القاهرة: بحث اضمحلال المشروع العلماني للنهضة: د. السيد رزق الحجر: ١٧٧- ١٩١.

(٢) الاتجاهات المعاصرة في كتابة السيرة النبوية: د. عبد الرزاق بن إسماعيل هرماس: ١٠٨، مجلة الشريعة والدراسات الإسلامية، العدد (٥٥)، (١٤٢٤هـ، ٢٠٠٣)، الكويت.

المطلب الأول : التيار التغريبي:

لقد بدأت بذرة هذا التيار أول ما بدأت بمصر إبان الحملة الفرنسية عليها في عام (١٢١٣هـ، ١٧٩٨م)، فكانت بدايات فكرة الاستقلال عن الموروث، وقطع حبال التواصل الحضاري، والاستقلال عن المحيط العربي الإسلامي، واستبدال النموذج الغربي بدلاً من المنابع الحضارية الإسلامية، والوطنية القطرية بدلاً من الجامعة الإسلامية.

ولقد صاغ هذا التيار المعلم يعقوب (١٧٤٥- ١٨٠١م)، وكان من القبط، التحق بجيش نابليون بونابرت (١٧٦٩- ١٨٢١م) وأصبح جنرالاً فيه، واستخدمه الفرنسيون جلاداً للمصريين، حتى تبرأت منه الكنيسة المصرية، ثم مات هذا المشروع بجلاء الحملة الفرنسية عن مصر عام (١٢١٦هـ، ١٨٠١م)، ولكنه عاد هذا التيار ثانية بعد احتلال الإنكليز لمصر عام (١٢٩٩هـ، ١٨٨٢م)، لتبشر به مؤسسات فكرية ومنابر ثقافية، وأجهزة إعلامية، قامت ومارست عملها بمصر، في رعاية سلطات الاحتلال الإنكليزي، التي كان يقودها اللورد كرومر (١٨٤١- ١٩١٧م).

وقد كان رواد هذا التيار في حقبة الاحتلال مجموعة من المثقفين المسيحيين الموارنة الشوام (لبنان حالياً)، الذين هاجروا إلى مصر فراراً من السلطة العثمانية، التي كانوا يكرهونها، يحركهم بغضهم الدفين للإسلام، وأسسوا صحيفة المقطم (١٣٠٦- ١٣٧١هـ)، والأهرام، ومجلة المقتطف (١٢٩٣- ١٣٧١هـ)، والجامعة، ورواد هذا التيار هم: يعقوب صروف، وفارس نمر، وشاهين مكاريوس (١٢٦٩- ١٣٢٨هـ)، وشبلي شميل، ونقولا حداد، وجورجي زيدان، وفرح أنطون، وبشارة تقلا (١٢٦٥- ١٣٠٩هـ)، وسليم تقلا (١٢٦٨- ١٣١٩هـ)، وأمثالهم، ثم كان من رواده من المصريين سلامة موسى (١٣٠٥- ١٣٧٧هـ)[1]، صاحب صحيفة المجلة الجديدة، ثم لطفي السيد محرر صحيفة الجريدة، ومحمود عزمي صاحب صحيفة الاستقلال، وعلي عبد الرازق صاحب صحيفة الرابطة الشرقية، وإسماعيل مظهر

(١) انظر للتوسع: أزمة الفكر الإسلامي الحديث: د. محمد عمارة: ٨٧- ٩٦، دار الفكر: دمشق، صحافة الاتجاه الإسلامي في مصر منذ القرن العشرين حتى نشوب الحرب العالمية الأولى: د. جمال عبد الحي عمر النجار: ١٨١- ١٨٩.

صاحب صحيفة العصور الأسبوعية والشهرية، وقاسم أمين، ود. طه حسين، ومحمد حسين هيكل، وعبد الله عنان، ومنصور فهمي، ود. فخري عبد النور، بالإضافة إلى صحيفة الهلال [١].

وإن الافتتان بالحضارة الغربية من الأسباب الرئيسة في تعميق جذور الإمعية[٢]، وتذكية ظاهرتها افتتان أناس أشربت قلوبهم موالاة أعداء الأمة بقيم الحضارة الغربية، ومعطياتها المادية[٣].

وتتمثل ركائز التغريب في مصر بما يلي:

١- المدارس التي أسسها القساوسة والرهبان بمساعدة الحكومة والمحتلين.

٢- البعثات الدراسية إلى الخارج.

٣- الدعوة إلى سفور المرأة، أو ما أطلق عليه تحرير المرأة.

٤- إفساد أخلاق المجتمع بنشر كل الرذائل فيه.

٥- الغزو اللغوي في كل ميادين الحياة[٤].

المطلب الثاني: التيار العلماني:

لقد دخلت العلمانية إلى مصر مع الحملة الفرنسية (١٢١٢هـ، ١٧٩٨م)، وهذه الجذور الأولى لها [٥]، ولكن الدخول الحقيقي للعلمانية تم على إثر الاحتلال

---

(١) انظر للتوسع: صحافة الاتجاه الإسلامي فيما بين الحربين العالميتين: د. جمال عبد الحي عمر النجار: ١٢٥- ١٣٠، ١٣٦- ١٦٢، دار الوفاء: المنصورة، فلسفة المشروع الحضاري بين الإحياء الإسلامي والتحديث الغربي: د. أحمد جاد عبد الرازق: ٢/ ٥٤٦- ٦٨٢.

(٢) الإمعة: " الذي لا رأي له، فهو يُتابع كل أحد على رأيه". انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر: ابن الأثير الجزري: ٤٩.

(٣) ظاهرة الإمعية: أسبابها وأثرها على الدعوة: د. محمد عبد الواحد شلتوت: ٤٩٤- ٥٠٠، مجلة كلية أصول الدين والدعوة، العدد (٥)، (١٤١٩- ١٤٢٠هـ، ١٩٩٨- ١٩٩٩م)، جامعة الأزهر: المنصورة.

(٤) انظر للتوسع: صحافة الاتجاه الإسلامي في مصر منذ القرن العشرين حتى نشوب الحرب العالمية الأولى: د. جمال عبد الحي عمر النجار: ١٨٩- ١٩٦.

(٥) جذور العلمانية: د. السيد أحمد فرج: ١٧، ٢٦- ٣٤، دار الوفاء: المنصورة، موقف الفكر العربي العلماني من النص القرآني: دعوى تاريخية النص نموذجاً: أحمد إدريس الطعان الحاج: ٩٢.

الإنكليزي لمصر عام (١٢٩٩هـ، ١٨٨٢م)، حيث فرضها هذا الاحتلال، وتم صدور القوانين الوضعية المستمدة من قانون نابليون، أي القانون المدني، ثم صدرت بقية القوانين بعد إقصاء القوانين الإسلامية المستمدة من الشريعة الإسلامية، فكان هذا هو الانقلاب الحقيقي والشامل الذي عمّت به البلوى، في قانون مصر وقضائها، وكانت هذه هي الحقبة الأولى والأساسية بمصر.

ويعتبر رواد التيار التغريبي هم من رواد العلمانية؛ لأنها تعتبر أحد أفكار التغريب التي وفدت إلينا من أوروبا[١]، وقد عبرت العلمانية إلى الشرق عبر قنطرة التيار التغريبي[٢]، ولعل كتاب الشيخ علي عبد الرازق (١٣٠٥- ١٣٨٦هـ) الإسلام وأصول الحكم الذي صدر سنة (١٩٢٥م) بعد سقوط الخلافة العثمانية في تركيا أخطر وأكبر عمل فكري يعبد الطريق لسيادة العلمانية في بلاد المسلمين، والذي خلص إلى أن فصل الدين عن الدولة هو الحل الطبيعي بالنسبة لنا، تماماً كما كان الحل الطبيعي في الحضارة الغربية[٣]، ولقد أثار هذا الكتاب أكبر وأخطر معركة فكرية في تاريخ الإسلام الحديث[٤].

ومن رواد العلمانية المعاصرين: د. فؤاد زكريا، ود. محمد النويهي، وحسين أحمد أمين، ود. فرج فوده (١٣٦٥- ١٤١٢هـ)، وشبلي العيسمي، ود. زكي نجيب محمود، وغيرهم[٥].

---

(١) نهضتنا الحديثة بين العلمانية والإسلام: د. محمد عمارة: ١٦٣- ١٧٥، فلسفة التنوير بين المشروع الإسلامي والمشروع التغريبي: د. محمد السيد الجليند: ٥٩، دار قباء: القاهرة.

(٢) موقف الفكر العربي العلماني من النص القرآني: دعوى تاريخية النص نموذجاً: أحمد إدريس الطعان الحاج: ٩٦.

(٣) انظر للتوسع: الإسلام وأصول الحكم: الشيخ علي عبد الرازق: ١٠٤- ١٢١، دار الهلال: القاهرة.

(٤) انظر للتوسع: حكم هيئة كبار العلماء في كتاب الإسلام وأصول الحكم: الشيخ محمد أبي الفضل: ٤- ٣٢، المطبعة السلفية: القاهرة، نقد علمي لكتاب الإسلام وأصول الحكم: الشيخ محمد الطاهر بن عاشور: ٤- ٣٦، المطبعة السلفية: القاهرة، معركة الإسلام وأصول الحكم: د. محمد عمارة: ٣٥٣- ٣٩٢، دار الشروق: القاهرة.

(٥) انظر للتوسع: الموقف المعاصر من المنهج السلفي في البلاد العربية: دراسة نقدية: د. مفرح القوسي: ٦٢- ٧٦، ٣٨١.

وأما القنوات الرئيسة التي دخلت خلالها الأفكار العلمانية إلى مصر فهي ما يلي:

١- الاحتكاك بأوروبا من خلال عملية تحديث مصر في عصر محمد علي والخديوي إسماعيل باشا.

٢- البعثات التعليمية التي ذهبت إلى أوروبا.

٣- حركة الترجمة الواسعة التي صاحبت هذه البعثات.

٤- استقدام الخبراء والمعلمين الأوروبيين إلى مصر.

٥- انتشار المدارس الأجنبية في مصر.

٦- النشاط الاستشراقي تحت رعاية الاحتلال الإنكليزي على مصر.

٧- الصحف التي أصدرها النصارى الشوام[١].

المطلب الثالث: التيار الماركسي:

هو تيار فكري فلسفي مادي يقوم على اعتبار المادة أساس كل شيء، ويفسر أحداث التاريخ الإنساني بصراع الطبقات؛ وبالعامل الاقتصادي، وهو منسوب إلى الماركسية التي وضع أسسها الفكرية النظرية كارل ماركس، وبدأ ينتشر هذا الفكر في البلاد العربية بعد نجاحه في استلام السلطة في روسيا عام (١٣٣٧هـ، ١٩١٧م)، ثم أصبح التيار الماركسي من التيارات الفكرية القوية المعاصرة، له دعاته وأنصاره في العالم العربي والإسلامي، ولعل من أبرز من يمثل هذا التيار اليوم: حسين مروة (١٣٣٠، ١٤٠٧هـ)، ود. طيب تيزيني، ومحمود أمين العالم، وعبد الرحمن الشرقاوي، ود. محمود إسماعيل[٢]، ود. رفعت السعيد، وخالد

(١) صحافة الاتجاه الإسلامي في مصر منذ القرن العشرين حتى نشوب الحرب العالمية الأولى: د. جمال عبد الحي عمر النجار: ١٩٩، صحافة الاتجاه الإسلامي فيما بين الحربين العالميتين: د. جمال عبد الحي عمر النجار: ١٨٠.

(٢) انظر للتوسع: الموقف المعاصر من المنهج السلفي في البلاد العربية: دراسة نقدية: د. مفرح القوسي: ٧٨- ٩٥، ٤٧٧- ٥٨٤.

محيي الدين، وخالد بكداش، ود. حسن حنفي، ود. محمد شحرور، ود. نصر حامد أبو زيد، وخليل عبد الكريم، وحسين أحمد أمين، وغيرهم.

وقد تطور موقف الشيوعية الماركسية العربية من الإسلام من خلال مرحلتين:

١- مرحلة المهادنة مع الإسلام؛ وذلك للتمكن من التغلغل في أوساط المسلمين، وهذه المرحلة لم تدم طويلاً، لأنها لم تحقق النتيجة التي كان يتوقعها الشيوعيون.

٢- مرحلة التحالف مع الإسلام والحديث من خلاله، وانتهت هذه المرحلة بمحاولة مركسة الإسلام، أو أسلمة الماركسية، وهو الشيء الذي لا يمكن قبوله بحال من الأحوال[١].

وأما الفكر الماركسي الذي أخذ طابع الفلسفة، فقد انتقل إلى العالم العربي والإسلامي عن طريق الأحزاب الشيوعية التي انتشرت فيه، واعتنقها الكثير من المسلمين[٢].

المطلب الرابع : التيار الحداثي:

الحداثة: هي المحاولات الرامية إلى تحقيق النماذج الغربية أساساً، بكل ما ينشأ عن استيراد أنماط أجنبية من مشاكل وردود فعل، بحيث يقتحم الجديد وغير المكرر مختلف مجالات الحياة[٣].

والحداثة العربية هي في الحقيقة غربية الأصل والنشأة والتوجه والأهداف، ولكنها مترجمة إلى اللغة العربية؛ ومنقولة إليها بأحرف عربية الحرف أجنبية الولاء، وانفجرت شرارتها من العراق وانطلق صخبها من هناك ليصل إلى جميع البلاد

---

(١) انظر للتوسع: دعوى الفهم اليساري المعاصر للإسلام: نقد وتحليل: محمود محمد حسين علي: ٣١- ٤٠، رسالة ماجستير، كلية أصول الدين، جامعة الأزهر: القاهرة، الاتجاهات الفكرية المعاصرة: د. علي جريشة: ١٥٨- ١٦٠، دار الوفاء: المنصورة.

(٢) جهود المفكرين المسلمين المحدثين في مقاومة التيار الإلحادي: د. محمود عبد الحكيم عثمان: ٢١٠، مكتبة المعارف: الرياض.

(٣) الإسلام والحداثة: عبد المجيد الشرفي: ٢٥- ٢٦، الدار التونسية: تونس.

العربية، وهي جزء من تيار التغريب[١]، وأهم ما يتسم به التيار الحداثي ما يلي:

١- هي نبتة غريبة جيء بها لإكمال أدوار التسلط الاستعماري التي مارسها الغرب ضد المسلمين في فترة الاحتلال وما بعده.

٢- من أهم أغراض الحداثة الهدم والتخريب، وإحداث الفوضى في العقائد والأخلاق، وفي النظم والعلاقات.

٣- ليست الحداثة مجرد تجديد في الأشكال والأساليب والمناهج؛ بل هي عقائد وأفكار شتى، تجتمع تحت مقصد واحد هو: مضادة الدين الحق، ومناقضة الإيمان واليقين، وغرس الضلالات والإلحاد والشكوك.

٤- الحداثة لا تخالف الإسلام فحسب؛ بل تناقضه تمام المناقضة، وتسعى في هدمه وإزاحته من القلوب والعقول والأعمال، أو على أقل الأحوال تحاول التشكيك في ثبوته وصحته وجدواه[٢].

وأهم رواد هذا التيار هم: خليل مطران (١٢٨٩- ١٣٦٨هـ)، وعلي أحمد سعيد (أدونيس)، ود. أحمد زكي أبو شادي، ود. إبراهيم ناجي، وعلي محمود طه، وصالح جودت، ومعروف الرصافي، وجبران خليل جبران، وميخائيل نعيمة، وندرة حداد، وإلياس عطا الله، ووليم كاتسفليس، ونسيب عريضة، ورشيد أيوب، وإيليا أبو ماضي، ووديع باحوط، وأمين الريحاني، ونزار قباني، وجابر عصفور، وغيرهم[٣].

(١) الانحراف العقدي في أدب الحداثة وفكرها: دراسة نقدية شرعية: د. سعيد بن ناصر الغامدي: ١/ ٧٨.

(٢) الانحراف العقدي في أدب الحداثة وفكرها: دراسة نقدية شرعية: د. سعيد بن ناصر الغامدي: ٣/ ٢٢٣٥- ٢٢٣٦.

(٣) الانحراف العقدي في أدب الحداثة وفكرها: دراسة نقدية شرعية: د. سعيد بن ناصر الغامدي: ١/ ٧٢- ٧٨.

المبحث الرابع

مبادئ الاتجاه المنحرف

المطلب الأول : مبادئ الاتجاه المنحرف العامة:

لكل تيار من تيارات الاتجاه المنحرف مبادئ يدعو لها، ويدافع عنها، وذلك بما يلي:

أولاً: مبادئ التيار التغريبي والعلماني:

تظهر مبادئ هذا التيار من خلال ما يلي:

١- أنه لابد للمسلمين من أجل اللحاق بركب التقدم الأخذ بركب الحضارة الغربية.

٢- الأخذ بالوسائل والأساليب الغربية المادية التقنية والصناعية الحديثة.

٣- الأخذ بمبادئ الغرب الفكرية والثقافية.

٤- رفض التحاكم إلى الشريعة الإسلامية، وادعاء أن تحكيمها في كل شأن من شؤون الحياة يقعد بالمسلمين عن ملاحقة التطور والوفاء بمقتضياته.

٥- أن الدين الإسلامي لا يعدو أن يكون علامات مضيئة على الطريق، فهو جملة من الإرشادات الإيمانية والوصايا الخلقية، ولا علاقة له بما وراء ذلك من بقية جوانب الحياة.

٦- أن إقامة الدولة على أساس الدين الإسلامي يؤدي إلى قيام دولة كهنوتية تحكم بالحق الإلهي، وتحتكر لنفسها تفسير الدين؛ وفرضه على الناس بالقوة دون اعتراض.

٧- أن تطبيق العلمانية في الحكم هو السبيل الوحيد للتطور والتقدم، والأخذ بأسباب الحضارة والمدنية[1].

---

(١) الموقف المعاصر من المنهج السلفي في البلاد العربية: دراسة نقدية: د.مفرح القوسي: ٦٤-٦٥، ٣٧٨، بين الأصالة والتغريب في الاتجاهات العلمانية عند بعض المفكرين العرب =

٨- أنه لا تعارض بين الإسلام والعلمانية، وأن للعلمانية تاريخاً في الإسلام، وبوادر العلمانية موجودة في مصادر الفكر الإسلامي المتمثلة بالقرآن الكريم والسنة النبوية والإجماع والاستحسان والمصالح المرسلة وغيرها[١].

ثانياً: مبادئ التيار الماركسي:

تتجلى مبادئ هذا التيار بما يلي:

١- الماركسية مبدأ مادي هدام يرفض الإيمان بالله وبالنبوة والوحي واليوم الآخر والملائكة والكتب والرسل، ومن ثم يرفض الاعتراف بالدين جملة وتفصيلاً، ولذا قال كارل ماركس: «الدين أفيون الشعوب».

٢- تقديس الدولة، واعتماد مبدأ الشيوعية، والفرد كالآلة يعمل؛ لأنها تنكر الروحانيات والعقليات[٢].

٣- دعوى أن سبب تخلف المسلمين هو تمسكهم بعقيدة الإيمان بالغيب.

٤- تأويل العقيدة الإسلامية الواردة في القرآن الكريم والسنة النبوية لتوافق فكرهم، أي التفسير الماركسي للإسلام.

٥- يرون أن الإسلام عقيدة فقط، وليس بشريعة؛ أي تفريغ الإسلام من شريعته بحجة أن أمور المعاش متروكة لخبرة الإنسان، ولا مانع لديهم أن تملأ هذه المساحة الخالية من الأنظمة الأخرى.

٦- تفسير السيرة النبوية والتاريخ الإسلامي حسب المفهوم اليساري[٣]، وأن الإسلام ثورة يسارية اقتضتها الظروف الاقتصادية التي تعيشها مكة وما حولها[٤].

= المسلمين في مصر: د. حسين سعد: ١٥٠- ١٦٥، المؤسسة الجامعية: بيروت، التطرف العلماني في مواجهة الإسلام: د. يوسف القرضاوي: ٥١- ١٢٢، أوهام العلمانية حول الرسالة والمنهج: د. توفيق يوسف الواعي: ١٥- ٥٧، دار الوفاء: المنصورة.

(١) انظر للتوسع: العلمانية وطلائعها في مصر: فتحي القاسمي: ٩٩- ١١٢.

(٢) حوار بين الفكر الديني والفكر المادي: أحمد زكي تفاحة: ٣٥، دار الكتاب اللبناني: بيروت.

(٣) اليسار: «هو إعادة تفسير الفكر بعقائده في المجتمع التقليدي، وتوجيهها لصالح الفقراء والمعدمين، وتجنيد الطبقات الكادحة وتحزيبها، لتحويلها إلى قوة سياسية ضاغطة، وطاقة ثورية مغيرة». انظر: اليمين واليسار في الفكر الديني: د. حسن حنفي: ٩، دار علاء الدين: دمشق.

(٤) انظر للتوسع: دعوى الفهم اليساري المعاصر للإسلام: نقد وتحليل: محمود محمد حسين =

ثالثاً: مبادئ التيار الحداثي:

تتمثل مبادئ هذا التيار التي ظهرت عند أدبائهم في الأمور التالية:

١- دعوتهم إلى التعددية الوثنية، ومضادة التوحيد، وجعل التعددية الوثنية أساساً للتعددية الفكرية والسياسية، وجعلهم توحيد الله تعالى أساساً للتعصب والتخلف.

٢- زعمهم أنه ليس هناك حقائق مطلقة.

٣- دعوتهم إلى استباحة المحرمات، والتحرر من الضوابط، وإسقاط موازين الحلال والحرام.

٤- دعوتهم إلى ترسيخ المفهومات الحداثية، وإيجاد مفهومات شمولية جذرية حديثة.

٥- الهجوم على التراث والثقافة الإسلامية خاصة.

٦- دعوتهم إلى الرفض والتمرد، والثورة على كل شيء، والانقلاب على الأصول والمفاهيم الكلية.

٧- تأليه الإنسان، والدعوة إلى الإنسانية مبدأ وغاية.

٨- ممارسة التعمية والغموض، ومضادة الإفهام والوضوح.

٩- الدعوة إلى الخروج عن المألوف، ونفي السائد ورفضه ومخالفته.

١٠- إعادة النظر في كل شيء، وممارسة الشك في كل قضية أيّاً كانت.

١١- الدعوة إلى مقاطعة الماضي، ومضادة مفاهيمه والانفصال عنه ومعارضته.

١٢- القضاء على فكرة الثابت، والزعم بأن كل شيء متحول متطور، وأن أي فكرة أو قضية لها سمة الثبوت فهي تخلف ومهانة.

= علي: ٧٧، ٨٦، ١٠٧، ١٢٧، رسالة ماجستير، كلية أصول الدين، جامعة الأزهر: القاهرة، العصرانيون بين مزاعم التجديد وميادين التغريب: محمد حامد الناصر: ٣٣٧- ٣٤٣، أكذوبة اليسار الإسلامي: د. مصطفى محمود: ٥- ٣٤، دار المعارف: القاهرة، الإسلام ومشروعات النهضة الحديثة: كتاب المؤتمر الدولي السادس للفلسفة الإسلامية بكلية دار العلوم بجامعة القاهرة: بحث التجديد الديني بين الحقيقة والوهم: د. محمد المسير: ١٥٧.

١٣ـ الدعوة إلى تأليه العقل والعلم المادي، والادعاء بأن حرية العقل بالمفهوم الحداثي أساس كل نهضة وتقدم.

١٤ـ الزعم بأنه لا حرية للإنسان إلا بهدم الشريعة، والغيبيات والأخلاق.

١٥ـ رفض العبادة لله تعالى، واعتبار الدين سبباً للتخلف والفشل، والادعاء بأن النهضة لا تكون إلا بفصل الدين عن الحياة، وعزله عن مناشط الإنسان، ونقل مركز الثقل من السماء إلى الأرض.

١٦ـ تبني الهدم والفوضى، والخلخلة للأفكار والمعتقدات الراسخة، وتصريحهم أن التخريب حيوي وهو أول الواجبات.

١٧ـ الدعوة إلى إسقاط القداسة، واختراق المقدس وتدنيسه.

١٨ـ رفض ضوابط العلم والنظام والمنطق، وكل ما تعارف عليه الناس.

١٩ـ تفكيك كل القيم والمعايير، وزعزعة كل الموازين الماضية.

٢٠ـ الترديد الدائم بأنه كما يجب أخذ التقنية عن الغرب فإنه يجب أخذ الأفكار والثقافة والفلسفات والمذاهب والقيم.

٢١ـ التركيز على أن الحداثة رؤيا شاملة للحياة والوجود، وأنها عقيدة ومضمون أبدي، ومفهوم حضاري جديد كامل وشامل.

هذه محاور الفكر الحداثي، وأسس منطلقاته، وهي أسس اعتقادية قبل أي شيء، ولا يخلو شخص حداثي، ولا مدرسة حداثية من القول بواحد أو أكثر من هذه الأسس، وبعضهم ممن له الزعامة والريادة في هذا التيار يقول بها كلها[1].

المطلب الثاني : مبادئ الاتجاه المنحرف الخاصة بالسنة النبوية:

لم يكن تعامل الكثيرين من أصحاب هذا الاتجاه مع السنة النبوية وأحاديثها على الوجه المطلوب، ولم يعرف عنهم التخصص في دراسة السنة النبوية؛ وهذا أدى بهم إلى أمرين اثنين هما:

---

(١) الانحراف العقدي في أدب الحداثة وفكرها: دراسة نقدية شرعية: د. سعيد بن ناصر الغامدي: ١/ ٥٣- ٥٥.

أولاً: تبنى أكثرهم القول بإنكار السنة النبوية كلياً أو جزئياً، وعدم الاعتماد عليها، ويكتفى بالقرآن الكريم، وسوف أفصّل القول في ذلك في الفصل الثاني إن شاء الله تعالى.

ثانياً: على المستوى العملي وُجد لدى بعضهم الجرأة المرفوضة في الكلام عن السنة النبوية بدون علم، والتقليد والترديد لأقوال بعض أصحاب الاتجاه العقلي، أو المستشرقين، أو الزيادة عليهما، أو ابتداع أفكار نابعة من اتباع الهوى، أو غير ذلك، وهذه الشبهات متعددة بتعدد التيارات، فكل تيار له مبادئ خاصة بفكره قد لا تنطبق على أصحاب التيارات الأخرى، والأمثلة على تلك الشبهات والمزاعم ما يلي:

١- شبهتهم في النهي عن كتابة السنة النبوية.

٢- شبهتهم في تأخير تدوين السنة النبوية.

٣- شبهتهم في الطعن بالصحابة ﷺ.

٤- التفسير الماركسي اليساري للسنة النبوية[١].

(١) انظر للتوسع: التفسير الماركسي للإسلام: د.محمد عمارة: ٥٥- ٥٩، اليسار الإسلامي وتطاولاته المفضوحة على الله والرسول والصحابة: د.إبراهيم عوض: ٤٨- ٧٠، مكتبة زهراء الشرق: القاهرة، مركسة التاريخ النبوي: منصور أبو شافعي: ٣٢- ٩٠، نهضة مصر: القاهرة.

الفصل الثاني

شبهات أصحاب الاتجاه المنحرف في عدم حجية السنة النبوية والرد عليها

المبحث الأول : مزاعم أصحاب الاتجاه المنحرف وشبهاتهم في عدم حجية السنة النبوية والرد عليها.

المطلب الأول : مزاعم أصحاب الاتجاه المنحرف في عدم حجية السنة النبوية.

المطلب الثاني: شبهات أصحاب الاتجاه المنحرف في عدم حجية السنة ورد العلماء عليها.

المبحث الثاني : أدلة العلماء في حجية السنة النبوية.

المطلب الأول : القرآن الكريم.

المطلب الثاني : السنة النبوية.

المطلب الثالث : إجماع الأمة.

المطلب الرابع : العقل والنظر.

المطلب الخامس : العصمة.

المبحث الأول

مزاعم أصحاب الاتجاه المنحرف وشبهاتهم في عدم حجية السنة النبوية والرد عليها

تعرضت السنة النبوية عبر تاريخها الطويل حتى يومنا لهجمات متوالية، قام بها أناس مختلفو التوجهات والمقاصد، وقد جاء الهجوم أحياناً من قبل أعداء الإسلام المظهرين للعداوة والحقد الشديد، وأتى في أحيان أخرى من قبل بعض المنتسبين للإسلام ظاهراً، والمنطوية قلوبهم على الكفر به والكيد له باطناً، وإضافة لهذين الفريقين، فقد جاء الهجوم من بعض أبناء الإسلام المخدوعين والملبس عليهم، تحت ستار الدفاع عن السنة؛ وتنقية أحاديثها من الموضوع والضعيف.

وقضية الاحتجاج بالسنة النبوية من القضايا التي كثر حولها الكلام في حياتنا المعاصرة، إلا أن بعضاً من الكتّاب المعاصرين قد تناولوها بطريقة توحي للقارئ بأن الأصل عدم قبولها، وإذا قبلت فبشروط وقيود، ويوظف الأعداء من كل جانب هذه الأقوال للتشكيك في السنة النبوية وإنكارها، والتقليل من أهميتها، وهي قضية قديمة، تصدى كثير من علماء الإسلام لبيانها وإحقاق الحق بشأنها، وسنعرض لرأي أصحاب الاتجاه المنحرف وشبهاتهم في ذلك، ورد العلماء عليهم.

المطلب الأول : مزاعم أصحاب الاتجاه المنحرف في عدم حجية السنة النبوية:

ينقسم أصحاب الاتجاه المنحرف في موقفهم من حجية السنة النبوية إلى قسمين:

أولاً: أصحاب الاتجاه المنحرف في إنكار السنة النبوية كلياً:

من أكبر ضلالات هذا التيار هو القول بعدم حجية السنة النبوية مطلقاً، والاكتفاء بما في القرآن الكريم، مما أدى ذلك للوقوع بما لا يحمد عقباه، فأتوا بصلاة جديدة، وابتدعوا زكاة معاصرة، وضلوا في معرفة أحكام الصيام والحج، وهكذا في كل

الأحكام الإسلامية؛ لأن عزل السنة عن الاحتجاج هو الضلال بعينه لا ثاني له، وهذا هو رأي المستشرقين أمثال ماكدونالد، وجوزيف شاخت، وأندرسون، ومونتجمري وات، وغيرهم[١]، وإليك بعضاً من أقوال المنكرين للسنة كلياً:

١- قال د. محمد رشاد خليفة: «إن الحديث والسنة، بما لهما من شعبية هائلة ومكانة عالية في الشعوب الإسلامية، لا علاقة لهما بالنبي محمد - ﷺ - وأن الالتزام بالحديث والسنة؛ يمثل عصياناً صارخاً لله ولخاتم النبيين»، ويقول أيضاً: «والسنة أمر مهمل، والتمسك بها خطأ يجب على الأمة أن تقيل نفسها منه، وأن تصحح مسارها بإلقاء السنة عن كواهلها»، ويقول: «والنبي محظور عليه أن يبين من عنده كلمة من القرآن أو يفسرها»[٢].

ويحاول رشاد خليفة أن يحدد مهمة النبي ﷺ، ومهمة النبي ﷺ كما يراها منحصرة في إبلاغ القرآن الكريم للأمة، ولا شيء غير ذلك، فهو ليس من مهماته أن يطبق القرآن على نفسه أفضل ما يكون التطبيق؛ لكي يحقق القدوة في ذاته أمامنا، وهو ليس من مهماته أن يبين القرآن، ولا يوضح مبهمه، ولا يفصل مجمله، ولا يضيف عليه شيئاً من الأشياء، وإن مهمته الوحيدة هي أن يبلغ القرآن، ولو فعل شيئاً غير ذلك لكان آثماً؛ مأخوذاً عليه بالعقوبة[٣].

٢- وقال محمد نجيب: «وزعموا أن مفترياتهم حديث للرسول الأمين، وأنه هو الذي قاله، وأتوا على ذلك بالشهود، وأنه ما قال هذه الأحاديث إلا ليوضح ما لم يوضحه الله، وما عجز عن تفسيره أو بيانه، وما أنزله الله مبهماً، وما فرط في

---

(١) مناهج الاستدلال على مسائل العقيدة الإسلامية بمصر في العصر الحديث: أحمد قوشتي عبد الرحيم: ١٢١.

(٢) انظر للتوسع: السنة النبوية في كتابات أعداء الإسلام: مناقشتها والرد عليها: د. عماد السيد الشربيني: ١/ ١٦٤- ١٦٧.

(٣) انظر للتوسع: مسيلمة في مسجد توسان: الظهور الجديد وراء المحيطات: د. طه الدسوقي حبيشي: ٥٧- ٧٣، مكتبة رشوان: القاهرة، المؤتمر العالمي الرابع للسيرة والسنة النبوية والمؤتمر العاشر لمجمع البحوث الإسلامية: مشيخة الأزهر الشريف، بحث القرآن والحديث والإسلام في كتاب للبهائية الجديدة: د. عائشة عبد الرحمن بنت الشاطئ: ٢/ ٥٤١- ٥٥٨، مطابع الشروق: القاهرة، رشاد خليفة صنيعة الصليبية العالمية وأخطر من سلمان رشدي: د. خالد نعيم: ٣٦، ٥٧، المختار الإسلامي: القاهرة.

ذكره، وليكمل النقص الذي في القرآن، ولم يقل الرسول شيئاً مما ينسبونه إليه، وكيف يتحدث بما يكون من نتيجته نسبة عدم الكمال لله؛ ونسبة عدم كمال علم الله وكمال رسالته، وهو كمال يجب أن يعتقد فيه كل مسلم، كما يكون من نتيجته نسبة عدم الأمانة للرسول، وأمانة الرسول كما يجب أن يعتقد فيها المسلم؛ هي أمانة كاملة يبلغ رسالة ربه لا يزيد عليها حرفاً، ولا ينقص منها حرفاً، زعموا أن الرسول قال هذه الأحاديث التي اختلقوها؛ وما دروا أنهم بهذا لم يطعنوا في كمال قدرة الله فحسب؛ بل طعنوا في أمانة الرسول، وفي طاعته لكل ما يأمر به الله؛ فلم يبلغ رسالة ربه كما جاءته لم يزد عليها حرفاً، ولم ينقص منها حرفاً؛ كما تقتضي الأمانة التي هي أساس اختيار الله له؛ بل زاد على رسالة الله أحاديث من عنده؛ زعموا أنها تكمل ما لم يستطع الله إكماله...»[(١)].

ويحاول هذا الأفاك أن يطعن في السنة النبوية بأنها زائدة لا لزوم لها، وتنافي كمال الله، ويلتوي بالكلام ويتلاعب بالألفاظ ليوحي بأن الرسول ﷺ لا يزيد ولا ينقص في رسالته، وأن هذه الأحاديث كلها مكذوبة عليه.

٣- قال د. مصطفى كمال المهدوي منكراً ونافياً لسنة الرسول ﷺ: «وإن ما يوصف بأنه سنة رسول الله ﷺ من حيث كونها تكميلاً للقرآن، أو تفصيلاً، أو تفسيراً له مردود، ومرفوض كذلك بما تحددت به رسالة الرسول ﷺ كما بينها الله تعالى في كتابه العزيز؛ بتبليغ القرآن الكريم إلى الناس ليؤمنوا به، وليهتدوا بما جاء فيه، وقد وعد الله سبحانه بحفظ كتابه الكريم دون غيره»[(٢)]، وقال أيضاً: «الاتباع بالوحي؛ ولا وحي غير القرآن، وهو شريعة المجتمع؛ وهو شريعة مقدسة وذات أحكام ثابتة غير قابلة للتغيير أو التبديل؛ بواسطة أي أداة من أدوات الحكم؛ بل أداة الحكم هي الملزمة باتباع شريعة المجتمع، ومن اتبع الوحي فقد اتبع الرسول؛ لأنه ﷺ لم يتبع شيئاً غير الوحي»[(٣)].

---

(١) الصلاة: محمد نجيب: ١١- ١٢.

(٢) انظر للتوسع: البرهان من السنة والقرآن في الرد على صاحب البيان: رمضان جمعة البركي: ١/ ٢٧- ٥١، دار الحكمة: ليبيا.

(٣) مؤتمر بين الشورى والديمقراطية: مشيخة الأزهر الشريف، بحث نظام الشورى: د. مصطفى كمال المهدوي: ٣٣.

وهو بهذا الكلام يجهز على السنة النبوية، ويكتم على أنفاسها، ويعدمها، ولا يترك لها أثراً[١].

وهذا ما قال به المحامي أحمد أفندي صفوت[٢]، ومحمد أبو زيد الدمنهوري[٣]، والطبيب إسماعيل أدهم[٤]، ود. أحمد زكي أبي شادي[٥]، د. أحمد صبحي منصور[٦]، ونيازي عز الدين[٧]، وحسين عامر[٨]، وزينب أحمد[٩]، وعبد الرحمن فراج[١٠]، وحسين أحمد أمين[١١]، ود. محمد أحمد خلف الله[١٢]،

---

(١) انظر للتوسع: اللعاب الأخير في مجال إنكار سنة البشير النذير: د. طه الدسوقي حبيشي: ٤٤- ٨٩، مكتبة رشوان: القاهرة، شيطان منكري السنة يعبث بمواقيت الصلاة: د. طه الدسوقي حبيشي: ٥٠- ١٨٧، مكتبة رشوان: القاهرة.

(٢) مجلة المنار: بحث المتفرنجون والإصلاح الإسلامي: الشيخ محمد رشيد رضا، (١٣٣٦- ١٣٣٧هـ، ١٩١٨م): ٢٠/ ٤٠٧، ٢١/ ٧٣- ٧٧، القرآنيون وشبهاتهم حول السنة: خادم حسين إلهي بخش: ١٨٣.

(٣) الأصلان العظيمان الكتاب والسنة: رؤية جديدة: جمال البنا: ٩١- ٩٤، مناهج الاستدلال على مسائل العقيدة الإسلامية بمصر في العصر الحديث: أحمد قوشتي عبد الرحيم: ١١٦- ١١٧، اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر: د. فهد الرومي: ٣/ ١٠٧٦- ١١٠٤، القرآنيون وشبهاتهم حول السنة: خادم حسين إلهي بخش: ١٨١- ١٨٢.

(٤) السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي: د. مصطفى السباعي: ٢٢٢، القرآنيون وشبهاتهم حول السنة: خادم حسين إلهي بخش: ١٨٠، مناهج الاستدلال على مسائل العقيدة الإسلامية بمصر في العصر الحديث: أحمد قوشتي عبد الرحيم: ١١٧- ١١٨.

(٥) دراسات إسلامية ونقد كتاب ثورة الإسلام لمؤلفه الدكتور أحمد زكي أبي شادي: محمد حسن ابن سعيد بنجر: ٣٢- ٣٤، دار الأصفهاني: جدة، القرآنيون وشبهاتهم حول السنة: خادم حسين إلهي بخش: ١٧٦- ١٧٩، العصرانيون بين مزاعم التجديد وميادين التغريب: محمد حامد الناصر: ١٤١- ١٤٢.

(٦) لماذا القرآن؟: د. أحمد صبحي منصور: ٨.

(٧) إنذار من السماء: نيازي عز الدين: ٣٥، ٣٨، ١٥٦.

(٨) القرآنيون وشبهاتهم حول السنة: خادم حسين إلهي بخش: ١٨٤، مناهج الاستدلال على مسائل العقيدة الإسلامية بمصر في العصر الحديث: أحمد قوشتي عبد الرحيم: ١١٨.

(٩) القرآنيون وشبهاتهم حول السنة: خادم حسين إلهي بخش: ١٨٤.

(١٠) اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر: د. فهد الرومي: ٣/ ١١٤٨- ١١٥٤.

(١١) دليل المسلم الحزين إلى مقتضى السلوك في القرن العشرين: حسين أحمد أمين: ٤٣- ٤٥، دار الشروق: القاهرة.

(١٢) الغزو الفكري للتاريخ والسيرة بين اليمين واليسار: سالم علي البهنساوي: ٢٧٤- ٢٧٦، دار =

ود. نصر حامد أبو زيد[١]، ومحمود محمد طه[٢]، وقاسم أحمد[٣]، والقرآنيون في الهند مثل: السيد أحمد خان، وجراغ علي محمد[٤]، والقرآنيون في إندونيسيا مثل: محمد إرحام سوترنو، وتيجوه إيسا[٥].

ثانياً: أصحاب الاتجاه المنحرف في إنكار السنة النبوية جزئياً:

هؤلاء أخذوا بالسنة العملية المتواترة؛ كالصلاة وهيئاتها وركعاتها، والزكاة وما يتعلق بها، وكذلك الصيام والحج، وما شاكل ذلك من الأمور التي تناقلها المسلمون جيلاً بعد جيل نقلاً عملياً، وراحوا ينكرون ويشككون في السنة القولية أو التقريرية؛ أو يأخذون ما يوافق فكرهم وهواهم، وهم ليسوا على دركة واحدة؛ بل متفاوتين في إنكار السنة النبوية وقبولها[٦].

وهذا ما قال به الطبيب د. محمد توفيق صدقي[٧]، ومحمود أبو رية[٨]، وأحمد

= القلم: الكويت، مناهج الاستدلال على مسائل العقيدة الإسلامية بمصر في العصر الحديث: أحمد قوشتي عبد الرحيم: ١٤٣، العصرانيون بين مزاعم التجديد وميادين التغريب: محمد حامد الناصر: ٢٠٤.

(١) الإمام الشافعي وتأسيس الأيديلوجية الوسطية: د. نصر حامد أبو زيد: ٢٢- ٤٧، ٨٩- ١١٧، مكتبة مدبولي: القاهرة.

(٢) حقيقة محمود محمد طه: أو الرسالة الكاذبة: محمد نجيب المطيعي: ٢٩، ٦٤- ٦٩، ١٥٠- ١٥٥، موقف الجمهوريين من السنة النبوية: د. شوقي بشير: ٨- ١٥، ٣٦- ٣٧، ٤٨- ٥٢، سلسلة دعوة الحق، العدد (٧١)، (١٤٠٨هـ، ١٩٨٧م)، رابطة العالم الإسلامي: مكة، الفكر الجمهوري تحت المجهر: النور محمد أحمد: ٢٠- ٢٣، دار جامعة أم درمان الإسلامية: السودان.

(٣) إعادة تقييم الحديث: العودة إلى القرآن: قاسم أحمد: ٨٢- ٩١، مكتبة مدبولي الصغير: القاهرة.

(٤) انظر للتوسع: القرآنيون وشبهاتهم حول السنة: خادم حسين إلهي بخش: ١٠٠- ١١١، دراسات في الحديث النبوي وتاريخ تدوينه: د. محمد مصطفى الأعظمي: ١/ ٢٨- ٢٩.

(٥) انظر للتوسع: جهود علماء إندونيسيا في السنة: داود رشيد هارون: ٦٦٨- ٦٨٢، رسالة دكتوراه، كلية دار العلوم، جامعة القاهرة.

(٦) دفع الشبهات عن الشيخ محمد الغزالي: د. أحمد حجازي السقا: ٩٢- ٩٣.

(٧) مجلة المنار: بحث الإسلام هو القرآن وحده: د. محمد توفيق صدقي: ٩/ ٥١٦- ٥١٧، ٥٢٥، (١٣٢٤هـ، ١٩٠٦م).

(٨) أضواء على السنة المحمدية: محمود أبو رية: ١٢.

أمين[١]، وجمال البنا[٢]، وعبد المتعال الصعيدي[٣]، والسيد صالح أبو بكر[٤]، ود. إسماعيل منصور[٥]، وخليل عبد الكريم[٦]، ود. حسن حنفي[٧]، ود. محمود إسماعيل[٨]، وإبراهيم فوزي[٩]، والمستشار محمد سعيد العشماوي[١٠]، ومحمد سعيد عبد اللطيف مشتهري[١١]، ود. السيد رزق الطويل[١٢]، وأحمد فوزي[١٣]، وعبد الجواد ياسين[١٤]، ورشاد سلام[١٥]، ود. المهندس محمد شحرور[١٦]، ود. عبد الرزاق عيد[١٧]، وسليم الجابي[١٨]، وجواد موسى محمد عفانة[١٩].

---

(١) فجر الإسلام: أحمد أمين: ٣٣٠- ٣٤٦.

(٢) نحو فقه جديد: جمال البنا: ٢/ ٢٤٥- ٢٦٦.

(٣) القرآنيون وشبهاتهم حول السنة: خادم حسين إلهي بخش: ٢٠٢، مناهج الاستدلال على مسائل العقيدة الإسلامية بمصر في العصر الحديث: أحمد قوشتي عبد الرحيم: ١١٩،

(٤) السنة بين أنصارها وخصومها: د. سعد المرصفي: ٢/ ٧٩٣- ٧٩٧، رسالة دكتوراه، كلية أصول الدين، جامعة الأزهر: القاهرة، العصرانيون بين مزاعم التجديد وميادين التغريب: محمد حامد الناصر: ١٤٢.

(٥) تبصير الأمة بحقيقة السنة: د. إسماعيل منصور: ١/ ٩٩- ١٠٣.

(٦) الأسس الفكرية لليسار الإسلامي: خليل عبد الكريم: ١٠- ٢١، ١٠١، سلسلة كتاب الأهالي، العدد (٥١)، القاهرة، شدو الربابة بأحوال مجتمع الصحابة: ١/ ٧-٢٤، سينا للنشر: القاهرة.

(٧) من العقيدة إلى الثورة: د. حسن حنفي: ٤/ ٢٥١، دار التنوير: بيروت، الدين والثقافة والسياسة في الوطن العربي: د. حسن حنفي: ٣٨٩- ٤٠٠، دار قباء: القاهرة.

(٨) سوسيولوجيا الفكر الإسلامي: د. محمود إسماعيل: ٢/ ٧٥- ٧٩، سينا للنشر: القاهرة.

(٩) تدوين السنة: إبراهيم فوزي: ٣٧٥، رياض الريس للنشر: لندن.

(١٠) حقيقة الحجاب وحجية الحديث: محمد سعيد العشماوي: ١١٩- ١٢١، مؤسسة روز اليوسف: القاهرة.

(١١) شبهات وشطحات منكري السنة: أبو إسلام أحمد عبد الله: ٢٤٢- ٢٥٣، بيت الحكمة: القاهرة.

(١٢) دفع الشبهات عن الشيخ محمد الغزالي: د. أحمد حجازي السقا: ٨٤.

(١٣) القرآنيون وشبهاتهم حول السنة: خادم حسين إلهي بخش: ٢٠١.

(١٤) السلطة في الإسلام: عبد الجواد ياسين: ٢٤٦.

(١٥) تطبيق الشريعة بين القبول والرفض: رشاد سلام: ٩٢- ١٠٧، سينا للنشر: القاهرة.

(١٦) الكتاب والقرآن قراءة معاصرة: د. محمد شحرور: ٣٨- ٣٩، ٥٥٥- ٥٧٢.

(١٧) سدنة هياكل الوهم: نقد العقل الفقهي: البوطي نموذجاً: د. عبد الرزاق عيد: ٢٩- ٣٤.

(١٨) منهجية القرآن الكريم وأصول تفسيره: سليم الجابي: ١/ ١٣- ١٤.

(١٩) صحيح صحيح البخاري: جواد موسى محمد عفانة: ١- ٤، طبع جمعية عمال المطابع التعاونية: عمان.

ثالثاً: سمات أصحاب الاتجاه المنحرف في إنكار السنة النبوية كلياً أو جزئياً:

إن ظاهرة التشكيك في السنة تبقى ظاهرة نادرة وقليلة، وغير متفشية في المجتمع الإسلامي، وهاهي صفاتهم:

١- أكثرهم ليسوا من علماء الإسلام: فليس هناك عالم من علماء الإسلام ينكر السنة، وإنما هم جميعاً يعرفون قدرها، ويعملون بها، أما منكرو السنة فإنهم ليسوا من علماء الإسلام؛ فترى منهم المهندس، والطبيب، والأديب، والاقتصادي، والصحفي، والقانوني، والعسكري . . . وباحترام التخصص فهؤلاء لا قيمة لرأيهم؛ بل الأحرى بهم أن لا يكتبوا في السنة، فإن كل علم يؤخذ من أهله، يعرف ذلك كل عاقل، وإن أنظمة الدنيا لا تسمح بفتح عيادة لأستاذ في الهندسة، ولا طبيب بتولي القضاء، فكيف إذاً يكتب هؤلاء في السنة، أليست هذه الظاهرة من باب عجز هؤلاء عن الإبداع في ميادين اختصاصاتهم؟! أم هو الابتداع في الدين؛ لأنه الكلأ المباح الذي لا حامي له؟!.

٢- كتاباتهم فيها تلبيس على غير المتخصص في السنة: فيوهمون القارئ بأنهم سيتبعون الأسلوب العلمي، والفكر الحر، والنزاهة، وتحرير المسائل، وما إلى ذلك من التلاعب بالألفاظ، والتي توهم القارئ أنهم سيحققون في المسائل تحقيقاً لم يسبقهم إليه أحد.

٣- شبهاتهم مزورة: فهؤلاء منكرو السنة من المعاصرين أخذوا أقوال أعداء الإسلام السابقين، أو من المستشرقين، وراحوا يرددونها على أنها من عند أنفسهم، واعتمدوا على شبهاتهم من مصادر فرق أخرى كالمعتزلة والشيعة، أو من كتب الأدب.

٤- افتراءاتهم لا تنطلي إلا على السذج: وافتراءات أعداء السنة هزيلة، تزول بقراءة موضوعها في كتب السنة، شأنها شأن الافتراءات على الإسلام عموماً؛ فإنها لا تقبل إلا عند من ليست عنده دراية، ولا فطانة.

٥- منهجهم مختل: حيث يطلبون الشيء من غير بابه، يدرسون الإسلام من كتب أعداء الإسلام، وتجد فكر الواحد منهم في أول الكتاب يختلف عنه في آخر

الكتاب، فمن أقوالهم مثلاً: هذا خاص بنساء النبي ﷺ، ولا دليل لهم على الخصوصية، ويخصصون آية بدون مخصص، وهكذا[١].

المطلب الثاني: شبهات أصحاب الاتجاه المنحرف في عدم حجية السنة ورد العلماء عليها:

استدل هؤلاء الناس على شبهتهم بآيات من القرآن الكريم، وببعض الأحاديث، والمعقول، وسوف نذكر كل شبهة ونرد عليها:

أولاً: شبهات أصحاب الاتجاه المنحرف في القرآن الكريم:

يستدل هؤلاء الناس على باطلهم بالاكتفاء بالقرآن وحده بدون السنة؛ زاعمين أن الله تعالى لم يتكفل بحفظها؛ بآيات من الذكر الحكيم، واستدلوا بهذه الآيات:

١- قول الله تعالى: ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا طَٰٓئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم مَّا فَرَّطْنَا فِي ٱلْكِتَٰبِ مِن شَيْءٍ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ ﴿٣٨﴾﴾ [الأنعام: ٣٨].

وقد استدل بهذه الآية: د. محمد رشاد خليفة[٢]، ومحمد نجيب[٣]، ود. أحمد صبحي منصور[٤]، وقاسم أحمد[٥]، ود. محمد توفيق صدقي[٦]، ومحمود أبو رية[٧]، وجمال البنا[٨].

---

(١) دفع الشبهات عن السنة النبوية: د. عبد المهدي عبد القادر عبد الهادي: ٢٥- ٣١، مناهج الاستدلال على مسائل العقيدة الإسلامية بمصر في العصر الحديث: أحمد قوشتي عبد الرحيم: ١٢٠- ١٢٢، بحث مراجعات كتاب نحو فقه جديد: السنة ودورها في الفقه الجديد لجمال البنا: نعمان جغيم: ٢٣٠، مجلة التجديد، العدد (٥)، (١٤١٩هـ، ١٩٩٩م)، الجامعة الإسلامية العالمية: ماليزيا.

(٢) المؤتمر العالمي الرابع للسيرة والسنة النبوية والمؤتمر العاشر لمجمع البحوث الإسلامية: مشيخة الأزهر الشريف، بحث القرآن والحديث والإسلام في كتاب للبهائية الجديدة: د. عائشة عبد الرحمن بنت الشاطئ: ٢/ ٥٥١.

(٣) الصلاة: محمد نجيب: ٧، ٢٣.

(٤) لماذا القرآن؟: د. أحمد صبحي منصور: ١٨.

(٥) إعادة تقييم الحديث: العودة إلى القرآن: قاسم أحمد: ٨٦.

(٦) مجلة المنار: بحث الإسلام هو القرآن وحده: د. محمد توفيق صدقي: ٩/ ٥١٦، (١٣٢٤هـ، ١٩٠٦م).

(٧) أضواء على السنة المحمدية: محمود أبو رية: ١٣، ٣٧٧.

(٨) نحو فقه جديد: جمال البنا: ٢/ ٣٣.

٢- قول الله تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾ [النحل: ٨٩].

استدل بهذه الآية: محمد نجيب[١]، ود. مصطفى كمال المهدوي[٢]، ود. أحمد صبحي منصور[٣]، ومحمود أبو رية[٤]، وجمال البنا[٥].

٣- قول الله تعالى: ﴿أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْتَغِى حَكَمًا وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ إِلَيْكُمُ ٱلْكِتَٰبَ مُفَصَّلًا﴾ [الأنعام: ١١٤].

استدل بهذه الآية: د. محمد رشاد خليفة[٦]، وقاسم أحمد[٧]، ود. أحمد صبحي منصور[٨].

وخلاصة استدلالهم بهذه الآيات الثلاث: هو أن الكتاب قد حوى كل شيء من أمور الدين، وكل حكم من أحكامه، وأنه البيان والتفصيل؛ بحيث لا يحتاج إلى شيء آخر كالسنة، وإلا كان الكتاب مفرطاً فيه، ولما كان تبياناً وتفصيلاً لكل شيء، فيلزم الخلف في خبره وهو محال.

٤- قول الله تعالى: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا﴾ [الأنعام: ١١٥].

استدل بهذه الآية: د. محمد رشاد خليفة[٩]، ود. أحمد صبحي منصور[١٠]،

---

(١) الصلاة: محمد نجيب: ٧، ٢٣.
(٢) البرهان من السنة والقرآن في الرد على صاحب البيان: رمضان جمعة البركي: ١/ ٤٢.
(٣) لماذا القرآن؟: د. أحمد صبحي منصور: ١٨.
(٤) أضواء على السنة المحمدية: محمود أبو رية: ٣٧٧.
(٥) نحو فقه جديد: جمال البنا: ٢/ ٣٣.
(٦) المؤتمر العالمي الرابع للسيرة والسنة النبوية والمؤتمر العاشر لمجمع البحوث الإسلامية: مشيخة الأزهر الشريف، بحث القرآن والحديث والإسلام في كتاب للبهائية الجديدة: د. عائشة عبد الرحمن بنت الشاطئ: ٢/ ٥٥١.
(٧) إعادة تقييم الحديث: العودة إلى القرآن: قاسم أحمد: ٩٠.
(٨) مسيلمة في مسجد توسان: الظهور الجديد وراء المحيطات: د. طه الدسوقي حبيشي: ٢٤٧، ٢٥٣.
(٩) المؤتمر العالمي الرابع للسيرة والسنة النبوية والمؤتمر العاشر لمجمع البحوث الإسلامية: مشيخة الأزهر الشريف، بحث القرآن والحديث والإسلام في كتاب للبهائية الجديدة: د. عائشة عبد الرحمن بنت الشاطئ: ٢/ ٥٥١.
(١٠) لماذا القرآن؟: د. أحمد صبحي منصور: ٢٤.

وقاسم أحمد[١]، على أن إتمام كلمة الله لنا بالقرآن الكريم؛ ولا مبدل لكلمة الله[٢].

٥- قول الله تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣].

استدل بهذه الآية: محمد نجيب[٣]، ود.أحمد صبحي منصور[٤]، ومحمود أبو رية[٥]، على أن نعمة الله تمت علينا بالإسلام الذي ارتضاه لنا ديناً؛ وذلك باكتمال وحي القرآن، وليس ممكناً بعد هذه الآية أن يقال إن كتب الحديث تكمل نقصاً في القرآن، فتعالى الله العزيز الحكيم أن ينزل لنا كتاباً يحتاج للبشر في استكماله[٦].

٦- قول الله تعالى: ﴿قُلْ أَىُّ شَىْءٍ أَكْبَرُ شَهَٰدَةً قُلِ ٱللَّهُ شَهِيدٌۢ بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ وَأُوحِىَ إِلَىَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَ﴾ [الأنعام: ١٩].

استدل بهذه الآية: د.محمد رشاد خليفة[٧]، ود.أحمد صبحي منصور[٨]، ود.إسماعيل منصور[٩]، الآية تقطع بأن الموحى به هو القرآن الكريم وحده دون خلاف؛ فاكتمل بذلك البيان القاطع بأن الرسول ﷺ قد اقتصرت هدايته للمسلمين على تلاوة القرآن الكريم، وهذا هو أساس الدين، وأصل التشريع، والمنهاج الحق، والدستور القويم، وليس سواه من شيء بعد ذلك[١٠].

٧- قول الله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِٱلْكِتَٰبِ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُصْلِحِينَ ﴿١٧٠﴾﴾ [الأعراف: ١٧٠].

---

(١) إعادة تقييم الحديث: العودة إلى القرآن: قاسم أحمد: ٨٦.
(٢) لماذا القرآن؟: د.أحمد صبحي منصور: ٢٤.
(٣) الصلاة: محمد نجيب: ٧، ٢٣.
(٤) لماذا القرآن؟: د.أحمد صبحي منصور: ٢٤، ٦٥.
(٥) أضواء على السنة المحمدية: محمود أبو رية: ١٣، ٣٧٧.
(٦) لماذا القرآن؟: د.أحمد صبحي منصور: ٢٤، ٦٥.
(٧) المؤتمر العالمي الرابع للسيرة والسنة النبوية والمؤتمر العاشر لمجمع البحوث الإسلامية: مشيخة الأزهر الشريف، بحث القرآن والحديث والإسلام في كتاب للبهائية الجديدة: د.عائشة عبد الرحمن بنت الشاطئ: ٢/ ٥٥٠.
(٨) مسيلمة في مسجد توسان: الظهور الجديد وراء المحيطات: د.طه الدسوقي حبيشي: ٢٤٩.
(٩) تبصير الأمة بحقيقة السنة: د.إسماعيل منصور: ١/ ١١.
(١٠) تبصير الأمة بحقيقة السنة: د.إسماعيل منصور: ١/ ١٠- ١١.

استدل بهذه الآية: د.إسماعيل منصور على أن القرآن هو منهاج الإصلاح في الأمة إلى يوم الدين، فأين وجوب الالتزام فيه بغير القرآن الكريم؟ وأين دليل القائلين وهماً بوجود تشريع مستقل آخر للسنة مع تشريع القرآن العظيم؟[١].

٨- قول الله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَىٰ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٥١﴾﴾ [العنكبوت: ٥١].

استدل بهذه الآية: محمد نجيب[٢]، ود.أحمد صبحي منصور[٣]، ود.إسماعيل منصور[٤]، على أن الآية تدل على كفاية الكتاب الكريم لغير المسلمين كدليل باق على صدق نبوته ﷺ وحقيقة الدين الخاتم، وللمسلمين أيضاً كرحمة شاملة لكل ما يحتاجونه إليه في دنياهم وأخراهم، وذكرى دائمة متجددة لهم ينتفع منها؛ويكتفى بها سائر المؤمنين، وهل يمكن لمسلم عاقل أن يزعم أن هداية القرآن الكريم هداية ناقصة تحتاج إلى ما يكملها؟[٥].

٩- قول الله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴿٩﴾﴾ [الحجر: ٩]. واستدل بهذه الآية المنحرفون على أن الله تكفل بحفظ القرآن دون السنة، ولو كانت دليلاً وحجة كالقرآن لتكفل الله بحفظها، وهذا ما قال به: د.محمد رشاد خليفة[٦]، ومحمد نجيب[٧]، ود.أحمد صبحي منصور[٨]، ود.إسماعيل منصور[٩]، وجمال البنا[١٠].

---

(١) تبصير الأمة بحقيقة السنة: د.إسماعيل منصور: ١/ ١٥- ١٦.
(٢) الصلاة: محمد نجيب: ٢٢- ٢٣.
(٣) لماذا القرآن؟: د.أحمد صبحي منصور: ١٠، ٢٤.
(٤) تبصير الأمة بحقيقة السنة: د.إسماعيل منصور: ١/ ١٠.
(٥) تبصير الأمة بحقيقة السنة: د.إسماعيل منصور: ١/ ١٠.
(٦) المؤتمر العالمي الرابع للسيرة والسنة النبوية والمؤتمر العاشر لمجمع البحوث الإسلامية: مشيخة الأزهر الشريف، بحث القرآن والحديث والإسلام في كتاب للبهائية الجديدة: د.عائشة عبد الرحمن بنت الشاطئ: ٢/ ٥٥١.
(٧) الصلاة: محمد نجيب: ١١.
(٨) لماذا القرآن؟: د.أحمد صبحي منصور: ١١.
(٩) تبصير الأمة بحقيقة السنة: د.إسماعيل منصور: ١/ ٢٣.
(١٠) نحو فقه جديد: جمال البنا: ٢/ ٣٣.

الرد على شبهتهم التي استدلوا بها من القرآن الكريم بما يلي:

١- هذه الشبهة تدور حول هذه الآيات من القرآن الكريم التي تبين أن القرآن تام، وحوى كل شيء، كما في قوله تعالى: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا﴾ [الأنعام: ١١٥]، والله عز وجل ما فرط في الكتاب من شيء، كما في قوله تعالى: ﴿مَّا فَرَّطْنَا فِي ٱلْكِتَٰبِ مِن شَىْءٍ﴾ [الأنعام: ٣٨]، فأتى بالعام ثم فصله تفصيلاً، كما في قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ إِلَيْكُمُ ٱلْكِتَٰبَ مُفَصَّلًا﴾ [الأنعام: ١١٤]، وأتى بالمجمل ثم بينه للناس تبييناً تاماً، كما في قوله تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ﴾ [النحل: ٨٩]، فهو لا يحتاج بعد هذا التبيان إلى شيء آخر، ولو احتاج إلى شيء آخر لكان القرآن غير صادق فيما قال، وهذا أمر مستحيل على الله تعالى، وهو مستحيل على كلامه.

هذه هي ناصية الشبهة الأولى وجماعها، وهم يذكرون لها حشداً عظيماً من الآيات التي تؤيدها؛ سواء كان الدليل في موضوعه؛ مثل الآيات التي ذكرناها قبل قليل، أم في غير موضوعه، كما في باقي الآيات: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ [المائدة: ٣]، وقوله: ﴿وَأُوحِىَ إِلَىَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَ﴾ [الأنعام: ١٩]، وقوله: ﴿وَٱلَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِٱلْكِتَٰبِ﴾ [الأعراف: ١٧٠]، وقوله: ﴿أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ﴾ [العنكبوت: ٥١].

فهؤلاء الناس يفتحون المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، وينقلون منه المادة بتمامها، ويضعون أمام كل آية جملة تلائمها، ولا يهمهم بعد ذلك أبقيت وحدة الموضوع بين أيديهم أم لم تبق[(١)].

٢- أن المراد من الكتاب في قوله تعالى: ﴿مَّا فَرَّطْنَا فِي ٱلْكِتَٰبِ مِن شَىْءٍ﴾ [الأنعام: ٣٨]، ليس القرآن؛ بل المراد به: اللوح المحفوظ، فإنه الذي حوى كل شيء، واشتمل على جميع أحوال المخلوقات كبيرها وصغيرها، جليلها ودقيقها، ماضيها وحاضرها ومستقبلها، على التفصيل التام، وهذا المناسب لذكر هذه

(١) السنة في مواجهة أعدائها: د. طه الدسوقي حبيشي: ٦٣، مكتبة رشوان: القاهرة.

الجملة عقب قوله: ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا طَٰٓئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم﴾ [الأنعام: ٣٨]، والمراد بالمثلية هنا: أن أحوال الدواب من العمر والرزق والأجل والسعادة والشقاء، موجودة في اللوح المحفوظ مثل أحوال البشر في ذلك كله.

٣- لا يمكن حمل الآيات التي استدلوا بها على إنكار السنة على الظاهر من العموم، وأن القرآن اشتمل على بيان وتفصيل كل شيء، وكل حكم؛ سواء أكان ذلك من أمور الدين أم من أمور الدنيا؛ وأنه لم يفرط في شيء منها جميعاً، وإلا للزم الخلف في خبره تعالى؛ كما هو ظاهر بالنسبة للأمور الدنيوية، وكما يعلم أن القرآن يتعذر العمل به وحده بالنسبة للأحكام الدينية، فيجب العدول عن هذا الظاهر وتأويلهما[١].

٤- وهذه الآيات التي ظاهرها العموم؛ مخصصة بقوله تعالى: ﴿وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ ٱلَّذِى ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٦٤﴾﴾ [النحل: ٦٤]، والذي يجعلنا نذهب إلى تخصيص هذا العام أمران:

أ - تتفق آيات القرآن ولا تتعارض في ظاهرها، فإن القرآن فيه الكثير من الآيات التي فوض الله نبيه في شرح أحكامها.

ب - إن كثيراً من الأمور الجزئية في حياة المجتمع تحتاج إلى حكم، وليس في القرآن إلا قواعده الكلية العامة[٢].

٥- إن القرآن الكريم قد حوى أصول الدين، وقواعد الأحكام العامة، ونص على بعضها بصراحة، وترك بيان بعضها لرسوله ﷺ، وما دام الله قد أرسل رسوله ﷺ ليبين للناس أحكام دينهم، وأوجب عليهم اتباعه، كان بيانه للأحكام بياناً للقرآن، ومن هنا كانت أحكام الشريعة من كتاب وسنة؛ وما يلحق بهما ويتفرع

(١) انظر للتوسع: حجية السنة: د. عبد الغني عبد الخالق: ٣٨٤- ٣٨٩، حجية السنة: د. الحسين شواط: ٣١٧، الجامعة الأمريكية المفتوحة: القاهرة.

(٢) حجية السنة: د. عبد الغني عبد الخالق: ٣٨٤- ٣٨٥.

عنهما من إجماع وقياس، أحكاماً من كتاب الله تعالى، إما نصاً وإما دلالة، فلا منافاة بين حجية السنة وبين أن يكون القرآن جاء تبياناً لكل شيء[١].

٦- لم تنزل بأحد نازلة إلا وفي كتاب الله الدليل على سبيل الهدى فيها، كما قال الله تعالى: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ﴾ [إبراهيم: ١]، وقوله: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [النحل: ٤٤] وقوله: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ﴾ [النحل: ٨٩]، والبيان اسم جامع لمعاني مجتمعة الأصول متشعبة الفروع، فجماع ما أبان الله لخلقه في كتابه مما تعبدهم به لما مضى من حكمه من وجوه:

أ ـ فمنها: ما أبانه لخلقه نصاً مثل جمل فرائضه؛ في أن عليهم صلاة وزكاة وصوماً وحجاً، وأنه حرَّم الفواحش ما ظهر منها وما بطن، ونص على تحريم الزنى والخمر وأكل الميتة والدم ولحم الخنزير، وبيّن لهم كيف فرض الوضوء مع غير ذلك مما تبين نصاً.

ب ـ ومنها: ما أحكم فرضه بكتابه، وبيّن كيف هو على لسان نبيه مثل: عدد الصلاة والزكاة ووقتها، وغير ذلك من فرائضه التي أنزل من كتابه.

ج ـ ومنها: ما سن رسول الله ﷺ مما ليس لله فيه نص حكم، وقد فرض الله في كتابه طاعة رسوله ﷺ، والانتهاء إلى حكمه، فمن قبل عن رسول الله ﷺ، فبفرض الله قبل.

د ـ ومنها: ما فرض الله على خلقه الاجتهاد في طلبه، وابتلى طاعتهم في الاجتهاد كما ابتلى طاعتهم في غيره مما فرض عليهم.

فكل من قَبِل عن الله فرائضه في كتابه قَبِل عن رسول الله ﷺ سننه؛ بفرض الله طاعة رسوله على خلقه، وأن ينتهوا إلى حكمه، ومن قَبِل عن رسول الله ﷺ فعن

---

(١) انظر للتوسع: السنة الإسلامية بين إثبات الفاهمين ورفض الجاهلين: د. رؤوف شلبي: ٢٠-٢٤.

الله قبل، لما افترض الله من طاعته، فيجمع القبول لما في كتاب الله؛ ولسنة رسول الله ﷺ؛ حيث لكل واحد منهما القبول عن الله، وإن تفرقت فروع الأسباب التي قُبلت بها عنهما[١].

٧- وأما الآيات الأخرى المقتصرة على الوصية بكتاب الله، فهذا جوابه كما قال ابن حجر: «الاقتصار على الوصية بكتاب الله؛ لكونه أعظم وأهم؛ ولأن فيه تبيان كل شيء إما بطريق النص، وإما بطريق الاستنباط، فإذا اتبع الناس ما في الكتاب عملوا بكل ما أمرهم النبي ﷺ به لقوله تعالى: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾ [الحشر: ٧]»[٢].

٨- وأما قوله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴿٩﴾﴾ [الحجر: ٩]، فللعلماء في ضمير الغيبة فيه قولان:

أ ـ أنه يرجع إلى النبي ﷺ فلا يصح التمسك بالآية حينئذ.

ب ـ أنه يرجع إلى الذكر، فإن فسرناه بالشريعة كلها من كتاب وسنة فلا تمسك بها أيضاً، وإن فسرناه بالقرآن فلا نسلم أن في الآية حصراً حقيقياً؛ أي بالنسبة لكل ما عدا القرآن، فإن الله تعالى قد حفظ أشياء كثيرة مما عداه؛ مثل حفظه النبي ﷺ من الكيد والقتل، وحفظه السموات والأرض من الزوال إلى أن تقوم الساعة، وهذا يقودنا إلى أن حفظ القرآن متوقف على حفظ السنة، ومستلزم له؛ لأنها تفصل مجمله، وتفسر مشكله، وتوضح مبهمه، وتقيد مطلقه، وتبسط مختصره، فحفظها من أسباب حفظه، وصيانتها صيانة له[٣].

٩- إن الله تعالى قد تكفل بحفظ السنة؛ لأن حفظ المبين يستلزم حفظ البيان إذ لا معنى للمبين بدون البيان كما في قوله تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ

---

(١) الرسالة: الشافعي: ٢٠- ٢٢، ٣٣.

(٢) فتح الباري بشرح صحيح البخاري: ابن حجر: ٥/ ٤٢٥- ٤٢٦.

(٣) انظر للتوسع: حجية السنة: د.عبد الغني عبد الخالق: ٣٩٠- ٣٩٢، السنة الإسلامية بين إثبات الفاهمين ورفض الجاهلين: د.رؤوف شلبي: ٢٥- ٣٣، السنة النبوية ومطاعن المبتدعة فيها: د.مكي الشامي: ١٢٩- ١٣٠، دار عمار: عمان.

مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾ [النحل: ٤٤]، ثم إن الله تكفل بحفظ السنة على وجه الأصالة والاستقلال لا على طريق اللزوم والتتبع، كما في قوله: ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْءَانَهُ ﴿١٧﴾ فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْءَانَهُ ﴿١٨﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ ﴿١٩﴾﴾ [القِيَامَة: ١٧-١٩][(١)].

ثانياً: شبهات أصحاب الاتجاه المنحرف في الأحاديث النبوية:

احتج بعض هؤلاء الناس على عدم حجية السنة بأحاديث ضعيفة، تدور في ظنهم على وجوب عرض كل ما يروى من أحاديث على كتاب الله تعالى ومقارنتها به، فإن كانت توافق القرآن؛ فهي حجة يجب التمسك بها، والعمل بمقتضاها، وإن كانت تخالف القرآن ولو مخالفة ظاهرية يمكن الجمع بينهما؛ فهي باطلة مردودة؛ لم يقلها النبي ﷺ وليست من سنته، في حين استند البعض الآخر على قاعدة عرض السنة النبوية على كتاب الله تعالى نظرياً، وانطلق إلى التشكيك في حجية السنة، ولكن لم يستدل بأي من الأحاديث التي استدل بها الفريق الأول، أمثال: محمد نجيب[(٢)]، ود. أحمد صبحي منصور[(٣)]، وقاسم أحمد[(٤)]، ومحمود أبو رية[(٥)]، ود. إسماعيل منصور[(٦)]، ومن هذه الأحاديث التي استشهد بها الفريق الأول ما يلي:

---

(١) انظر للتوسع: المؤتمر العالمي الرابع للسيرة والسنة النبوية والمؤتمر العاشر لمجمع البحوث الإسلامية: مشيخة الأزهر الشريف، بحث حفظ السنة النبوية: د. محمد السيد ندا: ٢/ ٥٣١-٥٣٢، ندوة السنة النبوية ومنهجها في بناء المعرفة والحضارة: المجمع الملكي لبحوث الحضارة الإسلامية، بحث الشبهات حول السنة النبوية ودراسة منطلقات هذه الشبهة والرد عليها: الشيخ عز الدين الخطيب التميمي: ٢/ ٥٥٨- ٥٦١، السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي: د. مصطفى السباعي: ١٥٢، السنة النبوية في كتابات أعداء الإسلام: مناقشتها والرد عليها: د. عماد السيد الشربيني: ١/ ٢٠٣- ٢١٦.

(٢) الصلاة: محمد نجيب: ٢٧٨- ٢٧٩.

(٣) السنة النبوية في كتابات أعداء الإسلام: مناقشتها والرد عليها: د. عماد السيد الشربيني: ١/ ٢٢٣.

(٤) إعادة تقييم الحديث: العودة إلى القرآن: قاسم أحمد: ١٣٦.

(٥) أضواء على السنة المحمدية: محمود أبو رية: ١٣- ١٤.

(٦) تبصير الأمة بحقيقة السنة: د. إسماعيل منصور: ١/ ١٨- ٢٠.

الأول: ما روي أنه ﷺ دعا اليهود فسألهم فحدثوه؛ حتى كذبوا على عيسى عليه السلام، فصعد النبي ﷺ المنبر، فخطب الناس فقال: «**إن الحديث سيفشوا عني، فما أتاكم يوافق القرآن: فهو عني، وما أتاكم عني يخالف القرآن: فليس عني**».

ومن الذين استدلوا بهذا الحديث: د. محمد توفيق صدقي[(١)]، وأخذ به الشيعة[(٢)]، واحتج به أجناس جولدتسهير[(٣)]، حيث يقول د. محمد التيجاني السماوي: «العاقل المنصف يميل إلى هؤلاء الزنادقة والخوارج الذين يعظمون كتاب الله، ويجعلونه في المرتبة الأولى للتشريع، أحسن له من الميل إلى أهل السنة والجماعة الذين يقضون على كتاب الله بأحاديث مكذوبة، وينسخون أحكامه ببدع مزعومة»[(٤)].

الرد على هذه الشبهة بما يلي:

١- روي هذا الحديث من طرق كلها ضعيفة: عن علي[(٥)]، وأبي هريرة[(٦)]، وابن عمر، وثوبان[(٧)] رضي الله عنهم.

---

(١) مجلة المنار: بحث الإسلام هو القرآن وحده: د. محمد توفيق صدقي: ٩/ ٥٢٣، (١٣٢٤هـ، ١٩٠٦م)،

(٢) الشيعة هم أهل السنة: د. محمد التيجاني السماوي: ٢٥١- ٢٥٢، شركة شمس المشرق: بيروت.

(٣) العقيدة والشريعة في الإسلام: أجناس جولدتسهير: ٥٤- ٥٥.

(٤) الشيعة هم أهل السنة: د. محمد التيجاني السماوي: ٢٥٢.

(٥) رواه الدارقطني في سننه في كتاب: في الأقضية والأحكام، باب: كتاب عمر إلى أبي موسى الأشعري، (الحديث: ٢٠): ٤/ ٢٠٨، وقال الدارقطني: " هذا وهم؛ والصواب عن عاصم، عن زيد، عن علي بن الحسين مرسلاً، عن النبي ﷺ " وقال العظيم آبادي في التعليق المغني على الدارقطني، مطبوع مع السنن: ٤/ ٢٠٨- ٢٠٩، " الحديث فيه جبارة بن المغلس ضعفه ابن معين، وقال البخاري: مضطرب الحديث، وقال السخاوي: وقد سئل ابن حجر عن هذا الحديث فقال: إنه جاء من طرق لا تخلو عن مقال "، وانظر: ترجمة جبارة بن المغلس في المجروحون من المحدثين والضعفاء والمتروكين: ابن حبان: ١/ ٢٢١.

(٦) رواه الدارقطني في سننه في كتاب: في الأقضية والأحكام، باب: كتاب عمر إلى أبي موسى الأشعري، (الحديث: ١٧): ٤/ ٢٠٨، وقال الدارقطني: «فيه صالح بن موسى ضعيف لا يحتج فيه».

(٧) حديثا ابن عمر وثوبان رضي الله عنهما رواهما الطبراني في المعجم الكبير، (الحديث: ١٣٢٢٤): ١٢/ ٣١٦، وقال الحافظ الهيثمي في مجمع الزوائد ومنبع الفوائد: ١/ ١٧٠، «حديث ابن =

٢- وقد أكد كثير من العلماء الضعف الشديد للحديث، وأحياناً بطلانه بطرق أخرى، أمثال الإمام الشافعي(١)، والبيهقي(٢)، وابن عبد البر(٣)، والشوكاني(٤)، وغيرهم.

٣- وهذا ما ذهب إليه علماء الحديث المعاصرون إلى أن هذا الحديث لا وزن له عند نقاد الحديث وصيارفته؛ بسبب ضعفه، ويذهب بتسعة أعشار السنة التي تلقاها العلماء بالقبول في جميع الأعصار الأمصار(٥)، ولا يصلح للاحتجاج أو الاستشهاد به(٦)، وأنه باطل منكر جداً(٧).

الثاني: قوله ﷺ: **«إني والله لا يمسك الناس علي بشيء إلا أني لا أحل إلا ما أحل الله في كتابه، ولا أحرم إلا ما حرم الله في كتابه»، وفي رواية: «لا يمسكن الناس علي بشيء، وإني لا أحل لهم إلا ما أحل الله لهم، ولا أحرم عليهم إلا ما حرم الله»**.

واستدل بهذا الحديث: محمود أبو رية(٨)، وأ. جمال البنا(٩)، حيث إنه ليس هناك غضاضة في الاحتكام إلى كتاب الله تعالى؛ وهو الحق أنه المعيار الوحيد

= عمر رضي الله عنه فيه أبو حاضر عبد الملك بن عبد ربه، وهو منكر الحديث، وحديث ثوبان فيه يزيد بن ربيعة وهو متروك ومنكر الحديث».

(١) الرسالة: الشافعي: ٢٢٥.

(٢) دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة: أحمد بن الحسين البيهقي: ١/ ٢٧، دار الكتب العلمية: بيروت.

(٣) جامع بيان العلم وفضله وما ينبغي في روايته وحمله: ابن عبد البر: ٢/ ٢٣٣، المكتبة السلفية: المدينة المنورة.

(٤) الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة: محمد بن علي الشوكاني: ٢٩١، مطبعة السنة المحمدية: القاهرة.

(٥) الحديث والمحدثون: الشيخ محمد محمد أبو زهو: ٢١١.

(٦) انظر: هامش كتاب الرسالة للشافعي: الشيخ أحمد شاكر: ٢٢٤.

(٧) هامش تنزيه الشريعة المرفوعة عن الأخبار الشنيعة الموضوعة لابن عراق: الشيخ عبد الوهاب عبد اللطيف: ١/ ٢٦٥، دار الكتب العلمية: بيروت.

(٨) أضواء على السنة المحمدية: محمود أبو رية: ٢٥.

(٩) نحو فقه جديد: جمال البنا: ٢/ ٢٤٦.

الذي ليس فحسب يمكن الالتجاء إليه؛ بل هو الوحيد الذي يهدينا سواء السبيل، والتطبيق العملي لهذا المبدأ سيقضي باستبعاد آلاف الأحاديث[١].

الرد على هذه الشبهة بما يلي:

١- الحديث ضعيف فقد رواه الشافعي[٢] وقال: «وهذا معنى قول النبي ﷺ إن كان قاله، وكذلك صنع رسول الله ﷺ، وافترض عليه أن يتبع ما أوحي إليه، ونشهد أن قد اتبعه ﷺ، فما لم يكن فيه وحي فقد فرض الله عز وجل في الوحي اتباع سنته، فمن قبل عنه فإنما قبل بفرض الله عز وجل، قال الله تبارك وتعالى: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾ [الحشر: ٧]».

٢- ورواه البيهقي[٣] وقال: «وقوله في الحديث: «في كتابه» إن صحت هذه اللفظة؛ فإنما أراد فيما أوحي إليه، ثم ما أوحي إليه نوعان: أحدهما، وحي يتلى، والآخر، وحي لا يتلى»[٤].

٣- ورواه ابن حزم مرسلاً وقال: «إلا أن معناه صحيح؛ لأنه ﷺ إنما أخبر في هذا الخبر بأنه لم يقل شيئاً من عند نفسه بغير وحي من الله تعالى به إليه، وأحال بذلك على قول الله تعالى في كتابه: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ۝٤﴾ [النجم: ٣-٤]، فنص كتاب الله تعالى يقضي بأن كل ما قاله فهو عن الله تعالى»[٥].

٤- وأما رواية: «**لا يمسكن الناس علي بشيء . . .**» فهي ضعيفة أيضاً؛ فقد رواها الشافعي وقال: «هذه منقطعة»[٦].

---

(١) نحو فقه جديد: جمال البنا: ٢/ ٢٤٨.

(٢) انظر: الأم: الشافعي: كتاب: جماع العلم، باب: الصوم: ٩/ ٤٨، دار الوفاء: المنصورة.

(٣) انظر: السنن الكبرى: كتاب النكاح، باب: الدليل على أنه ﷺ لا يقتدى به، (الحديث: ١٣٤٣٩): ٧/ ١٢٠.

(٤) مفتاح الجنة في الاحتجاج بالسنة: جلال الدين السيوطي: ١٧٣، دار السلام: القاهرة.

(٥) الإحكام في أصول الأحكام: ابن حزم: ٢/ ٧٧.

(٦) انظر: السنن الكبرى: البيهقي: كتاب النكاح، باب: الدليل على أنه ﷺ لا يقتدى به، (الحديث: ١٣٤٤٠): ٧/ ١٢٠.

الثالث: ما رواه ثوبان رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ صائماً في غير رمضان، فأصابه غم آذاه، فتقيأ، فقاء، فدعاني بوضوء، فتوضأ، ثم أفطر، فقلت: يا رسول الله، أفريضة الوضوء من القيء؟ قال: «**لو كان فريضة لوجدته في القرآن**».

وقد استدل بهذا الحديث: د. محمد توفيق صدقي على إنكار السنة النبوية، وأن كل شيء موجود في كتاب الله تعالى؛ ويقول: «فهذا الحديث صح أو لم يصح؛ فالعقل يشهد له ويوافق عليه؛ وكان يجب أن يكون مبدأ للمسلمين لا يحيدون عنه»[(١)].

الرد على هذه الشبهة بما يلي:

الحديث ضعيف؛ فقد رواه الدارقطني وقال: «لم يروه عن الأوزاعي؛ غير عتبة ابن السكن، وهو منكر الحديث»[(٢)].

الرابع: ومن ذلك قوله ﷺ: «**السنة سنتان: سنة في فريضة، وسنة في غير فريضة، السنة التي في الفريضة؛ أصلها في كتاب الله أخذها هدى، وتركها ضلالة، والسنة التي أصلها في كتاب الله؛ الأخذ بها فضيلة، وتركها ليس بخطيئة**».

وقد استدل بهذا الحديث: أ. جمال البنا، حيث اعتبر أنه ليس هناك غضاضة في الاحتكام إلى كتاب الله تعالى؛ وهو الحق؛ والمعيار الوحيد الذي ليس فحسب يمكن الالتجاء إليه؛ بل هو الوحيد الذي يهدينا سواء السبيل، والتطبيق العملي لهذا المبدأ سيقضي باستبعاد آلاف الأحاديث[(٣)].

ونرد عليه بما يلي:

١- الحديث ضعيف؛ فقد رواه الدارمي مقطوعاً عن مكحول[(٤)]، ورواه

---

(١) مجلة المنار: بحث الإسلام هو القرآن وحده: د. محمد توفيق صدقي: ٩/ ٥١٥، (١٣٢٤هـ، ١٩٠٦م)،

(٢) رواه الدارقطني في سننه في كتاب: الطهارة، باب: في الوضوء من الخارج من البدن كالرعاف والقيء والحجامة ونحوه، (الحديث: ٤١): ١/ ١٥٩.

(٣) نحو فقه جديد: جمال البنا: ٢/ ٢٤٦، ٢٤٨.

(٤) رواه الدارمي في سننه في المقدمة، باب: السنة قاضية على كتاب الله، (الحديث: ٥٨٩): ١/ ٩٦.

الطبراني[١] عن أبي هريرة رضي الله عنه ، وفيه عبد الله بن أبي رومان ضعفه غير واحد، ووهاه، وقال الذهبي: «روى خبراً كذباً»[٢]، وهذا ما أكده ابن حجر[٣].

٢- والحديث على فرض صحته فلا حجة فيه بما استدل به على إنكار السنة أو بعضها؛ لأن الحديث إنما يشير إلى السنة بمعناها عند علماء أصول الفقه: «هي ما أثر عن النبي ﷺ من قول أو فعل أو تقرير مما يصلح أن يكون دليلاً لحكم شرعي، وزاد بعض الأصوليين: الكتابة، والإشارة المفهمة، كما زاد الشافعية على ما ذكر من أقسام السنة، ما هم النبي ﷺ بفعله ولم يفعله؛ لأنه ﷺ لا يهم إلا بحق محبوب مطلوب شرعاً؛ لأنه مبعوث لبيان الشرعيات»[٤]، وعلى ذلك يكون تعريف السنة هو: «كل ما صدر عن النبي ﷺ من قول، أو فعل، أو تقرير، أو ترك، أو كتابة، أو إشارة مفهمة، أو هم مصحوب بالقرائن، أو غير ذلك مما يثبت الأحكام ويقررها، مما لم ينطق به الكتاب العزيز»[٥].

والسنة بهذا المعنى تعتريها الأحكام الخمسة: الفرض، والمندوب، والحرام، والمكروه، والمباح[٦].

---

(١) رواه الطبراني في المعجم الأوسط، (الحديث: ٤٠٢٣): ٥/ ١٨- ١٩، وقال الطبراني: " لم يرو هذا الحديث عن محمد إلا عيسى، تفرد به عبد الله"، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد ومنبع الفوائد: ١/ ١٧٢، " لم يروه عن أبي سلمة إلا عيسى بن واقد، تفرد به عبد الله بن أبي رومان، ولم أر من ترجمه".

(٢) انظر: ميزان الاعتدال في نقد الرجال: الذهبي: ٢/ ٤٢٢.

(٣) انظر: لسان الميزان: ابن حجر: ٣/ ٢٨٦.

(٤) انظر: شرح الكوكب المنير: ابن النجار الحنبلي: ٢/ ١٦٠- ١٦٦، تشنيف المسامع بجمع الجوامع: الزركشي: ٢/ ٨٩٩.

(٥) منزلة السنة من الكتاب وأثرها في الفروع الفقهية: محمد سعيد منصور: ٨٢.

(٦) انظر للتوسع: السنة النبوية في كتابات أعداء الإسلام: مناقشتها والرد عليها: د.عماد السيد الشربيني: ١/ ٢٣٠- ٢٣٩.

ثالثاً: شبهة أصحاب الاتجاه المنحرف في المعقول:

لم يكتف هؤلاء الناس بعرض السنة النبوية على القرآن الكريم للحكم عليها قبولاً أو رفضاً، وإنما سلكوا مسلكاً آخر في الحكم عليها؛ والتشكيك فيها بعرضها على العقل، فما وافقه قبل ولو كان آحاداً صح أو لم يصح، وما لم يوافقه ردوه ولو كان متواتراً صحيحاً.

وقد قال بهذه الشبهة: د.نصر حامد أبو زيد[١]، وقاسم أحمد[٢]، والمستشار محمد سعيد العشماوي[٣]، ود.حسن حنفي[٤]، ود. المهندس محمد شحرور[٥]، ود.عبد الرزاق عيد[٦]، ود.محمد توفيق صدقي[٧]، ومحمود أبو رية[٨]، وجمال البنا[٩]، ود.إسماعيل منصور[١٠]، وغيرهم، وهذا ما نادى به المستشرقون حديثاً[١١].

الرد على شبهتهم التي استدلوا بها على عرض السنة على العقل بما يلي:

١- ينبغي علينا أن نقبل السنة النبوية كما أوردها النبي ﷺ تامة وإلا خسرت قيمتها، ومن سوء الفهم الأساسي للسنة أن نظنها تخضع للاختيار الشخصي، وتلك دعوى نشأت من الخطأ الشائع في فهم الفلسفة العقلية، وهناك شقة

---

(١) نقد الخطاب الديني: د.نصر حامد أبو زيد: ١٠١، ١٠٣، ١٣١- ١٣٢، مكتبة مدبولي: القاهرة.

(٢) إعادة تقييم الحديث: العودة إلى القرآن: قاسم أحمد: ٥٩.

(٣) حقيقة الحجاب وحجية الحديث: محمد سعيد العشماوي: ١٠٥- ١٠٧.

(٤) من العقيدة إلى الثورة: د.حسن حنفي: ٤/ ٢٤٩.

(٥) الكتاب والقرآن قراءة معاصرة: د.محمد شحرور: ٧٢٦- ٧٢٩.

(٦) سدنة هياكل الوهم: نقد العقل الفقهي: البوطي نموذجاً: د.عبد الرزاق عيد: ٣٢.

(٧) مجلة المنار: بحث الإسلام هو القرآن وحده: د.محمد توفيق صدقي: ٩/ ٥١٥، (١٣٢٤هـ، ١٩٠٦م)،

(٨) أضواء على السنة المحمدية: محمود أبو رية: ١٩٤، ٣٨٠.

(٩) نحو فقه جديد: جمال البنا: ٢/ ٨٥.

(١٠) تبصير الأمة بحقيقة السنة: د.إسماعيل منصور: ١/ ٦٥٩.

(١١) السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي: د.مصطفى السباعي: ٤٤.

واسعة بين العقل وبين الفلسفة العقلية كما يفهمها عادة بعضهم اليوم، إن العقل يعرف حدوده الخاصة به؛ ولكن الفلسفة العقلية تتخطى المعقول في ادعائها حصر العالم بجميع خفاياه في نطاقها الفردي الضيق، وهي لا تكاد تسلّم في الأمور الدينية بأنه من الممكن وجود أشياء لا يطيقها الفهم الإنساني في زمن ما، أو في كل زمن، مع أنها في الوقت نفسه تخالف المنطق إلى حد أنها تسلّم بهذا الإمكان للعلم[١].

٢ـ كثير من هؤلاء المنكرين للسنة لا يفرقون بين ما يرفضه العقل، وبين ما يستغربه، فيساوون بينهما في سرعة الإنكار والتكذيب، مع أن حكم العقل فيما يرفضه ناشئ من استحالته، وحكم العقل فيما يستغربه ناشئ من عدم القدرة على تصوره، وفرق كبير بين ما يستحيل وبين ما لا يدرك، وهذا ثابت بالاستقراء التاريخي، وتتبع التطور العلمي والفكري، فما كان مستحيلاً بالأمس أصبح اليوم واقعاً، والذين ينادون بتحكيم العقل بصحة الحديث أو تكذيبه، نراهم لا يفرقون بين المستحيل وبين المستغرب؛ فيبادرون للإنكار لما يبدو غريباً على عقولهم؛ وهذا تهور ناتج من اغترارهم بعقولهم من جهة، ومن اغترارهم بسلطان العقل، ومدى صحة حكمه فيما لا يقع تحت سلطانه من جهة أخرى[٢].

٣ـ لقد اعتنى المحدثون بالعقل في قبولهم للحديث وتصحيحه في أربعة مواطن وهي:

أ ـ مراعاة المحدثين للعقل في قبول الحديث ورده عند السماع: فالمحدثون إذا سمعوا خبراً تمتنع صحته أو تبعد لم يكتبوه ولم يحفظوه، فإن حفظوه لم يحدثوا به، فإن ظهرت مصلحة لذكره؛ ذكروه مع القدح فيه؛ وفي الراوي الذي عليه تبعته.

ب ـ مراعاة المحدثين للعقل في قبول الحديث ورده عند التحديث: لذلك شرط علماء الحديث في الراوي ليصح تحديثه العقل والبلوغ والعدالة والضبط[٣]، فأئمة

(١) الإسلام على مفترق الطرق: محمد أسد: ١٠٠- ١٠١، دار العلم للملايين: بيروت.
(٢) انظر للتوسع: السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي: د. مصطفى السباعي: ٤٦- ٥٢.
(٣) انظر للتوسع: شروط الراوي والرواية عند أصحاب السنن: دراسة تطبيقية: محمد عبد الرزاق أسود: ٣٧- ١٢٦، رسالة ماجستير، كلية دار العلوم: جامعة القاهرة.

الحديث بالمرصاد للرواة؛ فلا تكاد تجد حديثاً بيّن البطلان، إلا وجدت في سنده واحداً أو اثنين أو جماعة قد جرحهم الأئمة.

ج ـ مراعاة المحدثين للعقل عند الحكم على الرواة: وهذا يظهر كثيراً في كتب التراجم، فالأئمة كثيراً ما يجرحون الراوي بخبر واحد منكر جاء به؛ فضلاً عن خبرين أو أكثر، ويقولون للخبر الذي تمتنع صحته أو تبعد: منكر أو باطل، وتجد ذلك كثيراً في تراجم الضعفاء، وكتب العلل، والموضوعات، والمتثبتون لا يوثقون الراوي حتى يستعرضوا أحاديثه، وينقدوها حديثاً حديثاً.

د ـ مراعاة المحدثين للعقل عند الحكم على متون الأحاديث: فمن دلائل الوضع أن يخالف الحديث العقل؛ ولا يقبل تأويلاً بحال؛ لأنه لا يجوز أن يرد الشرع بما ينافي مقتضى العقل[١]، فعلماء الحديث أشد احتياطاً في الكشف عن ذلك[٢].

(١) توضيح الأفكار لمعاني تنقيح الأنظار: الصنعاني: ٢/ ٩٦.

(٢) انظر للتوسع: الأنوار الكاشفة لما في كتاب أضواء على السنة من الزلل والتضليل والمجازفة: عبد الرحمن يحيى المعلمي اليماني: ٦- ٧، المطبعة السلفية: القاهرة، لمحات من تاريخ السنة وعلوم الحديث: عبد الفتاح أبو غدة: ١٧٢- ١٧٧، مكتب المطبوعات الإسلامية: حلب، السنة النبوية في كتابات أعداء الإسلام: مناقشتها والرد عليها: د. عماد السيد الشربيني: ١/ ٢٥٥- ٢٦١.

المبحث الثاني

أدلة العلماء في حجية السنة النبوية

السنة النبوية أصل من أصول الدين، وحجة على جميع المسلمين، وقد دل على ذلك: القرآن الكريم، والسنة النبوية، وإجماع الأمة، والعقل والنظر، والعصمة.

المطلب الأول : من أدلة حجية السنة: القرآن الكريم:

إن المتأمل في كتاب الله يجد آيات عديدة ومتنوعة المضامين؛ تؤكد وتقرر وجوب طاعة النبي ﷺ طاعة مستقلة، وأن ما يصدر عنه من الحديث في مجال تبليغ الشريعة ملزم لكافة المسلمين، لا يسع أحداً منهم أن يخالف أمره أو أن يتجاوز نهيه، وبعد تدبر الآيات نجد أنه يمكن تقسيمها إلى الأنواع التالية:

أولاً: الآيات الدالة على وجوب اتباع النبي ﷺ وطاعته مع التحذير من مخالفته:

١- قول الله تعالى: ﴿وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ وَٱحْذَرُوا۟ ۚ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿٩٢﴾﴾ [المائدة: ٩٢].

٢- قول الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ وَأُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ ۖ فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴿٥٩﴾﴾ [النساء: ٥٩].

في هاتين الآيتن: أمر الله تعالى بطاعته وطاعة رسوله ﷺ، وأعاد الفعل إعلاماً بأن طاعة الرسول ﷺ تجب استقلالاً من غير عرض ما أمر به على الكتاب؛ بل إذا أمر وجبت طاعته مطلقاً؛ سواء كان ما أمر به في الكتاب أم لم يكن فيه[1].

(١) إعلام الموقعين عن رب العالمين: ابن قيم الجوزية: ١/ ٤٨، دار الجيل: بيروت.

ثانياً: الآيات الدالة على وجوب الإيمان به: والإيمان معناه الإذعان والتصديق والتسليم، ومن لوازمه الاتباع للسنة، والتمسك بها، وقبول شريعته ﷺ، والوقوف عند حكمه وقضائه، ومن هذه الآيات ما يلي:

٣- قول الله تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾﴾ [النِّسَاء: ٦٥].

أقسم سبحانه بنفسه على نفي الإيمان عن العباد حتى يحكّموا رسوله ﷺ في كل نزاع بينهم من الدقيق والجليل، ولم يكتف في إيمانهم بهذا التحكيم بمجرده؛ حتى ينتفي عن صدورهم الحرج والضيق عن قضائه وحكمه، ولم يكتف منهم أيضاً بذلك حتى يسلموا تسليماً، وينقادوا انقياداً[(١)].

٤- قول الله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَإِذَا كَانُوا۟ مَعَهُۥ عَلَىٰٓ أَمْرٍ جَامِعٍ لَّمْ يَذْهَبُوا۟ حَتَّىٰ يَسْتَـْٔذِنُوهُ﴾ [النُّور: ٦٢].

قال الإمام الشافعي: «فجعل كمال ابتداء الإيمان؛ الذي ما سواه تبع له: الإيمان بالله ثم برسوله، فلو آمن عبد به ولم يؤمن برسوله؛ لم يقع عليه اسم كمال الإيمان أبداً، حتى يؤمن برسوله معه»[(٢)].

ثالثاً: الآيات الدالة على أن الرسول ﷺ مبين للكتاب وشارح له شرحاً معتبراً عند الله تعالى ومطابقاً لما شرعه للعباد، وأنه ﷺ يعلّم أمته أمرين: الكتاب والحكمة وهي السنة:

٥- قول الله تعالى: ﴿وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ ۚ وَكَانَ فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا﴾ [النِّسَاء: ١١٣].

٦- قول الله تعالى: ﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿١٦٤﴾﴾ [آل عِمرَان: ١٦٤]، والحكمة في هذه الآيات هي السنة النبوية المطهرة[(٣)].

---

(١) إعلام الموقعين عن رب العالمين: ابن قيم الجوزية: ١/ ٥١.

(٢) الرسالة: الشافعي: ٧٥.

(٣) الرسالة: الشافعي: ٧٧- ٧٨.

رابعاً: الآيات الدالة على وجوب اتباع الرسول ﷺ في جميع ما يصدر عنه، والاقتداء به والتأسي بسنته، وأن اتباعه من لوازم ونتائج وثمرات محبة العبد لربه:

٧- قول الله تعالى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣١﴾﴾ [آل عمران: ٣١].

٨- قول الله تعالى: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْـَٔاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾﴾ [الأحزاب: ٢١].

خامساً: الآيات الدالة على أن الله أمره بتبليغ رسالته قرآناً وسنة، وأنه عصمه من التبديل والتحريف، مما يفيد وجوب التمسك بالسنة؛ لأن الله أمره بتبليغها كالقرآن، وحماها كما حمى القرآن من التبديل:

٩- قول الله تعالى: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَٰكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ فَٱتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨﴾﴾ [الجاثية: ١٨].

١٠- قول الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ ۗ﴾ [المائدة: ٦٧]. والآيات الدالة على حجية السنة من القرآن كثيرة[(١)].

المطلب الثاني: من أدلة حجية السنة: السنة النبوية:

لقد تعددت وتنوعت الأحاديث الدالة على وجوب اتباع سنة النبي ﷺ، وأنها شقيقة القرآن ومثيلته في الحجية، ويمكن تقسيم هذه الأحاديث تقسيماً موضوعياً إلى أنواع[(٢)]، منها:

---

(١) انظر للتوسع: حجية السنة: د. الحسين شواط: ٢٥٤- ٢٥٨، حجية السنة: د. عبد الغني عبد الخالق: ٢٩١- ٣٠٨، مكانة السنة في التشريع الإسلامي ودحض مزاعم المنكرين والملحدين: د. محمد لقمان السلفي: ٣٥- ٧٤، دار الداعي الرياض، السنة النبوية في كتابات أعداء الإسلام: مناقشتها والرد عليها: د. عماد السيد الشربيني: ١/ ٤٧٣- ٤٧٨.

(٢) انظر للتوسع: حجية السنة: د. الحسين شواط: ٢٥٨- ٢٦٢، حجية السنة: د. عبد الغني عبد الخالق: ٣٠٨- ٣٢٢، مكانة السنة في التشريع الإسلامي ودحض مزاعم المنكرين والملحدين: د. محمد لقمان السلفي: ٧٥- ٨١، السنة النبوية في كتابات أعداء الإسلام: مناقشتها والرد عليها: د. عماد السيد الشربيني: ١/ ٤٧٩- ٤٨٠.

أولاً: الأحاديث الدالة على أن السنة أخت القرآن في الحجية والاعتبار، وأنه لا يمكن معرفة الشرع من القرآن وحده؛ بل لابد معه من العمل بالسنة:

١ـ ما رواه المقدام بن معديكرب الكندي ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «**ألا إني أوتيت الكتاب ومثله معه؛ ألا يوشك رجل شبعان على أريكته يقول: عليكم بهذا القرآن؛ فما وجدتم فيه من حلال فأحلوه، وما وجدتم فيه من حرام فحرموه، ألا لا يحل لكم لحم الحمار الأهلي، ولا كل ذي ناب من السبع، ولا لقطة معاهد إلا أن يستغني عنها صاحبها، ومن نزل بقوم فعليهم أن يقروه، فإن لم يقروه فله أن يعقّبهم بمثل قراه**»(١).

قال عمر بن الخطاب ﷺ: «يا أيها الناس، إنه قد سنت لكم السنن، وفرضت لكم الفرائض، وتركتم على الواضحة؛ إلا أن تضلوا بالناس يميناً وشمالاً»، وقال أيضاً: «ردوا الجهالات إلى السنة»(٢).

٢ـ ما رواه أبو هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «**كل أمتي يدخلون الجنة إلا من أبى، قالوا: يا رسول الله، ومن يأبى؟ قال: من أطاعني دخل الجنة، ومن عصاني فقد أبى**»(٣).

ثانياً: الأحاديث التي يأمر فيها النبي ﷺ بالتمسك بسنته ويحذر من اتباع الهوى، والاستقلال الفكري:

---

(١) رواه أبو داود في كتاب: السنة، باب: في لزوم السنة، (الحديث: ٤٦٠٤): ٥/ ١٠- ١١، واللفظ له، من طريق حريز بن عثمان، عن عبد الرحمن بن أبي عوف، عن المقدام بن معد يكرب ﷺ، ورواه الترمذي في كتاب: العلم، باب: ما نهى عنه أن يقال عند حديث النبي ﷺ، (الحديث: ٢٦٦٤): ٤/ ٣٩٩- ٤٠٠، وقال: «هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه»، ورواه ابن ماجه في المقدمة، باب: تعظيم حديث رسول الله ﷺ والتغليظ على من عارضه، (الحديث: ١٢): ١/ ٤٩، ورواه أحمد في مسنده، (الحديث: ١٧١٩٤): ٢٨/ ٤٢٩، كلهم رووه من طريق معاوية بن صالح، عن الحسن بن جابر، عن المقدام بن معد يكرب ﷺ، والحديث بطريقيه صحيح الإسناد ورجاله ثقات.

(٢) جامع بيان العلم وما ينبغي في روايته وحمله: ابن عبد البر: ٢/ ٢٢٩- ٢٣٠.

(٣) رواه البخاري في كتاب: الاعتصام بالسنة، باب: الاقتداء بسنن رسول الله ﷺ، (الحديث: ٧٢٨٠): ٤/ ٣٥٩.

٣- ما رواه أبو هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**دعوني ما تركتكم، فإنما أهلك من كان قبلكم سؤالهم واختلافهم على أنبيائهم، فإذا نهيتكم عن شيء فاجتنبوه، وإذا أمرتكم بشيء فأتوا منه ما استطعتم**»(١).

٤- ما روته عائشة رضي الله عنها قالت: صنع النبي ﷺ شيئاً ترخص فيه، فتنزه عنه قوم، فبلغ ذلك النبي ﷺ فحمد الله وأثنى عليه؛ ثم قال: «**ما بال أقوام يتنزهون عن الشيء أصنعه؟ فوالله إني أعلمهم بالله؛ وأشدهم له خشية**»(٢).

ثالثاً: الأحاديث التي فيها الأمر بسماع السنة وحفظها وتبليغها ونشرها بين الناس، مما يدل على حجيتها:

٥- ما رواه زيد بن ثابت رضي الله عنه أنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**نضر الله امرأ سمع منا حديثاً، فحفظه حتى يبلغه، فرب حامل فقه إلى من هو أفقه منه، ورب حامل فقه ليس بفقيه**»(٣).

فلما ندب رسول الله ﷺ إلى استماع مقالته وحفظها وأدائها امرأً يؤديها، والامرؤ واحد، دل على أنه لا يأمر أن يؤدي عنه إلا ما تقوم به الحجة على من أدى إليه؛ لأنه إنما يؤدي عنه حلال يؤتى، وحرام يجتنب، وحد يقام، ومال يؤخذ ويعطى، ونصيحة في دين ودنيا(٤).

٦- ما رواه عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال: «**ليبلغ العلم الشاهد الغائب**»(٥).

---

(١) رواه البخاري في كتاب: الاعتصام بالسنة، باب: الاقتداء بسنن رسول الله ﷺ، (الحديث: ٧٢٨٨): ٤/ ٣٦١، واللفظ له، ورواه مسلم في كتاب: الفضائل، باب: توقيره ﷺ، وترك إكثار سؤاله عما لا ضرورة إليه، (الحديث: ١٣٣٧): ٤/ ١٨٣٠.

(٢) رواه البخاري في كتاب: الاعتصام بالسنة، باب: ما يكره من التعمق والتنازع والغلو في الدين والبدع، (الحديث: ٧٣٠١): ٤/ ٣٦٣.

(٣) تقدم تخريجه ص: ٥٠١، الهامش: ١.

(٤) الرسالة: الشافعي: ٤٠١- ٤٠٣.

(٥) تقدم تخريجه ص: ٥٠٢، الهامش: ١.

هذا الحديث يدل صراحة على تكليف كل فرد من الأمة بالتبليغ؛ لأن خبره حجة، وإلا لما كلف بالتبليغ[١]، ثم جعل المبلَّغ مطالباً بقبول الحديث، وبتدبره واستخلاص ما فيه من العلم والحكمة، واستنباط ما يحتويه من معان وأحكام[٢].

المطلب الثالث: من أدلة حجية السنة: إجماع الأمة:

لقد أجمعت الأمة الإسلامية على اتباع السنة من عهد الصحابة ﷺ، والتابعين، وسائر علماء المسلمين من بعدهم إلى يومنا هذا، وهي من أسس العقيدة، وليست من الفروع، وهذا من المسلمات الأولى في دين الإسلام، وقد نقل الإجماع على ذلك كثير من العلماء، سنذكر أقوال بعضهم:

١- قال الإمام الشافعي: «ولا أعلم من الصحابة ﷺ، ولا من التابعين؛ أحداً أُخبر عن رسول الله ﷺ إلا قبل خبره، وانتهى إليه، وأثبت ذلك سنة»[٣].

٢- قال الشوكاني: «إن ثبوت حجية السنة المطهرة، واستقلالها بتشريع الأحكام، ضرورة دينية، ولا يخالف في ذلك إلا من لا حظ له في دين الإسلام»[٤].

٣- كانت السنة عند فقهاء المسلمين جميعاً صاحبة المنزلة الثانية بعد القرآن الكريم في استنباط الحكم الشرعي؛ وقد اتفق العلماء المجتهدون على ترك آرائهم إذا صح الحديث؛ ولم يكن منسوخاً؛ وكانت عبارتهم المشهورة: إذا صح الحديث فهو مذهبي[٥].

---

(١) حجية خبر الواحد في الأحكام والعقائد: د. محمد عبد الله عويضة: ١٩، دار الفرقان: عمان.

(٢) أصول علم الحديث بين المنهج والمصطلح: د. أبو لبابة حسين: ٧٩.

(٣) مفتاح الجنة في الاحتجاج بالسنة: جلال الدين السيوطي: ١٨٢- ١٨٣.

(٤) إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول: الشوكاني: ٣٣.

(٥) انظر للتوسع: حجية السنة: د. عبد الغني عبد الخالق: ٣٤١- ٣٤٥، السنة الإسلامية بين إثبات الفاهمين ورفض الجاهلين: د. رؤوف شلبي: ١٢- ١٧، حجية السنة: د. الحسين شواط: ٢٦٢- ٢٦٤، مكانة السنة في التشريع الإسلامي ودحض مزاعم المنكرين والملحدين: د. محمد لقمان السلفي: ٩٧، السنة النبوية في كتابات أعداء الإسلام: مناقشتها والرد عليها: د. عماد السيد الشربيني: ١/ ٤٨١- ٤٨٢.

المطلب الرابع : من أدلة حجية السنة: العقل والنظر:

لقد دل الاستقراء على أن القرآن فرض على الناس فرائض مجملة تحتاج إلى تفسير، وشرح وبيان، كأداء الصلاة، وإيتاء الزكاة، والقيام بمناسك الحج؛ لذلك يتحتم شرعاً وعقلاً الرجوع إلى السنة لتفصيل مجمله، وبيان كيفية أدائه لوضع الصور التطبيقية لتوجيهاته، ومما يستعان به في تأييد ذلك ما يلي[١]:

١- ما روي أن رجلاً قال لعمران بن حصين ﷺ : لا تحدثونا إلا بالقرآن، فقال له عمران: «إنك امرؤ أحمق؛ أتجد في كتاب الله الظهر أربعاً لا تجهر فيها بالقراءة؟ ثم عدّد عليه الصلاة والزكاة، ونحو هذا، ثم قال: أتجد هذا في كتاب الله مفسراً؟ إن كتاب الله أبهم هذا، وإن السنة تفسر ذلك».

٢- وروي أن رجلاً قال لمطرف بن عبد الله بن الشخير: لا تحدثونا إلا بالقرآن، فقال له مطرف: «والله ما نريد بالقرآن بدلاً، ولكن نريد من هو أعلم بالقرآن منا».

٣- قال الأوزاعي: «الكتاب أحوج إلى السنة من السنة إلى الكتاب»، أي تفصل ما فيه، وتبين المراد منه[٢].

المطلب الخامس : من أدلة حجية السنة: العصمة:

المقصود بالعصمة: «لطف من الله تعالى يحمل النبي على فعل الخير، ويزجره عن الشر؛ مع بقاء الاختيار تحقيقاً للابتلاء»[٣]، وقد دل الشرع وانعقد الإجماع على أن نبينا محمد ﷺ وسائر الأنبياء معصومون من أي شيء يخل بتبليغ ما أرسلهم الله به إلى أممهم؛ بحيث يؤدون الأمانة على وجهها، ويبلغون رسالات ربهم كما أوحيت إليهم دون أدنى خلل، ومن الأدلة على عصمة النبي ﷺ ما يلي:

---

(١) انظر للتوسع: حجية السنة: د. عبد الغني عبد الخالق: ٣٢٢- ٣٣٤، السنة النبوية في كتابات أعداء الإسلام: مناقشتها والرد عليها: د. عماد السيد الشربيني: ١/ ٤٨٥، حجية السنة: د. الحسين شواط: ٢٦٦- ٢٦٨.

(٢) جامع بيان العلم وما ينبغي في روايته وحمله: ابن عبد البر: ٢/ ٢٣٤.

(٣) عصمة الأنبياء والرد على الشبه الموجهة إليهم: د. محمد أبو النور الحديدي: ٦٣.

١- دلالة معجزة القرآن الكريم التي تحدى بها بلغاء العرب فعجزوا عن المعارضة، وثبتت بذلك رسالته، وأنه مبلغ عن ربه، فهو بالتالي معصوم من الخطأ في التبليغ عن الله تعالى، ولو جاز عليه شيء من السهو أو الخطأ في البلاغ لأدى ذلك إلى إبطال دلالة المعجزة؛ وهو محال.

٢- إن الله قد شهد للنبي ﷺ بالبلاغ والصدق؛ وأنه مستمسك بالذي أوحي إليه، كما قال تعالى: ﴿وَٱلنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ۝١ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ۝٢ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ۝٤﴾ [النَّجم: ١-٤].

٣- أخبرت المعجزة وهي القرآن الكريم أنه ﷺ يستحيل عليه الزيادة أو النقصان أي شيء في الشرع، كما قال تعالى: ﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ ٱلْأَقَاوِيلِ ۝٤٤ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِٱلْيَمِينِ ۝٤٥ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ ٱلْوَتِينَ ۝٤٦ فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَٰجِزِينَ ۝٤٧﴾ [الحَاقَّة: ٤٤-٤٧].

٤- إن الله تعالى حمى رسوله ﷺ من إضلال أعداء الإسلام؛ فلا يستطيعون التأثير في دينه، أو تغيير حرف مما أوحي إليه، كما قال تعالى: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُۥ لَهَمَّت طَّآئِفَةٌ مِّنْهُمْ أَن يُضِلُّوكَ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ ۖ وَمَا يَضُرُّونَكَ مِن شَىْءٍ ۚ﴾ [النِّسَاء: ١١٣].

٥- أنه ﷺ معصوم من كيد الشيطان ووسوسته وإغوائه، كما رواه عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«ما منكم من أحد إلا وقد وكل به قرينه من الجن، قالوا: وإياك يا رسول الله؟ قال: وإياي؛ إلا أن الله أعانني عليه فأسلم، فلا يأمرني إلا بخير»**[(١)]. وهناك أدلة كثيرة على ذلك[(٢)].

(١) رواه مسلم في كتاب: صفات المنافقين وأحكامهم، باب: تحريش الشيطان وبعثه سراياه لفتنة الناس وأن مع كل إنسان قريناً، (الحديث: ٢٨١٤): ٤/ ٢١٦٧- ٢١٦٨.

(٢) انظر للتوسع: حجية السنة: د.الحسين شواط: ٢٦٤- ٢٦٦، حجية السنة: د.عبد الغني عبد الخالق: ٢٧٩- ٢٨٣، السنة الإسلامية بين إثبات الفاهمين ورفض الجاهلين: د.رؤوف شلبي: ١١- ١٢، السنة النبوية في كتابات أعداء الإسلام: مناقشتها والرد عليها: د.عماد السيد الشربيني: ١/ ٤٤٩- ٤٧٢.

الفصل الثالث

أبرز شبهات أصحاب الاتجاه المنحرف في السنة النبوية والرد عليها

المبحث الأول : زعم أصحاب الاتجاه المنحرف وشبهتهم بالنهي عن كتابة السنة النبوية والرد عليها.

المطلب الأول : زعم أصحاب الاتجاه المنحرف في شبهة النهي عن كتابة السنة النبوية.

المطلب الثاني : رد العلماء على شبهة أصحاب الاتجاه المنحرف بالنهي عن كتابة السنة النبوية.

المبحث الثاني : زعم أصحاب الاتجاه المنحرف وشبهتهم بتأخير تدوين السنة النبوية والرد عليها.

المطلب الأول : زعم أصحاب الاتجاه المنحرف في شبهة تأخير تدوين السنة النبوية.

المطلب الثاني : رد العلماء على شبهة أصحاب الاتجاه المنحرف بتأخير تدوين السنة النبوية.

المبحث الأول

زعم أصحاب الاتجاه المنحرف وشبهتهم بالنهي عن كتابة السنة النبوية والرد عليها

تعتبر شبهة أحاديث النهي عن كتابة السنة النبوية حلقة من حلقات الهجوم والتشكيك بحجية السنة النبوية؛ وقد صدرت هذه الشبهة من المستشرقين أولاً، ثم تابعهم عليها بعض المسلمين ثانياً؛ كما سنرى، وسنذكر رأي هؤلاء الناس، ثم رد العلماء عليهم.

المطلب الأول : زعم أصحاب الاتجاه المنحرف في شبهة النهي عن كتابة السنة النبوية:

انقسم موقف هؤلاء الناس من أحاديث النهي عن كتابة السنة النبوية إلى قسمين:

أولاً: زعم بعض أصحاب الاتجاه المنحرف في عدم صحة أحاديث النهي عن كتابة السنة النبوية:

ذهب هؤلاء إلى عدم صحة أحاديث النهي عن كتابة السنة، وخطأ قول من يقول بصحتها، والذهاب إلى أن النهي عن كتابة السنة والمنع من التحديث بها كان نابعاً من موقف سياسي اتخذه الخليفة أبو بكر رضي الله عنه ، ثم عمر رضي الله عنه ، ومن بعده من الخلفاء؛ للحد من نشر فضائل أهل البيت، وإليك بعض أقوالهم في ذلك:

قال زكريا عباس داود: «لو تأملنا جيداً في الأحاديث الواردة في الحث على العلم والتعلم وطلبه، والارتحال من أجله؛ وخوض الصعاب للحصول عليه، لعرفنا أن الرسول الأعظم ﷺ وهو يبحث عن أسباب الخير، ويوظفها في خدمة بناء أمة إسلامية تقوم على العلم والاهتمام به؛ لا يمكن أن ينهى أبداً عن كتابة

أحاديثه . . وإن ما ورد على لسانه إنما وضعته السلطات التي جاءت بعده لأسباب سياسية، خاصة وإن قسماً كبيراً من أحاديث الرسول ﷺ توضح من هي السلطات التي وضعها ونصبها الله سبحانه وتعالى بعده . . »[١].

وهذا ما قال به مرتضى العسكري[٢]، ومروان خليفات، وعلي الشهرستاني، وغيرهم، وكذلك أخذ به أجناس جولدتسيهر[٣].

ثانياً: زعم بعض أصحاب الاتجاه المنحرف في صحة أحاديث النهي عن كتابة السنة النبوية للتشكيك بها:

اعتبر هؤلاء الناس أن أحاديث النهي عن كتابة السنة صحيحة، إلا أنهم اتخذوا من ذلك النهي دليلاً على عدم حجية السنة؛ أو التشكيك بها أو ببعضها، وإليك بعض أقوالهم:

قال د. محمد شحرور: «نلاحظ أن النبي ﷺ والصحابة رضي الله عنهم لم يعتبروا في وقت من الأوقات أن الأحاديث النبوية هي وحي، فهو ﷺ من جهته لم يأمر بجمعها كما فعل مع الوحي الكتاب»[٤].

وقال بهذا د. محمد توفيق صدقي[٥]، ونيازي عز الدين[٦]، ومحمود أبو رية[٧]، وقاسم أحمد[٨]، ود. أحمد صبحي منصور[٩]، ود. إسماعيل منصور[١٠]،

---

(١) انظر للتوسع: تأملات في الحديث عند السنة والشيعة: زكريا عباس داود: ٣٧، ٤٢، ٤٤-٦٢، دار النخيل: بيروت.

(٢) انظر: معالم المدرستين: مرتضى العسكري: ٢/ ٦٠- ٦١، الدار العالمية: بيروت.

(٣) انظر للتوسع: السنة النبوية في كتابات أعداء الإسلام: مناقشتها والرد عليها: د. عماد السيد الشربيني: ١/ ٢٦٦- ٢٦٨.

(٤) الكتاب والقرآن قراءة معاصرة: د. محمد شحرور: ٥٤٦.

(٥) مجلة المنار: بحث الإسلام هو القرآن وحده: د. محمد توفيق صدقي: ٩/ ٥١٥، (١٣٢٤هـ، ١٩٠٦م)،

(٦) إنذار من السماء: نيازي عز الدين: ١١٧- ١٣٤.

(٧) أضواء على السنة المحمدية: محمود أبو رية: ٢٢- ٢٦.

(٨) إعادة تقييم الحديث: العودة إلى القرآن: قاسم أحمد: ١١٤- ١٢٨.

(٩) حد الردة: دراسة أصولية تاريخية: د. أحمد صبحي منصور: ٨٩- ٩١.

(١٠) تبصير الأمة بحقيقة السنة: د. إسماعيل منصور: ١/ ١٤، ٢٢٥- ٢٣٠.

وجمال البنا[١]، وعبد الجواد ياسين[٢]، وأحمد أمين[٣]، ومصطفى المهدوي، ومحمد رشاد خليفة[٤].

المطلب الثاني : رد العلماء على شبهة أصحاب الاتجاه المنحرف بالنهي عن كتابة السنة النبوية:

بداية سنثبت صحة أحاديث النهي عن كتابة السنة أولاً للرد على الفريق الأول الذي أنكر صحتها، ثم نرد على الفريق الثاني الذي اتخذ من صحة أحاديث النهي عن كتابة السنة تكأة للطعن بالسنة.

أولاً: الرد على من ذهب إلى عدم صحة أحاديث النهي عن كتابة السنة النبوية:

سأورد الصحيح من الأحاديث والآثار في النهي عن كتابة السنة للرد على هذا الفريق من الناس؛ دون التعرض لما هو ضعيف؛ لأن ما في الصحيح يغني عن الضعيف[٥]:

١- حديث أبي سعيد الخدري ﷺ ؛ أن رسول الله ﷺ قال: «**لا تكتبوا عني، ومن كتب عني غير القرآن فليمحه، وحدثوا عني ولا حرج، ومن كذب عليّ متعمداً؛ فليتبوأ مقعده من النار**»[٦].

٢- ما رواه أبو بردة بن أبي موسى الأشعري ﷺ قال: كتبت عن أبي كتباً كثيرة فمحاها، وقال: «خذ عنا كما أخذنا»؛ ومن طريق آخر؛ عن أبي بردة قال:

---

(١) الأصلان العظيمان الكتاب والسنة: رؤية جديدة: جمال البنا: ٢٦٨- ٢٧٢.

(٢) السلطة في الإسلام: عبد الجواد ياسين: ٢٣٨- ٢٤٥.

(٣) فجر الإسلام: أحمد أمين: ٣٣١.

(٤) السنة النبوية في كتابات أعداء الإسلام: مناقشتها والرد عليها: د.عماد السيد الشربيني: ١/ ٢٧٠.

(٥) انظر للتوسع: الأنوار الكاشفة لما في كتاب أضواء على السنة من الزلل والتضليل والمجازفة: عبد الرحمن يحيى المعلمي اليماني: ٣٤- ٤٤، دراسات في الحديث النبوي وتاريخ تدوينه: د.محمد مصطفى الأعظمي: ١/ ٧٦- ٨٣.

(٦) رواه مسلم في كتاب: الزهد والرقائق، باب: التثبت في الحديث، وحكم كتابة العلم، (الحديث: ٣٠٠٤): ٤/ ٢٢٩٨- ٢٢٩٩.

كان أبو موسى يحدثنا بأحاديث فنقوم أنا ومولى لي فنكتبها، فحدثنا يوماً بأحاديث فقمنا لنكتبها فظن أنا نكتبها، فقال: «أتكتبان ما سمعتما مني؟ قالا: نعم، قال: فجيئاني به، فدعا بماء فغسله، وقال: احفظوا عنا كما حفظناه»[(١)]؛ ومن طريق آخر؛ عن أبي بردة بن أبي موسى قال: كتبت عن أبي كتاباً كبيراً، فقال: «ائتني بكتبك، فأتيته بها فغسلها»[(٢)].

ثانياً: الرد على من ذهب إلى صحة أحاديث النهي عن كتابة السنة النبوية للتشكيك بها:

يمكن الرد على هؤلاء الناس في تشكيكهم بالسنة من خلال إجازتهم لأحاديث النهي عن كتابتها بما يلي:

أ ـ أن أدلة حجية السنة التي ذكرناها في الفصل الثاني السابق؛ وخاصة أدلتها من الأحاديث تصلح للرد على هذه الفرية التي نحن بصددها.

ب ـ أن هناك شبه إجماع على أن منع كتابة الحديث قد نُسخ بالتصريح بجواز كتابتها[(٣)]، وتم كتابة أحاديث النبي ﷺ في أخريات حياته[(٤)].

ج ـ أن المشككين أو المنكرين للسنة غضوا الطرف عن دوافع النبي ﷺ في النهي عن كتابة الأحاديث، والتي تظهر بما يلي:

١ـ المحافظة على نقاء كتاب الله تعالى وصيانته عن خلطه بالسنة دون تمييز بينهما:

لأن المرحلة الأولى من نزول الوحي كان هناك خوف من أن كلمات النبي ﷺ ربما تختلط بآيات القرآن الكريم، وهذا الغرض كان قائماً على سببين منطقيين:

---

(١) تقييد العلم: أحمد بن علي الخطيب البغدادي: ٣٩- ٤٠، دار إحياء السنة النبوية.

(٢) رواه ابن أبي شيبة في مصنفه في كتاب: الأدب، (الحديث: ٦٤٩٥): ٩/ ٥٣، واللفظ له، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد ومنبع الفوائد: ١/ ١٥١: " ورواه الطبراني في الكبير والبزار بنحوه إلا أن البزار قال: احفظ كما حفظنا عن رسول الله ﷺ، ورجاله رجال الصحيح ".

(٣) ستأتي هذه الأدلة في بحث تدوين السنة النبوية في المبحث القادم.

(٤) انظر للتوسع: صحائف الصحابة رضي الله عنهم وتدوين السنة النبوية المشرفة: أحمد عبد الرحمن الصويّان: ٣٩- ٤٨.

أولهما: أن كلمات النبي ﷺ كانت تعتبر أقوالاً مأثورة بالنسبة للصحابة المخلصين الذين تمنوا أن يكتبوها بعد كتابة الحكمة في العصر الجاهلي، ولأن الناطق بلسان كل من القرآن والحديث كان نفس الشخص وهو النبي ﷺ، فكان هناك احتمال بأن بعض الآيات القرآنية تؤخذ على أنها أقوال النبي ﷺ.

ثانيهما: لقد تعود بعض الصحابة رضي الله عنهم أن يكتبوا أحياناً كلمات النبي ﷺ على فراغ هوامش نفس الصحيفة التي كُتِب عليها القرآن، ولهذا كان هناك احتمال كبير أن يختلط القرآن الكريم بأحاديث النبي ﷺ، ولهذا منع كتابة الأحاديث، وفضلاً عن هذا كان هناك أشخاص قلة فقط في ذلك الوقت هم الذين يملكون فطنة التمييز بين الآيات القرآنية وأقوال النبي ﷺ، وفي ظل هذه الظروف حظر النبي ﷺ على أصحابه كتابة أقواله في هذه المرحلة المبكرة.

٢ـ عدم التنافس مع القرآن الكريم:

من المحتمل أن تحريم كتابة الحديث كان يقصد به الحفاظ على هيئة وشكل الأحاديث باعتبارها بالمنزلة الثانية بعد القرآن، ونحن نعرف أنه لم يكن هناك قيود على كتابة القرآن؛ بل على العكس كان يعين الكتبة لكتابة الوحي؛ إلا أن وضع الحديث كان مختلفاً، فكان لا يعطى نفس الأهمية التي حظي بها القرآن؛ لأنه لو تم إعطاء نفس الاهتمام للأحاديث، فستدخل في منافسة مع القرآن، ولهذا لم يكن هناك أي تسجيل رسمي للأحاديث، وعليه منع النبي ﷺ كتابة أقواله.

٣ـ عدم انصراف الناس عن القرآن الكريم:

كان الغرض من منع كتابة الأحاديث هو الحفاظ على الاهتمام النشط من جانب الذين هداهم الله إلى القرآن، ولأن القرآن كان لا يزال في مرحلة الوحي ولم يجمع بعد، فكان ينبغي أن يعطى مزيداً من الاهتمام للقرآن عن أحاديث الرسول ﷺ[(١)].

٤ـ خوف الاتكال على الكتابة وترك الحفظ:

كما قال أبو موسى الأشعري رضي الله عنه: «احفظوا عنا كما حفظناه»[(٢)].

---

(١) دلائل التوثيق المبكر للسنة والحديث: د. امتياز أحمد: ٢١٩- ٢٢١، دار الوفاء: المنصورة.
(٢) تقدم تخريجه ص ٦٢٢، الهامش: ١.

٥- خوف وصول الأحاديث إلى غير أهلها:

فلا يُعرف أحكامها، ويُحمل جميع ما فيها على ظاهره، وربما زاد فيها ونقص، فيكون ذلك منسوباً إلى كاتبها في الأصل[١].

هذه هي دوافع النبي ﷺ في النهي عن كتابة أحاديثه، التي تجاهلها المنكرون والمشككون للسنة، فإن سلَّموا بصحة تلك الأحاديث فعليهم التسليم بالدوافع التي قيلت من أجلها والواردة فيها.

(١) انظر للتوسع: السنة النبوية في كتابات أعداء الإسلام: مناقشتها والرد عليها: د. عماد السيد الشربيني: ١/ ٢٨٨- ٢٩٨، السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي: د. مصطفى السباعي: ٦٦- ٦٨، السنة في مواجهة أعدائها: د. طه الدسوقي حبيشي: ٢٤٢- ٢٤٦،

المبحث الثاني

زعم أصحاب الاتجاه المنحرف وشبهتهم بتأخير تدوين السنة النبوية والرد عليها

تعتبر شبهة التأخر في تدوين السنة النبوية حلقة من حلقات الهجوم والتشكيك بحجية السنة النبوية؛ وهذه الشبهة كسابقتها في صدورها من المستشرقين أولاً، ثم اتباع بعض المسلمين لهم فيها، وسأذكر هنا رأي هؤلاء الناس، ثم رد العلماء عليهم.

المطلب الأول: زعم أصحاب الاتجاه المنحرف في شبهة تأخير تدوين السنة النبوية:

البداية الأولى للتدوين الرسمي الحكومي للسنة النبوية هو ما كتبه عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه (ت ١٠١هـ) إلى أبي بكر بن حزم: «انظر ما كان من حديث رسول الله ﷺ فاكتبه، فإني خفت دروس العلم وذهاب العلماء، ولا تقبل إلا حديث رسول الله ﷺ، ولتفشوا العلم، ولتجلسوا حتى يعلم من لا يعلم؛ فإن العلم لا يهلك حتى يكون سراً»[(١)].

وقد تمسك المستشرقون والمنحرفون من المسلمين بهذه الشبهة ليصدوا عن سبيل السنة النبوية، وينكروا ويشككوا بها، وإليك أهم أقوالهم بذلك:

أولاً: زعم المستشرقين في شبهة تاخير تدوين السنة النبوية:

إن نزعة رفض السنة النبوية، ظهرت بوضوح خلال النصف الثاني من القرن التاسع عشر في مؤلفات كبار المستشرقين من أمثال: وليم موير، والوئز سبرنكر، والفريدفون كريمر، وثيودور نولدكه، ولكننا نجد في كتابات أجناس جولدتسهير تعبيراً أوضح وأشد لهذه النزعة.

---

(١) رواه البخاري في كتاب: العلم، باب: كيف يقبض العلم، ١/ ٥٢- ٥٣.

وإن لب ما وصل إليه أجناس جولدتسهير عبارة عن القول بأن الأحاديث لا تمثل إلا الاتجاهات والآراء الموجودة في القرنين الثاني والثالث الهجري، وقلما تلقي ضوءاً على بداية القرن الأول الذي ينسبها إليه أصحابها، وما لبث أن حظي هذا الرأي بقبول عام لدى المستشرقين من أهل الغرب، وظل أمراً ثابتاً في أذهانهم، وأخذ به جوزيف شاخت ورأى أن تدوين السنة لم يتم إلا بعد سنة (١٥٠هـ) [١]، وكذلك وليم موير بأن تدوين السنة لم يتم إلا بعد سنة (١٥٠هـ)، وأما روبسون فقد اعتبر أن تدوين السنة بدأ في القرن الثاني (١٠٠- ٢٠٠هـ)[٢]، وأما شبرنجر فقد اعتبر بداية تدوين السنة في مطلع القرن الهجري الثاني (١٠٠هـ)، وهو ما أخذ به دوزي [٣].

ثانياً: زعم المنحرفين في شبهة تأخير تدوين السنة النبوية:

١- قال محمود أبو رية: «وقد ظل الأمر في رواية الحديث على ما ذكرنا، تفعل فيه الذاكرة ما تفعل، لا يكتب ولا يدون طوال عهد الصحابة وصدراً كبيراً من عهد التابعين إلى أن حدث التدوين على ما قالوا في آخر عهد التابعين (١٥٠هـ)» [٤].

٢- قال المستشار محمد سعيد العشماوي: «غير أن الأحاديث لم تجمع إلا في عصر التدوين، في العصر العباسي الأول، وفي النصف الثاني من القرن الثاني الهجري (١٥٠)»[٥].

---

(١) انظر للتوسع: ندوة السنة النبوية ومنهجها في بناء المعرفة والحضارة: المجمع الملكي لبحوث الحضارة الإسلامية، بحث الشبهات حول السنة النبوية ودراسة منطلقات هذه الشبهة والتعليق عليها: الشيخ عز الدين الخطيب التميمي والتعليق عليه: ٢/ ٥٨٧- ٥٨٩، الظاهرة الاستشراقية وأثرها على الدراسات الإسلامية: د. ساسي سالم الحاج: ٢/ ٦٢٤- ٦٣٠.

(٢) انظر للتوسع: تاريخ تدوين السنة وشبهات المستشرقين: د. حاكم عبيسان المطيري: ١١١- ١٧٧، مجلس النشر العلمي: الكويت.

(٣) انظر: علوم الحديث ومصطلحه: د. صبحي الصالح: ٣٣- ٣٦، المستشرقون والحديث النبوي: د. محمد بهاء الدين: ٦٤- ٦٧.

(٤) أضواء على السنة المحمدية: محمود أبو رية: ٢٣٢.

(٥) حقيقة الحجاب وحجية الحديث: محمد سعيد العشماوي: ٩٦، ٩٨.

٣- قال عبد الجواد ياسين: «ومما يؤكد ذلك أن هذه العملية التدوينية لم تكتمل فصولاً قبل القرن الهجري الثالث (٢٠٠هـ)، كما أنها لم تبدأ جدياً قبل بدايات القرن الثاني (١٠٠هـ)، مما يعني بالضرورة أن المسلمين عاشوا قرناً من الزمان؛ على أقل تقدير، بدون هذه الروايات، ودون أن ينقص ذلك من إسلامهم شيئاً، إذن فهي ليست ضرورية لقيام الدين؛ وإلا لكان النبي ﷺ قد أمر بإثباتها بالتدوين منذ اللحظة الأولى كما فعل بالنسبة للقرآن»[١].

وقد قال بذلك محمد سعيد عبد اللطيف مشتهري[٢]، ود. نصر حامد أبو زيد[٣]، ود. إسماعيل منصور[٤]، وأحمد أمين[٥]، وجمال البنا[٦]، ود. حسن حنفي[٧]، وحسين أحمد أمين[٨]، ومصطفى المهدوي، ومحمد رشاد خليفة، ود. أحمد صبحي منصور[٩]، ود. المهندس محمد شحرور[١٠]، وإبراهيم فوزي[١١]، وقاسم أحمد[١٢]، وعبد الله أحمد النعيم[١٣]، وغيرهم.

---

(١) السلطة في الإسلام: عبد الجواد ياسين: ٢٣٨.

(٢) نحو تأصيل الخطاب الديني: محمد سعيد عبد اللطيف مشتهري: ١/ ٥- ٦، ١٧، مطابع الدار الهندسية: القاهرة.

(٣) نقد الخطاب الديني: د. نصر حامد أبو زيد: ١٢٦.

(٤) تبصير الأمة بحقيقة السنة: د. إسماعيل منصور: ١/ ٧، ١٣، ١١١، ٢٨٨.

(٥) فجر الإسلام: أحمد أمين: ٣٥٠- ٣٥٣.

(٦) الأصلان العظيمان الكتاب والسنة: رؤية جديدة: جمال البنا: ٢٧٥.

(٧) من العقيدة إلى الثورة: د. حسن حنفي: ٤/ ٢٥١.

(٨) دليل المسلم الحزين إلى مقتضى السلوك في القرن العشرين: حسين أحمد أمين: ٦١.

(٩) السنة النبوية في كتابات أعداء الإسلام: مناقشتها والرد عليها: د. عماد السيد الشربيني: ١/ ٣٤٦.

(١٠) الكتاب والقرآن قراءة معاصرة: د. محمد شحرور: ٥٦٥- ٥٧٢.

(١١) تدوين السنة: إبراهيم فوزي: ١٤٥، ١٦٧.

(١٢) إعادة تقييم الحديث: العودة إلى القرآن: قاسم أحمد: ٩٤.

(١٣) نحو تطوير التشريع الإسلامي: عبد الله أحمد النعيم: ٤٩- ٥٠، سينا للنشر: القاهرة.

المطلب الثاني : رد العلماء على شبهة أصحاب الاتجاه المنحرف بتأخير تدوين السنة النبوية:

مُروِّجو هذه الشبهة أدرى الناس بكذبها، ولا يستطيع أحد منهم أن يذكر على ذلك دليلاً، ويمكن إجمال الرد على هذه الشبهة التي أودت بحجية السنة النبوية أو التشكيك بها بما يلي:

أولاً: يجب التفريق بين كتابة السنة وتدوينها، فأكثر المنحرفين خلطوا بينهما، حيث فهموا خطأً أن التدوين هو الكتابة، وعليه فإن السنة النبوية ظلت محفوظة في الصدر لم تكتب إلا في نهاية القرن الأول الهجري في عهد الخليفة عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه، ولو أن المنتقدين فهموا حقيقة الكتابة، وحقيقة التدوين، وأدركوا الفرق بينهما، لما تعارضت النصوص في فهمهم، ولما صح تشكيكهم في السنة؛ بدعوى تأخر تدوينها مدعين أنه دخلها الزيف؛ لأن العلم الذي يظل قرناً دون تسجيل لابد أن يعتريه تغيير ويدخله التحريف، فإن الذهن يغفل والذاكرة تنسى، أما القلم فهو حصن أمان لما يدون به:

١- الكتابة: هي مطلق خط الشيء، دون مراعاة لجمع الصحف المكتوبة في إطار يجمعها.

٢- التدوين: هي مرحلة تالية للكتابة، وتكون بجمع الصحف المكتوبة في ديوان يحفظها[١].

٣- التصنيف: معناه أوسع بكثير من التدوين إذ أنه يتضمن تصنيف مجموعة مسجلة بالفعل في أجزاء مختلفة، أي إعادة ترتيب المادة المكتوبة بالفعل إلى أجزاء وفصول مختلفة[٢].

وعلى ذلك فقول الأئمة: إن السنة دونت في نهاية القرن الأول الهجري لا يفيد

(١) السنة النبوية: مكانتها، عوامل بقائها، تدوينها: د. عبد المهدي بن عبد القادر بن عبد الهادي: ٩٤- ٩٧، دار الاعتصام: القاهرة.

(٢) دلائل التوثيق المبكر للسنة والحديث: د. امتياز أحمد: ٢٨٣- ٢٨٤.

أنها لم تكتب طيلة هذا القرن؛ بل يفيد أنها كانت مكتوبة؛ لكنها لم تصل لدرجة التدوين، وهو جمع الصحف في دفتر[١].

ثانياً: مقولة: «أول من دوّن العلم ابن شهاب الزهري، تم ترجمتها خطأ بمعنى: أول من كتب العلم ـ أي علم الحديث ـ كان ابن شهاب الزهري، وانطلاقاً من هذا التفسير الخاطئ انبثقت نظرية أن كتابة الحديث بدأت متأخرة للغاية حتى عصر الزهري في نهاية القرن الأول الهجري، أو بداية القرن الثاني»[٢].

والمتتبع لكلام الأئمة السابقين يتضح له أنه كان معلوماً لديهم الفرق بين الكتابة والتدوين، وهم يؤرخون لتدوين السنة، حيث كان مدار حديثهم على التدوين، وليس في حديثهم شيء يتعلق بالكتابة، كقول الحافظ ابن حجر: «وأول من دوّن الحديث ابن شهاب الزهري على رأس المائة بأمر عمر بن عبد العزيز، ثم كثر التدوين، ثم التصنيف، وحصل بذلك خير كثير، فلله الحمد»[٣].

ثالثاً: أن عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه حينما أمر بتدوين السنة لم يبدأ من فراغ؛ لكنه اعتمد على أصول مكتوبة كانت تملأ أرجاء العالم الإسلامي كله، من خلال روح علمية نشطة، أشعلها الإسلام في أتباعه، فأصبحوا يتقربون إلى الله تعالى بأن يزدادوا في كل يوم علماً، وحينما نثبت أن تدوين السنة قام على أساس المكتوب في عصر النبي ﷺ، وبإذن منه ﷺ شخصياً، فإننا لن نتعسف الأدلة أبداً وصولاً إلى تلك الغاية؛ لأننا لن نقول في هذا الشأن قولاً إلا ونشفعه بالدليل القوي المستمد من أوثق المصادر وآكدها وأصحها.

وإن القول بأن السنة قد بدأت كتابتها منذ عصر النبي ﷺ إلى زمن تدوينها تدويناً رسمياً أصبح حقيقة علمية مؤكدة ثبتت بالبراهين القطعية، وتضافرت على إثبات هذه الحقيقة الساطعة أقوال جملة من علماء المسلمين المعاصرين، وأبرز هذه الدراسات الجادة هي ما يلي:

---

(١) السنة النبوية في كتابات أعداء الإسلام: مناقشتها والرد عليها: د.عماد السيد الشربيني: ١/ ٣٥١.

(٢) دلائل التوثيق المبكر للسنة والحديث: د.امتياز أحمد: ٢٨١.

(٣) فتح الباري بشرح صحيح البخاري: ابن حجر: ١/ ٢٥١.

١- السنة قبل التدوين: د. محمد عجاج الخطيب.

٢- توثيق السنة في القرن الثاني الهجري: أسسه واتجاهاته: د. رفعت فوزي عبد المطلب.

٣- دراسات في الحديث النبوي وتاريخ تدوينه: د. محمد مصطفى الأعظمي.

٤- دلائل التوثيق المبكر للسنة والحديث: د. امتياز أحمد[١].

رابعاً: نماذج من أشهر ما كتب من الأحاديث النبوية في حياة النبي ﷺ وبعده إلى زمن التدوين الرسمي:

١- ما ورد عن أبي هريرة رضي الله عنه: أنه لما فتح الله تعالى على رسوله ﷺ مكة قام الرسول ﷺ وخطب في الناس، فجاء رجل من أهل اليمن فقال: اكتب لي يا رسول الله، فقال: **«اكتبوا لأبي فلان»**[٢].

٢- ما رواه أنس بن مالك رضي الله عنه أن أبا بكر رضي الله عنه كتب له التي فرض رسوله ﷺ: **«ولا يجمع بين متفرق، ولا يفرق بين مجتمع خشية الصدقة»**[٣].

٣- ما رواه أبو عثمان النهدي قال: **«أتانا كتاب عمر ونحن مع عتبة بن فرقد بأذربيجان، أن رسول الله ﷺ نهى عن الحرير إلا هكذا؛ وأشار بأصبعيه اللتين تليان الإبهام، قال: فيما علمنا أنه يعني الأعلام»**[٤].

---

(١) السنة النبوية في كتابات أعداء الإسلام: مناقشتها والرد عليها: د. عماد السيد الشربيني: ١/ ٣٥٢- ٣٥٣.

(٢) رواه البخاري في كتاب: العلم، باب: كتابة العلم، (الحديث: ١١٢): ١/ ٥٦. وانظر في التوسع في أحاديث جواز الكتابة في العهد النبوي: كتابة الحديث النبوي وجمعه وتدوينه وصفات أهله: د. كمال الدين عبد الغني المرسي: ١٤- ٥٢، دار المعرفة الجامعية: الإسكندرية.

(٣) رواه البخاري في كتاب: الزكاة، باب: العرض في الزكاة، (الحديث: ١٤٥٠): ١/ ٤٤٧- ٤٤٨.

(٤) رواه البخاري في كتاب: اللباس، باب: لبس الحرير للرجال وقدر ما يجوز منه، (الحديث: ٥٨٢٨): ٤/ ٦٢. وانظر في التوسع في أمثلة الكتابة في عهد الصحابة رضي الله عنهم: دراسات في الحديث النبوي وتاريخ تدوينه: د. محمد مصطفى الأعظمي: ١/ ٩٢- ١٤٢، كتابة الحديث بأقلام الصحابة: د. ساجد الرحمن الصديقي: ٤٥- ٩٨، دار الحديث: القاهرة.

٤- الصحيفة الصادقة التي كتبها جامعها عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما؛ عن رسول الله ﷺ، وإن لم تصل هذه الصحيفة كما كتبها عبد الله بن عمرو بخطه فقد وصل إلينا محتواها؛ لأنها محفوظة في مسند الإمام أحمد (في مسند عبد الله بن عمرو بن العاص)، حتى يصح أن نصفها بأنها أصدق وثيقة تاريخية تثبت كتابة الحديث على عهد رسول الله ﷺ [١]، ودليل اشتغال عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما بكتابة هذه الصحيفة قول أبي هريرة رضي الله عنه: «ما من أصحاب رسول الله ﷺ أحد أكثر حديثاً عنه مني إلا ما كان من عبد الله بن عمرو، فإنه كان يكتب ولا أكتب»[٢].

٥- الصحيفة الصحيحة التي كتبها همام بن منبه رضي الله عنه [٣]، زوج ابنة أبي هريرة رضي الله عنه، كتبها أمام أبي هريرة رضي الله عنه، ولهذه الصحيفة مكانة خاصة في تدوين الحديث؛ لأنها وصلت إلينا كاملة سالمة كما رواها همام بن منبه رضي الله عنه عن أبي هريرة رضي الله عنه، فكانت جديرة باسم الصحيفة الصحيحة[٤].

ومما يجب التنبيه إليه أن مصطلح صحيفة وكتاب وجزء لا يعني بالضرورة: «مجموعات صغيرة أو مذكرة عن الحديث» كما كان يعتقد أحياناً[٥].

وهذه الكتابات السابقة وغيرها الكثير؛ تقطع بكتابة السنة المطهرة في عصر النبوة والصحابة والتابعين[٦].

---

(١) انظر للتوسع: صحائف الصحابة رضي الله عنهم وتدوين السنة النبوية المشرفة: أحمد عبد الرحمن الصويّان: ٦٥- ٧٢.

(٢) رواه البخاري في كتاب: العلم، باب: كتابة العلم، (الحديث: ١١٣): ١/ ٥٧.

(٣) انظر للتوسع في أمثلة الكتابة في عهد كبار التابعين في القرن الهجري الأول: دراسات في الحديث النبوي وتاريخ تدوينه: د. محمد مصطفى الأعظمي: ١/ ١٤٣- ١٦٧، كتابة الحديث النبوي وجمعه وتدوينه وصفات أهله: د. كمال الدين عبد الغني المرسي: ٧٥- ٩٠.

(٤) انظر للتوسع: صحائف الصحابة رضي الله عنهم وتدوين السنة النبوية المشرفة: أحمد عبد الرحمن الصويّان: ١٨٩- ٢٠٠.

(٥) دلائل التوثيق المبكر للسنة والحديث: د. امتياز أحمد: ١٤٨، ١٥٨، ١٦١.

(٦) انظر للتوسع: السنة النبوية في كتابات أعداء الإسلام: مناقشتها والرد عليها: د. عماد السيد الشربيني: ١/ ٣٤٩- ٣٧٤، منهج النقد في علوم الحديث: د. نور الدين عتر: ٤٥- ٥٠، ٤٦٣، دفع الشبهات عن السنة النبوية: د. عبد المهدي عبد القادر عبد الهادي: ٥٣- ٥٧.